شبكة الألوكة
www.alukah.net

# مخطوطات جامع عنيزة

## مخطوطة ( ٩٥ )

بهجة الناظر النتخب من صيد الخاطر، لمحمد ابن سلوم، تام، بآخره تقريظ ناصر ابن سحيم، ٩٧ق .

### ملاحظات

بخط فاطمة الفضيلية الزبيرية سنة ١٣٣٨

كتاب بهجة الناظر
المنتخب من صيد
الخاطر
للعلامة المحقق مجد بن سلوم
الحنبلي سح
عفى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل في هذه الامة المحمدية علماء اخيار وجهابذة احبار صفى بواطنهم من الاغيار وطيب منهم الاسرار وابان لهم طريق الحق ومنهج الصدق كالشمس رابعة النهار والصلوة والسلام الاتمان الاكملان على نبينا المصطفى المختار وعلى آله وصحبه المجتبين الاطهار وبعد

يقول العبد الفقير الى رحمة الحي القيوم محمد بن علي ابن سلوم كان الله له ولاسلافه وليًا ومعينًا ولديهم حفيًا ان الكتاب الموسوم بصيد الخاطر للامام العالم العلامة الحافظ الواعظ الفهامة ابي الفرج عبد الرحمن ابن علي ابن الجوزي روح الله روحه ونور ضريحه عديم المثال فيما يخطر على البال قد اودعه من سوانح افكاره وغرر مجتبات ابكاره ما ليس يوجد في كتاب سواه والعجز والاشغال المشطة تمنع عن استقصاء جميع ما حواه فانتخبت نبذة من جواهره السنية وفوايده البهية وجمعت ما يتعلق بالاعتقاد وان كان الشيخ رحمه الله قد فرقه وقدمته في اوايل الكتاب ليقرب لمطالعه ومن اراد ان يتحققه والله المسؤل ان ينفع به كاتبه وسامعه وقاريه وان يجعله في ميزان الحسنات لجامعه وتاليه انه قريب مجيب قال رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا يبلغ رضاه وصلى الله على اشرف من اجتباه وعلى من صاحبه ووالاه وسلم تسليما لا يدرك منتهاه وبعد فلما كانت الخواطر تجول في تصفح اشياء تعرض لها ثم تعرض عنها فتذهب كان من اوائل الامور حفظ ما يخطر لكي لا ينسى وقد قال عليه الصلوة والسلام قيدوا العلم بالكتابة وكم قد حفظ طالب شيئا فاشتغل عن اثباته فيذهب فاتأسف عليه ورايت من نفسي اني كلما فتحت بصر التفكر سنح له من عجايب الغيب ما لم يكن في حسابه فانتال عليه من كثيب التفهم مالا يجوز التفريط فيه فجعلت هذا الكتاب قيدًا لصيد الخاطر والله ولي النفع انه قريب مجيب

فصل اعظم المعاقبات ان لا يحس بالعقوبة واشد من ذلك السرور بما هو عقوبة كالفرح بالمال الحرام والتمكن من الذنوب ومن هذه حاله لا يحزن لفوت طاعة فاني رايت تدبرت احوال اكثر العلماء والمتزهدين فرايتهم في عقوبات لا يحسون بها ومعظمها من قبل طلبهم للرياسة فالعالم منهم يغضب ان رد عليه خطاؤه والواعظ متصنع بوعظه والمتزهد منافق او مرائي فاول عقوباتهم اعراضهم عن الحق شغلا بالخلق ومن خفي عقوباتهم سلب حلاوة المناجاة ولذة التعبد ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يحفظ الله بهم الارض بواطنهم كظواهرهم بل اجلى وسرايرهم كعلانيتهم بل اجلى وهمهم عند الثريا بل اعلا ان عرفوا انكروا وان رؤيت لهم كرامة انكروا فالناس في حقوقهم غفلة منهم وهم في قطع قلوبهم بقاع الارض وتفرح بهم املاك السماء نسال الله تعالى التوفيق لاتباعهم وان يجعلنا من اتباعهم

فصل تفكرت يومًا في تكليف قراءة القرآن فاذا هو ينقسم الى سهل وصعب فاما الصعب السهل فهو اعمال الجوارح الا ان منه ما هو اصعب من بعض فالوضوء والصلوة اسهل من الصوم والصوم ربما كان عند قوم اسهل من الزكوة واما الصعب فيتفاوت فبعضه اصعب من بعض فمن المستصعب النظر والاستدلال الموصلان الى معرفة الخالق فهذا صعب عند من غلب عليه امور الحس سهل عند اهل العقل ومن المستصعب غلبة الهوى



وما احسن قول بعضهم في المعنى [illegible] العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبائل [illegible] الكواسف [illegible] فيه بخطاك من اباه فهناك انت [illegible] هي الاملا [illegible] فاتناج فكر المرا [illegible] في كل وقت اذا ما شاء [illegible] فعلا [illegible]

وقهر النفوس وكف اكثر الطباع عن التصرف فيما تؤثره وكل هذا يسهله
على العاقل النظر في ثوابه ورجاء عاقبته وان شق عاجلا وانما اصعب
التكاليف واعجبها انه قد ثبت بحكمة الخالق عز وجل العقل ثم يراه قد
افقر المشاغل بالعلم المقبل على العبادة حتى بعضه الفقر بالجد به فيذل
للجاهل في طلب القوت ويغني الفاسق مع الجهل به حتى تفيض الدنيا عليه ثم
ينشي الاجساد ويحكمها ثم ينقض بناء الشباب في ايامه وعند
استكمال بنائه فاذا به قد عاد هشيما ثم يراه يوم الاطفال حتى يرحمهم كل
طبع ثم يقال له اياك ان تشك في انه ارحم الراحمين ثم يبعث بارسال موسى
الى فرعون ويقال له اعتقد ان الله اضل فرعون واعلم انه ما كان لادم بد
من اكل الشجرة وقد وبخ بقوله وعصى آدم ربه وفي مثل هذه الاشياء تحير
خلق حتى خرجوا الى الكفر والتكذيب ولو فتشوا عن سر هذه الاشياء
لعلموا ان تسليم هذه الامور بتكليف للعقل ليذعن وهذا اصل ايمانهم حصل
السلامة والتسليم نسال الله عز وجل ان يكشف لنا من الغوامض التي تحيرت
من ضل انه قريب مجيب **فصل** قلت يوما في مجلسي لعوان الجبال حدث
ما حملك لعجزك فلما عدت الى منزلي قالت لي النفس كيف قلت هذا وربما اوهم
الناس ان بك بلاء وانت في عافية في نفسك واهلك وهل الذي حملك الا
التكليف الذي يحمل الخلق كلهم فما وجه هذه الشكوى فاجبتها انني لما
عجزت عما حملت قلت هذه الكلمة لا على سبيل الشكوى ولكن للاستراحة
وقد قال كثير من الصحابة والتابعين قبلي ليتنا لم نخلق وما ذلك الا
لاثقال عجزوا عنها ثم من ظن ان التكاليف التكاليف سهلة فاعرفها اترى
يظن الظان ان التكليف غسل الاعضاء برطل من الماء او الوقوف في محراب





ظ
وانما

لاداء ركعتين وبهات هذا سهل التكليف وان التكليف هو الذي عجزت عنه
الجبال ومن جملة اني اذا رايت القدر يجري بما لا يفهم العقل الاذعان
للقدر فكان من اصعب التكليف وخصوصا فيما لا يعلم العقل معناه
كايلام الاطفال وذبح الحيوان مع الاعتقاد بان المقدر لذلك والآمر به
ارحم الراحمين فهذا مما يتحير العقل فيه فيكون تكليف التسليم وترك الاعتراض
فكم بين التكليف تكليف البدن وتكليف العقل ولو شرحت هذا لطال غير
اني اعتذر عما قلته فاقول عن نفسي وما يلزمني حال غيري اني رجل
حبب الي العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به ثم لم يحبب الي فن واحد
منه بل فنون ثم لا اقصر همتي في فن على بعضه بل تروم استقصاءه
والزمان لا يسع والعمر ضيق والقوى تقوى والعجز يقعد
فيبقى وقوف بعض المطلوبات حسرات ثم ان العلم دلني على معرفة المعبود
وحثني على خدمته ثم صاحت بي الادلة عليه فوقفت بين يديه فرايته في
نعته ومعرفته بصفاته وعاينت بصيرتي من لطافه ما دعاني الى الهيمان
في محبته وحركني الى التخلي لخدمته وصار يملكني امر كالوجد كلما ذكرته فعادت
خلوتي في خدمتي له احلى عندي من كل حلاوة فكلما ملت الى الانقطاع عن
الشواغل الى الخلوة صاح بي العلم ابن تمضي اتعرض عني وانا سبب معرفتك
فاقول له انما كنت دليلا وقد بعد الوصول فيستغني عن الدليل قال فهيهات كلما
زدت زادت معرفتك بمحبوبك وفهمت كيف القرب منه ودليل هذا انك
تعلم غدا لك اليوم في نقصان او ما تسمعه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم
وقل رب زدني علما ثم الست تبغي القرب منه فاشتغل بدلالة عباده
عليه فهي حالات الانبياء عليهم الصلوة والسلام اما علمت انهم اتوا

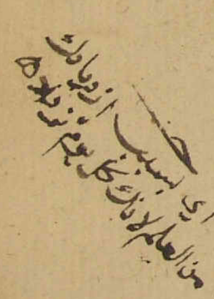

تعليم الخلق على خلوات التعبد لعلمهم ان ذلك اثر عند حبيبهم اما قال الرسول
صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لان يهدي الله بك رجلا خير لك من
حمر النعم فلما فهمت صدق هذه المقالة تهوست على تلك الحالة وكلما
تشاغلت بجمع الناس تفرق همي واذا وجدت مرادي من نفعهم ضعت
انا فابقى في حيرة التحير متردد الا ادري على اي القدمين اعتمد فاذا وقعت
متحيرا صاح العلم ثم لكسب العيال واد أب في تحصيل ولد يكرالله فاذا
شرعت في ذلك قلص ضرع الدنيا وقت الحلب ورايت باب المعاش
مسدودا في وجهي لان صناعة العلم شغلتني عن تعلم صناعة فاذا
التفت الى ابناء الدنيا رايتهم لا يبيعون شيئا من سلعها الا بدين
المشتري وليت من نا فقهم او رياهم نال من دنياهم بل ربما ذهب
دينه ولم يحصل مراده فان قال الصحراهرب قال الشرع كفى بالمرء اثما ان
يضيع من يقوت وان قال العزم انفرد قال فكيف بمن تحول فغاية الامر
انني اشرع في التقلل من الدنيا وقد رهبت في نعيمها وغذيت بلبانها
ولطف من الحي فوق لطف وضعه بالعادة فاذا غيرت لباسي وخشنت
مطعمي لان القوت لا يحتمل الانبساط نفر الطبع لفراق العادة فحل المرض
فقطع عن واجبات واقع في آفات ومعلوم ان لين اللقمة بعيد
التحصيل من الوجوه المستطابة وتخشينها لمن لم يالف سعي في تالف
النفس فاقول كيف اصنع وما الذي افعل واخلو بنفسي في خلواتي
وأريد من الكافة على نقص حالاتي واقول اصوح حال العلماء وجسمي يضعف
عن اعادة العلم وحال الزهاد ونفسي لا يقوى على الزهد وحال العجزة
ومخالطة الخلق تشتت همي وتنقص وتنقش صور المحبوبات من الهوى

ابي قال الشرع او العقل



التكسب

في نفسي فتصدا من آه قلبي وشجرة المحبة تحتاج الى تربية في تربة طيبة تسقى
ماء الخلوة من دولاب الفكرة وان اثرت التكسب لم اطق وان تعرضت
لابناء الدنيا مع ان طبعي الا نفرة من الذل وتديني يمنعني فلا يبقى
للميل مع هذين الجاذبين اثر ومخالطة الخلق تودي النفس مع الانفاس
فلا تحقق التوبة اقدر عليه ولا تحصيل نيل من تبة من علم او عمل او محبة
يصح لي فاذا رايت نفسي كما قال القايل

القاه في اليم مكتوفا وقال له ۞ اياك اياك ان تبتل بالماء

تحيرت في امري وبكيت على عمري وانا دي في خلوات خلواتي بما
سمعته من بعض العوام وكانه وصف حالي

ولحسرتي كم اداري فيك تعثيري ۞ مثل الاسير بلا حلي ولا سير

ملحيلتي في الهوى قد ضاع تدبيري ۞ لما شكلت جناحي قلت لي طيري

فصل تاملت قوله تعالى يحبهم ويحبونه فاذا النفس
تابى محبة اثبات الخالق توجب قلقا وقالت محبة طاعته فتدبرت
ذلك فاذا بها قد جهلت ذلك لغلبة الحس وبيان هذا ان محبة الحس
لا تتعدى الصور الذاتية ومحبة العلم والعمل ترى الصور المعنوية
فحبها فانا نرى خلقا يحبون ابا بكر رضي الله عنه وخلقا يحبون
علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وقوما يتعصبون لاحمد ابن حنبل
وقوما يتعصبون للاشعري فيقتتلون ويبذلون النفوس في ذلك
وليسوا ممن راى صور القوم ولا صور القوم توجب المحبة ولكن لما
تصورت لهم المعاني فدلتهم على كمال القوم في العلوم وقع الحب لتلك
الصور التي شوهدت باعين البصاير فكيف بمن صنع تلك الصور

وقف

وهو الله تعالى

المعنوية وابدلها وكيف لا احب من وهب لي ملذ وذات حسي وعرفني
ملذ وذات علمي فان التلذذ بالعلم وادراك العلوم اولى من جميع اللذات
الحسية فهو الذي علمني وخلق لي ادراكا وهداني الى ما ادركته ثم انه
يتجلى لي في كل لحظة في مخلوق فيه باتقان ذلك المصنوع وحسن ذلك
المصنوع فكل محبوب اتي منه وعنه وبه الحسية والمعنوية وتسهيل سبل الادراك
به والمدركات منه واللذة من كل لذة عرفاني له فلولا تعليمه ما عرفته وكيف لا احب
من اتاني به وبقائي منه وتدبيري بيده ورجوعي اليه وكل مستحسن محبوب
هو صنعه وحسنه وزينه ونزيه وعطى النفوس اليه فذلك الكامل القدرة
احسن من المقدور والعجيب الصنعة احسن من المصنوع ومعنى الادراك لمعلى
عرفانا من المدرك ولو اتينا ابينا نقشا عجيبا لاستغرقنا تعظيم النقاش
وتهويل شانه وطريق حكمته عن حب المنقوش وهذا مما ترقى اليه الافكار
الصافية اذا خرق نظرها الحسابات ونفذ الى ما وراءها فحينئذ تقع محبة
الخالق ضرورة وعلى قدر رقية الصانع في المصنوع يقع الحب له فان قوي
اوجب قلقا وشوقا وان مال بالعارف الى مقام الهيبة اوجب خوفا
وان انحرف الى تلمح الكرم اوجب رجاء قويا فقد علم كل اناس مشربهم

فصل

تاملت حالة عجيبة وهي ان الله سبحانه وتعالى قد بنى هذه الاجسام
منقضة على قانون الحكمة فدل ذلك المصنوع على كمال قدرة ولطيف حكمة
ثم عاد فنقضها فتحيرت العقول بعد ذعانها له بالحكمة في سر ذلك الفعل
فعلمت انها ستعاد في المعاد وان هذه البنية لم تخلق الا لتجوز في مجاز
المعرفة وتتجر في موسم المعاملة فسكنت العقول لذلك ثم رات اشياء
من هذا الجنس اطرق منه مثل احتراق شباب ما بلغ بعض المقصود بنيانه

وتعجب

وقف

فاعجب من ذلك لحذ طفل من اكوابه بتململان ولا يظهر سر سلبه والله الغني
عن لحذه وهما اشد الخلق غفرا الى بقايه واطرق منه ابقاء هرم لا يدري معنى
البقاء وليس له فيه الا عجز اذى ومن هذا الجنس تقتير الرزق على المؤمن الحكيم
وتوسعته على الكافر الاحمق في نظائر لهذه المذكورات بتحير العقل في
تعليلها فيبقى مبهوتا فلم ازل اتلمح جملة النكاليف فاذا عجزت قوى العقل
عن الاطلاع على حكمة ذلك وقد ثبت له حكمة الفاعل علمت قصورها
عن درك جميع المطلوب فاذعنت مقرة بالعجز وبذلك تؤدي مفروض
تكليفها فلو قبل العقل قد ثبت عندك حكمة الخالق بما بنى افيجوز ان
تقدح في حكمته انه نقض لقال لا لاني عرفت بالبرهان الحكيم وانا العجز
عن ادراك علل حكمته فاسلم على رغمي مقرا بعجزي

فصل

اعلم ان شرعنا مضبوط الاصول محروس القواعد لا خلل فيه ولا دخل
وكذلك كل الشرايع انما الآفة تدخل من المبتدعين في الدين والجهال
وقد قارب الضلال في امثال هذه المسالك وان كان عمومهم قد حفظ
من الشرك والشك والخلاف الظاهر لانهم اعقل الامم وافهم غير ان الشيطان
قارب بهم ولم يطمع في اغراقهم وان كان قد اغرق بعضهم في بحار الضلال
فمن ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم جاء بكتاب عزيز من الله عز وجل
قيل في صفته ما فرطنا في الكتاب من شيء وبين ما عساه يشكل مما
يحتاج الى بيانه بسنته كما قيل له لتبين للناس ما نزل اليهم فقال بعد
البيان تركتكم على مثلها بيضاء نقية فجاء اقوام فلم يقنعوا بتبيينه ولم
يرضوا بطريقة اصحابه فجدوا ثم انقسموا فمنهم من تعرض لما تعب الشرع
في اثباته في القلوب فجاء منها فان القرآن والحديث يثبتان الآلة

عز وجل بأوصاف تقرر وجوده في النفوس كقوله تعالى بل يداه مبسوطتان
وقوله تعالى ولتصنع على عيني وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينزل الله الى السماء
الدنيا ويبسط يده لمسيئ الليل والنهار ويضحك ويغضب وكل هذه الاشياء
وان كان ظاهرها يوجب تخايل التشبيه فالمراد منها اثبات موجود فلما
علم الشرع ما يطرق القلوب من التوهمات عند سماعها قطع ذلك بقوله
ليس كمثله شيئ ثم ان هؤلاء القوم عادوا الى القرآن الذي هو الحجة الاكبر وقد
قصد الشرع تقرير وجوده فقال انا انزلناه نزل به الروح الامين فمن لي ومن
يكذب بهذا الحديث وهذا كتاب انزلناه واثبته في القلوب بقوله تعالى
في صدور الذين اوتوا العلم وفي المصاحف بقوله تعالى في لوح محفوظ وقول
الرسول صلى الله عليه وسلم لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو فقال قوم من هؤلاء
مخلوق فاسقطوا حرمته من النفوس وقالوا لم ينزل ولا يتصور نزوله وكيف
تنفصل الصفة عن الموصوف وليس في المصحف الا حبر وعرف فعادوا على
ما تعبت الشارع في اثباته بالمحو كما قالوا ان الله عز وجل ليس في السماء ولا يقال
استوى على العرش ولا ينزل الى السماء الدنيا بل ذاك رحمته فمحوا من القلوب
ما اريد اثباته فيها وليس هذا مراد الشارع وجاء اخرون فلم يقفوا على
ملحه الشرع بل عملوا فيها بارائهم فقالوا الله على العرش ولم يقنعوا بقوله
ثم استوى على العرش ودفن لهم اقوام من سلفهم دفائن ووضعت لهم
الملاحدة احاديث فلم يعلموا ما يجوز عليه مما لا يجوز فاثبتوا بها صفاته
وجمهور الصحيح منها آيات على توسع العرب فاخذوه هم على الظاهر
فكانوا في ضرب المثل كخافان امه قالت له احفظ الباب فقلعه وشى
به فاخذ ما في الدار ولما تخايلوا صورة عظيمة على العرش مثل قوله



ومن اتاني يمشي اتيته هرولة فقالوا ليس المراد به دنو الذات وخطاوا انما المراد
قرب المنزل والحظ وقالوا في قوله تعالى الا ان بانيهم اسري في ظلل يحمل على
ظاهرها في مجئ الذات فهم يحملونه عاما ويحرمونه عاما ويسمون الاضافة
الى الله تعالى صفات فانه قد اضاف اليه النفخ والروح واثبتوا خلقه باليد فلو
قالوا خلقه لم يكن انكار هذا بل قالوا هي صفة تولى بها خلق آدم دون غيره
فاي مزية كانت تكون لآدم فتشغلهم النظر في فضيلة آدم وصرف عن النظر
الى ما هو يليق بالحق مما لا يليق به فانه لا يجوز عليه المس ولا العمل بالآلات
وانما آدم اضافة اليه وقالوا نطلق على الله اسم الصورة لقوله خلق آدم
على صورته وفهموا هذا الحديث وهو قوله عليه الصلوة والسلام اذا ضرب
احدكم فليجتنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ولا وجها اشبه وجهك
فان الله خلق آدم على صورته فلو كان المراد به الله عز وجل لكان وجه الله
سبحانه يشبه وجه هذا الخاصم لان الحديث كذا جاء ولا وجها اشبه وجهك
وروي احاديث خولة بنت حكيم وان كفر وطبه وطبها الله بوج وما
علموا النقل ولا السير وقول الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاءك
على مضر وان المراد به آخر وقعة قاتل فيها المسلمون بوج وهي غزاة حنين
فقالوا نحمل الخبر على ظاهره وان الله وطئ فلان المكان ولا شك ان عندهم
ان الله تعالى كان في الارض ثم صعد الى السماء وكذلك قالوا في قوله ان الله لا يمل
حتى تملوا قالوا يجوز ان الله يوصف بالملل فجهلوا اللغة وما علموا انه لو
كانت حتى هاهنا للغاية لم تكن بمدح لانه اذا مل حتى يملوا فاي مدح وانما
هو كقول الشاعر ٥ حلست متى هذيل بخرق ٥ لا يمل الشر حتى يملوا ٥
والمعنى لا يمل وان ملوا وانما ذكرت بعض اقوالهم ليدل بسكن الى شيئ منها

ای فی الصفات

فالحذر من هؤلاء وانما الطريق طريق السلف على اني اقول لك قد قال احمد بن
حنبل رحمة الله عليه من ضيق علم الرجل ان يقلد في دينه الرجال فلا ينبغي ان
تسمع عن معظم في النفوس شيئا في الاصول فتقلده فيه ولو سمعت عن احد
ما لا يوافق الاصول الصحيحة فضل هذا من الراوي لانه قد ثبت عن ذلك الامام
انه لا يقول شيئا برايه فلو قدرنا صحة عنه فانه لا يقلد في الاصول ولا ابو
بكر ولا عمر رضي الله عنهما فهذا اصل يجب البناء عليه فلا يهولنك ذكر معظم
في النفوس والمقصود شرح ان ديننا سليم وانما ادخل اقواما فيه ما نأوا بنا
فصل رايت كثيرا من الخلق وعالما من العلماء لا ينتهون عن البحث عن اصول الاشياء التي امروا بعلم جملها من غير بحث عن
حقايقها كالروح مثلا فان الله تعالى ستر علمها بقوله قل الروح من امر ربي
فلم يقنعوا واخذوا يبحثون عن ماهيتها ولا يثبت لاحدهم برهان
على ما يدعيه وكذلك العقل فانه موجود بلا شك كما ان الروح موجودة
بلى شك كلاهما يعرف بآثاره لا بحقيقة ذاته فان قال قائل
فما السر في كتم هذه الاشياء قلت لان النفس ما زالت تترقى من حالة الى
حالة فلو اطلعت على هذه الاشياء لترقت الى خالقها فكان ستر ما دونه
زيادة في تعظيمه لانه اذا كان بعض مخلوقاته يعلم جملة فهو اجل واعلا ولو
قال قائل ما الصواعق وما البرق وما الزلازل قلت شيء مزعج ويكفي والسر
في ستر هذا انه لو كشفت حقايقه حق مقدار تعظيمه ومن تلمح هذا الفصل علم
انه فصل غريب فاذا ثبت هذا في المخلوقات فالخالق اجل واعلا فينبغي
ان يوقف في اثباته على دليل وجوده ثم يستدل على جواز بعثه رسله
ثم تتلقى اوصافه من كتبه ورسله ولا يزاد على ذلك ولقد بحث خلق كثير عن

صفاته

قف على هذا الفصل

صفاته بارائهم فعاد وبال ذلك عليهم واذا قلنا انه موجود وعلمنا من كلامه
انه سميع بصير حي قادر كفانا هذا في صفاته ولا نخوض في شيء آخر وكذلك
نقول متكلم والقرآن كلامه ولا نتكلف ولا نتكلف ما خوض ذلك ولم يقل
السلف تلاوة وتلو وقراءة ومقروء ولا قالوا استوى على العرش بذاته ولا
قالوا ينزل بذاته بل اطلقوا ما ورد من غير زيادة ونقول اثبت بالدليل ما لا
يجوز عليه وهذه كلمات كالمثال فقس عليها جميع الصفات تفز سليما
من تعطيل متخاصا من تشبيه فصل عجبت من اقوام يدعون
العلم ويميلون الى التشبيه بحملهم الاحاديث على ظواهرها فلو انهم امروها
كما جاءت سلموا لان من امن ما جاء ومر من غير اعتراض ولا تعرض فما قال
شيئا لا له ولا عليه ولكن اقواما قصرت علومهم فراوا ان حمل الكلام على غير
ظاهره نوع تعطيل ولو فهموا سعة اللغة لم يخطوا هذا وسامهم الا يشابه قول
الحجاج لكاتبه وقد مدحه الخنسا فقالت

اذا هبط الحجاج ارضا مريضة ... تتبع اقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام اذا هز القناة شفاها

فلما اتمت القصيدة قال الكاتبه اقطع لسانها فجاء ذلك الكاتب المغفل
بالموسى فقالت له ويلك انما قال اجزل لها العطاء ثم ذهبت الى الحجاج فقالت
كاد والله يقطع مقولي فكذلك الظاهرية الذين لم يسلموا بالتسليم فانهم من
قرأ الآيات والاحاديث ولم يزدلم المه وهذه طريقة السلف فاما من قال
الحديث يقتضي كذا ويحمل على كذا مثل ان يقول استوى على العرش بذاته
ينزل الى السماء الدنيا بذاته فهذه زيادة فهمها قايله من الحس لا من النقل
ولقد عجبت لرجل اندلسي يقال له ابن عبد البر صنف كتاب التمهيد فذكر فيه

الآله القديم ما يوجب التشبيه لخلقه بما قد دل الدليل على تنزيهه عنه
فمار اليجادل الخصوم بهذه الادلة ويقول لا اقطع حتى اقطع فاقطع حتى
قطع **فصل** من اضر الاشياء على العوام كلام المتاولين والنفاة
للصفات والاضافات فان الانبياء عليهم الصلوة والسلام بالغوا في الاثبات
ليتقرر في نفس العوام وجود الخالق فان النفوس تانس بالاثبات فاذا
سمع العامي ما يوجب النفي طرد عن قلبه الاثبات فكان اعظم ضرر عليه
وكان هذا المنزه من العلماء على زعمه مقاوما لاثبات الانبياء عليهم
الصلوة والسلام بالحق وشارعا في ابطال ما تعبط به وبيان هذان
الله تعالى اخبر باستوائه على العرش فانت النفوس الى اثبات الآله
ووجوده وقال تعالى ويبقى وجه ربك وقال تعالى بل يداه مبسوطتان
وقال غضب الله عليهم رضي الله عنهم واخبر انه ينزل الى السماء الدنيا وقال
قلوب العباد بين اصبعين وقال كتب التوراة بيده وكتب كتابا فهو
عنده فوق العرش الى غير ذلك مما يطول ذكره فاذا امتلأ العامي والصبي
من الاثبات وكاد يانس من الاوصاف بما يفهمه الحس قيل له ليس كمثله شيء
فمحى من قلبه ما نقشه الخيال وتبقى الفاظ الاثبات ممكنة ولهذا قرر الشرع
على مثل هذا فسمع منشدا ينشد

وفوق العرش رب العالمينا ✻ ✻ ✻

الاثبات فقلنا ليس في السماء ولا على العرش ولا يوصف بيد وكلامه صفة قائمة
بذاته وليس عندنا منه شيء ولا يتصور نزوله انما هي من قبله تعظيم المصحف ولم يقع
في هذه اثبات آلهة وهذه جناية عظيمة على الانبياء توجب نقض ما تعبوا في
بيانه ولا يجوز لعالم ان يأتي الى عقيدة عامي قد انس بالاثبات فيهوشها
فانه يفسده ويصعب صلاحه فاما العالم فانا قد اسأنا لانه لا يخفى عليه
استحالة تجدد صفة الله وانه لا يجوز ان يكون استوى كما يعلم ولا يجوز ان
يكون محمولا ولا ان يوصف بملاصقة ولا مس ولا ان ينتقل ولا يخفى عليه
ان المراد بتقليب القلوب بين اصبعين الاعلام بالتحكم في القلوب فان ما يديره
الانسان بين اصبعين هو متحكم فيه الى الغاية ولا يحتاج الى تأويل من قال
الاصبع الاثر الحسن والقلوب بين اثرين من آثار الربوبية اثار الربوبية وهما
الاقامة والازاغة ولا الى تأويل من قال يداه نعمتان لانه اذا فهم ان المقصود
الاثبات وقد حدثنا بما نعقل وضربت لنا الامثال بما نعلم وقد ثبت عندنا
بالاصل المقطوع به انه لا يجوز عليه ما يعرف الحس علمنا المقصود بذكر ذلك
واصلح ما نقول للعوام من ظواهر هذه الاشياء كما جاءت ولا تتعرضوا لتأويلها
وكل ذلك يقصد به حفظ الاثبات وهذا الذي قصده السلف وكان احمد يمنع
من ان يقال لفظي بالقرآن مخلوق او غير مخلوق كل ذلك ليحمل على الاتباع وتبقى
الفاظ الاثبات على حالها وجهل الناس من جاء الى ما قصد النبي صلى الله
عليه وسلم تعظيمه فاضعف في النفوس قوى التعظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو وبشر الى المصحف ومنع الشافعي ان
يجعل الحديث بعلاقة تعظيما له فاذا جاء متخلق فقل الكلام صفة
قائمة بذات المتكلم فعنى قوله هذا انه ما هاهنا شيء يحجزم فهذا

قد ضاد

قد ضاد ما قلت به مقصود الشرع وينبغي ان نفهم اوضاع الشرع ومقاصد
الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد منعوا من كشف ما قد قنع الشرع فنهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلام في القدر ونهى عن الاختلاف لان هذه
الاشياء تخرج الى ما يؤذي فان البحث عن القدر اذا بلغ في فهمه الى ان
يقول قضى وعاقب نزلنا ايمانه بالعدل وان قال يقدر ولم يقض
نزلنا ايمانه بالقدرة والملك فكان الاولى ترك الخوض في هذه الاشياء
ولعل قائلا يقول هذا منع عن الاطلاع على الحقايق وامر بالوقوف مع
التقليد فاقول انما اعلمك ان المراد منك الايمان بالجمل
وامرت بالتفويض ان قوي فهمك تعجز عن ادراك الحقايق فان
الخليل عليه السلام قال اربي كيف تحيي فاراه ولم يره كيف احيا
لان قواه تعجز عن ادراك ذلك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعث
ليبين للناس ما نزل اليهم لم يقع من الناس بنفس الاقرار
واعتقاد الجمل وكذلك كانت الصحابة فما نقل عنهم انهم تكلموا في تلاوة
وسلق وقراءة وعقرة ولا انهم قالوا استوى بمعنى استولى وينزل بمعنى
يرحم بل قنعوا باثبات الجمل التي تثبت التعظيم عند النفوس وكفوا كف
الجبان بقوله تعالى ليس كمثله شيء ثم هذا منكر وتكبير انما يسألون عن الاصول
المجملة فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك ومن فهم هذا الفصل
سلم من تشبيه المجسمة وتعطيل المعطلة ووفق على جادة السلف الاول
والله الموفق **فصل** قدم الى بغداد جماعة من اهل البدع
الاعاجم فارتقوا منابر التذكير للعوام فكان معظم ما سمعهم انهم يقولون
ليس في الارض كلام وهل المصحف الا ورق وعفص والحبر وان الله

ليس في السماء والجارية التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم اين الله كانت خرساء
فاشارت الى السماء اي ليس هو من الاصنام التي تعبد في الارض ثم يقولون
ابن الحروفية الذين يزعمون ان القرآن حرف وصوت هذا عبارة جبرائيل
فمازال الوكد لك حتى هان تعظيم القرآن في صدور اكثر العوام وصار احدهم
يقول هذا هو الصحيح والا فالقرآن شيء يجيء وجبريل في كيس فتنكى
الى جماعة من اهل السنة فقلت لهم اصبروا فلا بد للشبهات
ان ترفع راسها في بعض الاوقات وان كانت مدموغة والباطل جوله
والدجال وكثير وقد لا يخلو بلد من يضرب على البهرج على مثل سكة
السلطان قال قائل فاجيبوا عن قولهم قلت وفقك الله
ان الله عز وجل ارسل رسوله فبعثه الى الخلق بالايمان بالجمل ولم يكلفا
معرفة التفاصيل اما لان الاطلاع على التفاصيل يخبط العقايد واما
لان قوى البشر تعجز عن مطالعة ذلك فاول ما جاء به الرسول صلى الله
عليه وسلم اثبات الخالق ونزل عليه القرآن بالدليل على وجود الخالق بالنظر
في صنعه فقال تعالى من جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وقال تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون ومازال يستدل على وجوده بمخلوقاته وعلى
قدرته بمصنوعاته ثم اثبت نبوة نبيه بمعجزاته فكان من اعظمها
القرآن الذي جاء به فعجز الخلائق عن مثله واكتفى بهذه الادلة جماعة من
الصحابة ومضى على ذلك القرن الاول والمشرب صاف لم يتكدر وعلم
الله عز وجل ما سيكون من البدع فبالغ في اثبات الادلة وملأ بها القرآن
ولما كان القرآن هو منبع العلوم واكثر المعجزات للرسول اكد الامر فيه فقال
تعالى وهذا كتاب انزلناه ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة انه كلام

بقوله

هيهات ان معنى الآدمي هو الروح فمن نظر الى اللحم والدم وقف مع الحس فان قال
هكذا اقول ان المكتوب غير الكتابة قلنا له وهذا مما ننكره عليك لانه لا يثبت
فيق هذا لك ولا نحصرك فان اردت بالكتابة الحبر والتخطيط فهذا ليس هو القرآن وان اردت
المعنى القائم بذلك فهذا ليس هو الكتابة
وهذه الاشياء لا يصلح الخوض فيها فان
ما دونها

بعض التشبيه

فصل اعلم ان الله عز وجل
وضع في النفوس اشياء لا تحتاج الى دليل فالنفوس تعلمها ضرورة واكثر
الخلق لا يحسنون التعبير عنها فانه وضع في النفس ان المصنوع لا بد له
من صانع وان المبني لا بد له من بان وان الاثنين اكثر من الواحد وان
الجسم الواحد لا يكون في مكانين في حالة واحدة فمثل هذه الاشياء

لاتحتاج الى دليل والهم العرب النطق بالصواب من غير لحن ثم فهم يفرقون
بين المرفوع والمنصوب بامارات في جبلتهم وان عجزوا عن النطق بالعلة
قال عثمان ابن جني سالت يوما ابا عبد الله محمد ابن العساف العقيلي
فقلت كيف تقول ضربت اخوك فقال اقول ضربت اخاك فادرته
على الرفع فابى وقال لا اقول اخوك ابدا قال فكيف تقول ضربني اخوك
فرفع فقلت اليس زعمت انك لا تقول اخوك ابدا فقال ايش هذا اختلفت
جهتهما في الكلام وهذا دل شيء على تاملهم مواقع الكلام واعطائهم
اياها في كل موضع حقه وانه ليس استرسالا ولا ترجيما قال عثمان واللغة
هي اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم **فصل** من اكبر دليل
على وجود الخالق سبحانه ان هذه النفس الناطقة المميزة المحركة للبدن
على مقتضى ارادتها ودبرت مصالحها وترقت الى معرفة الافلاك والتسبب
ما امكن من العلوم تحصيله وشاهدت الصانع في المصنوع فلم يجبها
ستر وان تكاثف لا تعرف مع هذا ماهيتها ولا كيفيتها ولا جوهرها ولا
محلها وانتقالها ولا يفهم من اين جاءت ولا يدري اين تذهب ولا كيف
تعلقت بهذا الجسد وهذا كله يوجب عليها ان تعتقد ان لها موجدا مدبرا
وخالقا وكفى بذلك دليلا عليه اذ لو كانت وجدت بها لعرفت
احوالها عنها فسبحانه سبحانه **فصل** ما نهى السلف عن
الخوض في الكلام الا لامر عظيم وهو ان الانسان يريد ان ينظر ما لا يقدر
يقوى عليه بصره فربما تحير فخرج الى العجب لانا اذا نظرنا في ذات الخالق
حار العقل وبهت الحس لانه لا يعرف شيئا لا بداية له لا يعلم الا الجسم والجوهر
والعرض فاثبات ما يخرج عن ذلك لا يفهمه وان نظرنا في افعاله رايناه



يحكم البناء ثم ينقض ولا نطلع على تلك الحكمة فالاولى العاقل ان يكف
التطلع الى ما لا يطيق النظر اليه ومتى قام العقل فنظر في دليل وجود الخالق
بصنوعاته ولحاز بعثة نبي واستدل بمعجزاته كفاه ذلك ان يتعرض
لما قد نهي عنه واذا قال القرآن كلام الله تعالى بدليل قوله حتى يسمع كلام الله
كفاه واما من تحذلق فقال التلاوة هي المتلو وغير المتلو والقراءة هي
المقروء وغير المقروء فيضيع الزمان في غير تحصيل والمقصود العمل بما فهم
وقد جلى ان ملكا كتب الى عماله في البلدان اني قادم عليكم فاعملوا كذا
وكذا ففعلوا الا واحدا منهم فانه قعد يتفكر في الكتاب فيقول اترى
كتبه بمداد ام بحبر اترى كتبه قائما او قاعدا فما زال يتفكر
حتى قدم الملك ولم يعمل مما امر شيئا فاحسن جوائز الكل وقتل هذا
**فصل** اصل كل محنة في العقايد قياس الخالق على احوال الخلق
فان الفلاسفة لما راوا ايجاد شيء كالمستحيل في العادات قالوا بقدم
العالم ولما عظم عندهم في العادة الاحاطة بكل شيء قالوا انه
يعلم الجمل لا التفاصيل ولما راوا تلف الابدان بالبلاء انكروا اعادتها وقالوا
لاعادة رجوع الارواح الى معادنها وكل من قاس صفة الخالق على صفات
المخلوقين خرج الى الكفر فان المجسمة دخلوا في ذلك لانهم حملوا اوصافه على
ما يعقلون وكذلك تدبيره عز وجل فان من حمله على ما يعقل في
العادات راى ذبح الحيوان لا يستحسن والامراض تستقبح وقسمة
الغنى للابلبه والفقر للجلد العاقل امر بنى في الحكمة وهذا في الاوضاع بين
الخلق فاما الخالق سبحانه فان العقل لا ينتهي الحكمة بل قد ثبت
عنده وجوه وملكه وحكمته فتعرضه بالتفصيل على ما يجري به

عادات الخلق جهل الا ترى الى اول المعترضين وهو ابليس كيف ناظر فقال انا
خير منه وقول خليفته وهو ابو العلا المعري رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا
فنسأل الله عز وجل توفيقا للتسليم وتسليما للحكيم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد
اذ هديتنا اترى نقدر على تعليل افعاله فضلا عن مطالعة ذاته وكيف نقيس امره
على احوالنا فانا اذا رأينا نبينا صلى الله عليه وسلم يسأل في امه وعمه فلا يقبل
منه والدنيا ملك سيده ويقتل اصحابه والنصر بيده القرآن ليس هذا مما
يحير فالنا والاعتراض على مالك قد ثبتت حكمته واستقر ملكه **فصل**
اصرها على العوام المتكلمون فانهم يخبطون عقايدهم بما يسمعونه منهم ومن
اقبح الاشياء ان يحضر العامي الذي لا يعرف ارکان الصلوة ولا الربا في البيع
مجلس الوعظ فلا ينهاه عن التواني في الصلوة ولا يعلمه الخلاص من الربا بل
يقوله القرآن قائم بالذات والذي عندنا مخلوق فيهون القرآن عند
ذاك العامي فيحلق به على الكتب ويح المتكلم لو كان له فهم لعلم ان الله سبحانه
وتعالى نصب اعلاما فانس بها النفوس وتطمئن اليها كالكعبة
وسماها بيته والعرش وذكر استواءه عليه وذكر من صفاته اليد والسمع
والبصر والعين وينزل الى السماء الدنيا ويضحك وكل هذا لتانس النفوس
بالعادات وقد جل مما تضمنه هذه الصفات من الجوارح وكذلك عظم
امر القرآن ونهى الحديث ان يمس المصحف فكل الامر يقوم من المتكلمين ان
لحاظ الاستجابة فهؤلاء على معاندة الشريعة لانهم يهينون ما عظم
الشرع وهل الاغال في الكلام مما يقرب الى معرفة الحقايق التي لا يمكن
خلافها هيهات لو كان كذلك ما وقع بين المتكلمين خلاف اول ليس الترب
الاول ما تكلموا في شيء من هذا وان كانوا تعرضوا بعض الاصول ثم جاء فقهاء

الامصار



الامصار فمنعوا من الخوض في الكلام لعلمهم بالجلب ومن لم يقنع بعقيدة
مثل عقيدة الصحابة ولا بطريق مثل طريق احمد والشافعي في ترك الخوض
فلا كان من كان ثم بادر تأملوا ليس قد وجب علينا هجر الربا بقوله تعالى
ولا تأكلوا الربا وهجر الزنا بقوله ولا تقربوا الزنا فاي فايدة لنا في ذكر قراءة
وحرف وتلاوة ومتلو وقديم ومحدث فان قيل فلا بد من اعتقاد
قلنا طريق السلف اوضح محجة لا انا نقوله تقليدا بل بالدليل ولكنا لم
نستفده عن جوهر وعرض وحرف الا بحجة بل بادلة النقل مع مساعدة
العقل من غير بحث عما لا يحتاج اليه وليس هذا مكان الشرح **فصل**
رايت كثيرا من المغفلين يظهر عليهم السخط بالاقدام فيهم من قل ايمانه فاخذ
يعترض وفيهم من خرج الى الكفر ورأى ان ما يجري كالعبث وقال ما فايدة
الاعدام بعد الايجاد والابتلاء من هو غني عن اذانا فقلت لبعض من
كان يرمز الى هذا ان حضر عقلك وقلبك حدثتك وان كنت تتكلم بمجرد
واقعك من غير نظر بانصاف فالحديث معك ضايع ويحك احضر عقلك
واسمع ما اقول اليس قد ثبت ان الحق سبحانه مالك والمالك ان يتصرف
كيف شاء اليس قد ثبت انه حكيم والحكيم لا يعبث وانا اعلم ان في نفسك من
هذه الكلمة شيء فانه قد سمعنا عن جالينوس انه قال ما ادري الحكيم هو
ام لا والسبب في قوله هذا انه راى نقصا بعد احكام ففاس الحال على الحال
الخلق وهو ان من بنى ثم نقض لا لمعنى فليس بحكيم وجوابه لو كان حاضرا ان
يقال له ماذا بان لك ان النقض ليس بحكمة اليس بعقلك الذي وهبه الصانع
وكيف يهب لك الذهن الكامل ويفوته هو الكمال وهذه المحنة التي جرت
لا بليس فانه لحد يعيب الحكمة بعقله فلو تفكر علم ان واهب العقل لعلا

بيان لا يتجزى

من العقل وان حكمته اوفى من كل حكيم لانه بحكمته التامة انشأ العقول فهذا
اذا تامله المنصف زال عنه الشك وقد اشار سبحانه الى نحو هذا بقوله تعالى
الكم البنات ولكم البنون اي جعل لنفسه الناقصات واعطاكم الكاملين فلم يبق
الان نضيق العجز عن فهم ما يجري الى انفسنا ونقول هذا فعل عالم حكيم ولكن
ما بين لنا معناه وليس هذا بعجب فان موسى عليه السلام خفي عليه
وجه الحكمة في نقض السفينة الصحيحة وقتل الغلام الجميل فلما بين له الخضر وجه
الحكمة اذعن فلتكن مع الخالق كموسى مع الخضر ولسنا نرى المائية المستحسنة
بما عليها من فنون الطعام النظيف الظريف يقطع ويمضغ ويبتلع بتلك
الافعال ولا ننكر الافساد لعلمنا بالمصلحة الباطنة فيه فما الذي المانع
ان يكون فعل الحق سبحانه له باطن لا نعلمه ومن اجهل الجهال العبد المملوك
اذا طلب ان يطلع على سر مولاه فان فرضه التسليم لا الاعتراض ولو لم يكن
في الابتلاء بما تنكره الطباع الا ان يقصدها اذعان العقل وتسليمه لكفى
ولقد ملت حالة عجيبة يجوز ان يكون المقصود بالموت هي وذلك ان
الخالق سبحانه يغيب في غيب لا يدركه الاحساس فلو انه لم ينقض هذه
البنية لتخايل للانسان انه صنع لا بصانع فاذا وقع الموت عرفت النفس
نفسها التي كانت لا تعرفها لكونها في الجسد وتدرك عجايب الامور
بعد حيلها فاذا ردت الى البدن عرفت ضرورة انها مخلوقة لمن
اعادها وتذكرت حالها في الدنيا فان الانكار يعاد كما تعاد الابدان
فيقول قائلهم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ومتى رات ما وعدت به
من امور الآخرة ايقنت يقينا لا شك معه ولا يحصل هذا باعادة بيت
سواها وانما يحصل برؤية هذا الامر فيها فيبنى بنية تقبل البقاء وتسكن





جنة لا ينقضي دوامها فيصلح بذلك اليقين ان تجاور الحق لانها آمنت
بما وعد وصبرت بما ابتلي وسلمت لاقداره فلم تعترض ورات في غيرها
العبر ثم في نفسها فهذه التي يقال لها ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي فاما الشاك والكافر فيحق لهما
الدخول الى النار واللبث فيها لانهما رايا الادلة ولم يستفيدا وبان لهما الحكيم
واعرضا عليه فعاد شوم كفرهما بطمس قلوبهما فبقيت على ما كانت عليه
فلما لم تنتفع بالدليل في الدنيا لم تنتفع بالموت والاعادة ودليل بقاء
الخبث في القلوب قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فسبحان الله عز وجل
عقلا عقلا مسلما يقف على حده ولا يعترض على خالقه ثم الويل للمعترض
ابدا اعتراضه الاقدار فما يستفيد الا الخزي نعوذ بالله من خذلان

## فصل

تاملت سبب تخليط العقايد فاذا به الميل الى الحس وقياس الغايبات
على الحاضر فان اقواما غلب عليهم الحس فلما لم يشاهدوا الصانع جحدوا
وجوده ونسوا انه قد اظهر بافعاله وادهنه الافعال لا بد لها من فاعل
فان العاقل اذا مر على صحراء خالية ثم عاد وفيها غرس وبناء علم قطعا
انه لا بد من غارس وبان اذ الغرس لا يكون بنفسه ولا البناء ثم جاء
قوم فاثبتوا وجود الصانع ثم قاسوه على صنعهم فشبهوا حتى ان قائلهم
يقول في قوله ينزل الى السماء ينتقل ويستدل بان العرب لا تعرف النزول
الا الانتقال وضل خلق كثير في صفاته كما ضل خلق في ذاته فظن اقوام انه
يتاثر حين سمعوا انه يغضب ويرضى ونسوا ان صفته قديمة لا يحدث
منها شيء وضل خلق في افعاله فاخذوا يعللون فلم يقعوا على شيء فخرج
منهم قوم الى ان نسبوا فعله الى الله تعالى عن ذلك ومن رزق التوفيق

فليحض قلبه لما اقول اعلم ان ذاته سبحانه لا تشبه الذوات وصفاته ليست
كالصفات وافعاله لا تقاس بافعال الخلق اما ذاته سبحانه فانا لا نعرف
ذاتا الا ان تكون جسما وذلك يستدعي سابقة تاليف وهو منزه عن ذلك
لانه المؤلف او ان يكون جوهرا فالجوهر متحيز وله امثال وقد جل عن ذلك
او عرضا فالعرض لا يقوم بنفسه بل بغيره وقد تعالى عن ذلك فاذا اثبتنا
ذاتا قديمة خارجة عما نعرف فليعلم ان الصفات تابعة لتلك الذات فلا
يجوز لنا ان نقيس شيئا منها على ما نعقله ونفهمه بل نؤمن به ونسلمه
وكذلك افعاله فان احدنا لو فعل فعلا لاجتلب به نفعا او لدفع به
عنه ضررا عند عابثا وهو سبحانه اوجد الخلق لا لنفع يعود اليه ولا لدفع
ضرر اذ المنافع لا تصل اليه والمضار لا تتطرق عليه فان قال قائل انما
خلق الخلق لينفعهم بطل هذا القول بمن خلقه للكفر وعذبه ثم نراه يرحم
الحيوان والاطفال ويخلق المضرات وهو قادر ان لا يفعل ذلك فان
قال انه يثيب على ذلك قلنا هو قادر ان يثيب بلا هذه الاشياء فان
السلطان لو اراد ان يغني فقيرا فرحه ثم اغناه لم يلم على ذلك لانه قادر ان
يغنيه بلا جراح ثم من يرى يلجرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه
من الجوع والقتل مع قدرة الناصر ثم يسأل في لمه فلا يجاب لو كان المسؤل
بعضنا قلنا لم تمنع ما لا يضرك غير ان الحق سبحانه لا تقاس افعاله على
افعالنا فلا تعلل والذي يوجب علينا التسليم ان حكمته فوق العقل
فهي تقضي على العقول والعقول لا تقضي عليها ومن قاس فعل على
افعالنا غلط الغلط الفاحش وانما هلكت المعتزلة من هذا الفن فانهم
قالوا كيف يامر بشيء ويقضي بامتناعه ولو ان انسانا دعانا الى داره

ثم اقام



ثم اقام من يصد الداخل ليعيب ولقد صدقوا فيما يتعلق بالمشاهد فلما
من افعاله لا تعلل ولا يقاس بمشاهد فانا لا نصل الى معرفة حكمته
فان قال قائل علمني فكيف يمكنني ان اقود عقلي الى ما ينافيه قلنا
لا منافاة لان العقل قد قطع بالدليل الجلي انه حكيم وانه مالك والحكيم
لا يفعل شيئا الا لحكمة غير ان تلك الحكمة لا يعقلها العقل الا ترى ان الخضر
خرق سفينة وقتل شخصا فانكر عليه موسى عليهما السلام بحكم العلم
ولم يطلع على حكمة فعله فلما اظهر له الحكمة اذعن ولله المثل الاعلى فاياك
اياك ان تقيس شيئا من افعاله على افعال الخلق او شيئا من صفاته
او ذاته سبحانه وتعالى فانك ان حفظت هذا سلمت من التشبيه الذي وقع
فيه من راى الاستوى اعتماد والنزول نقلة ونحوت من الاعراض الذي لزم
قوما الى الكفر حتى طعنوا في الحكمة واول القوم ابليس فانه راى تقديم الطين على
النار ليس بحكمة فنسي انه انما علم ذلك بزعمه بالفهم الذي وهبه والعقل الذي
منحه فنسي ان الواهب اعلم اولم ير وان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة
ولقد ارد ت لابن الرومي اعتراضا على من يقول بتخليد الكفار في النار ينبغي
ان يعقل كلما يقوله العقل ولا رد بعضه اذ ليس رد بعضه باولى من رد
الكل وتخليد الكفار لا غرض فيه للمعذب ولا للمعذب فلا يجوز ان يكون
فقلت العجب من هذا الذي يدعي وجود العقل ولا يعقل عنه واولى
ما اقول له اصح عندك الخبر عن الخالق سبحانه انه اخبر بخلود اهل النار ام لم يصح
فان كان ما صح عنه فالكلام اذن في اثبات النبوة وصحة القرآن فما وجه
ذكر الفرع مع جحد الاصل وان قال قد ثبت عندي فواجب عليه ان يحمل
لاقامة العذر لا ان يقف في وجه المعارضة وانما ينكر هذا من ياخذ الامر من

عنده لعنه

الشاهد وقد بيّنا ان ذات الحق سبحانه لا كالذوات وان صفته لا كالصفات
وان افعاله لا تعلل ولو تلمحنا شيئا من التعليل لخلود الكفار لبان اذ من
الجايز ان يكون دوام تعذيبهم لاظهار صدق الوعيد فانه قال من كفر فهو في خلدة
في العذاب ولا جناية كالكفر ولا عقوبة كدوام الاحراق فهو يدوم ليظهر صدق
الوعد ومن الجايز ان يكون ذلك لتتمة تنعم المؤمنين فانهم اعداء الكفار وقد
قال سبحانه ويشف صدور قوم مؤمنين وكم من قلق في صدر بلال وحنق على
ابي جهل فيما فعل به وكم غم في قلب عمار وامه سمية وغيرهم من افعال الكفار
بهم فدوام عذابهم شفاء لغليل اهل الايمان ومن الجايز ان يدوم العذاب
لدوام الاعتراض وذكر المعايب بما لا يحسن فكلما زاد عذابهم زاد كفرهم
واعتراضهم فهم يعذبون لذلك ودليل دوام كفرهم به ويحلفون له كما يحلفون
لكم فاذن كفرهم ما زال ومعرفتهم به ما حصلت والشركاين في المواطن وعلى
ذلك يقع التعذيب ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه **فصل** ينبغي للمؤمن
بالله سبحانه اذا نظر في الفصل الذي قدمنا هذا ان لا يعترض على الله سبحانه
في شيء لا في باطنه ولا في ظاهره ولا يطلب تعليلات افعاله فان المتكلمين
اعرضوا عن السنن وتكلموا بارائهم فاصغى لهم شرب بدليل اختلافهم وكذلك
اصحاب القياس لما اعملوه جاءت احاديث تعكر عليهم والصواب التعليل
لما يمكن والتسليم لما يخفى وكذلك سؤال الحق سبحانه فاذا دعى المؤمن ولم ير
اجابة سلم وفوض ولم يقل للمنع فيقول ربما يكون المنع اصلح وربما يكون
لاجل ذنوبي وربما يكون التاخير اولى وربما لم يكن هذا مصلحة واذا
لم يجد تاويلا لم يختلج في باطنه نوع اعتراض بل يرى انه قد تعبد بالدعاء فان
انعم عليه فبفضل وان لم يجب فمالك يفعل ما يشاء على ان اكثر السؤال انما يقع

في طلب



في طلب اغراض الدنيا التي اذا اردت كان اصلح فليكن هم العاقل في اقامة حق
الحق والركض بتدبيره وان ساء فتى اقبلت عليه اقبل على اصلاح شانك
واذا عرفت انه كريم قلّ له ولا تسال ومتى اقبلت على طاعته فحال ان يجود
صانع ويبخع في العمل ثم لا يعطي الاجرة **فصل** ليس على العوام اضر من
سماعهم علم الكلام وانما ينبغي ان يحذر العوام من سماعه والخوض فيه كما
يحذر الصبي من شاطي النهر خوف الغرق وربما ظن العامي ان له قوة يدرك
بها هذا وهو فاسد فانه قد زل في هذا خلق من العلماء فكيف العوام وما رايت
الحق من جمهور قصاص زماننا فانه يحضر عندهم العوام الغثر فلا ينهونهم
عن خرق وزنا وغيبة ولا يعلمونهم ان كان الصلوة ووضايف التعبد بل يملاون
الزمان بذكر الاستواء وتاويل الصفات وان الكلام قايم بالذات فيتاذى بذلك
من كان قلبه سليما وانما على العامي ان يؤمن بالاصول الخمسة بالله وملايكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر ويقنع بما قال السلف القرآن كلام الله غير مخلوق والاستواء حق
والكيف مجهول ويعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلف الاعراب سوى مجرد
الايمان ولم يتكلم الصحابة في الجواهر والاعراض فمن مات على طريقهم مات مؤمنا
سليما من بدعة ومن تعرض لساحل البحر وهو لا يحسن السباحة فالظاهر
غرقه **فصل** من تفكر في عظمة الله عز وجل طاش عقله لانه يحتاج ان
يثبت موجودا اولا لوجوده وهذا شيء لا يعرف بالحس وانما يقرب العقل
ضرورة وهو متحير بعد الاقرار ثم يرى من افعاله ما يدل على وجوده فلا
يخفى وجوده ثم يجري في اقداره امورا لا ثبوت الدليل على وجوده لاوجبت
الجحد فانه يفرق البحر لبني اسرائيل وذلك شيء لا يقدر عليه سوى الخالق
ويصير العصا حية ثم بعدها عصى وتلقف ما صنعوا ولا يزيد فيها شيء

قف على ما على العامي

قف

فهل بعد هذا بيان ساطع فاذا امنت السحرة تركهم مع فرعون يصلبهم ولا يمنع
والانبياء يبتلون بالجوع والقتل وزكريا ينشر ويحيى تقتله زانية ونبينا
صلى الله عليه وسلم يقول كل عام من يوم بني من ينصرني فيكاد الجاهل يجود الخالق
يقول لو كان موجودا موجودا لنصر اولياءه فينبغي للعاقل الذي قد ثبت
عنده وجوده بالادلة الظاهرة الجلية ان لا يمكن عقله من الاعتراض عليه
في افعاله ولا يطلب لها علة اذ قد ثبت انه مالك حكيم فاذا خفي عليه وجه الحكمة
في فعله نسبه الى قصوره فهو منا وكيف لا وقد عجز موسى عليه السلام ان يعرف حكمة
خرق السفينة وقتل الغلام فلما بان له حكمة ذلك الفساد في الظاهر اقر فلو قد
بانت بان له حكمة ذلك بانت الحكمة في افعال الخالق بحد العقل بحد موسى
يوم الخضر فمتى رابت العقل يقول لم فالجمه بان تقول له يا عاجز انت لا تعرف
حقيقة نفسك فمالك والاعتراض على المالك وربما قال العقل اي فائدة
في الابتلاء وهو قادر ان يثيب ولا بلاء واي غرض في تعذيب اهل النار وليس
ثم تشفي فقل الحكمة فوق مرتبتك فسلم لما لا تعلم فان اول من اعترض
بعقله ابليس فراى فضل النار على الطين وقد رانا خلقا كثيرا وسمعنا عنهم
انهم يقدحون في الحكمة لانهم يحكمون العقول بمقتضاها فيكفيك ان
حكمة الخالق وراء العقول فاياك ان تفسح لعقلك في تعليل فان تطلب
له جواب اعتراض وقل له سلم تسلم فانك تدري غور البحر الا وقد
ادركك الغرق قبل ذلك هذا اصل غلط عظيم متى فات الآدمي اخرجه الاعتراض
الى الكفر **فصل** ادعى الطبايعيون ان مادة الموجودات الماء والتراب
والنار والهوى فاذا كان في القيمة اذهب الاصول ثم اعاد الحيوان لبعلم انها
كانت بالقدرة لا عن تاثير الكليات ومن قدح في البعث فقد قدح بالغ في القدح



ظ علينا

لعله سقط
العقل او نحوه



في الحكمة ومن قال الروح فقد بعد البعث لان العرض لا يبقى والاجساد تصير
ترابا فان وجد شيء فهو ابتداء خلق كلا والله بل يعيد النفس بعينها بدليل
اعادة مذكورا تها قال قايل فهم اني كان لي قرين وغرته ان لطفه في البداية دليل
على انه يحسن من الوالدين واجرى اللبن في الثدي وانشأ الاطعمة واطلع
العقل على العواقب افيحسن ان يقال بعد هذا التدبير انه يهمل بعد الموت فلا
يبعث اترى من الحسن ان يعرف فانشأ الخلق وقال كنت كنزا لا اعرف فاحببت
ان اعرف يوثران بعدهم فجهل قدره سبحان من اعمى اكثر القلوب عن معرفته
**فصل** سبحان من ظهر لخلقه حتى لم يبق خفاء ثم خفي حتى
كانه لا ظهور اي ظهور اجلى من هذه المصنوعات التي كلها تنطق بان
لي صانعا صنعني ورتبني على قانون الحكمة خصوصا هذا الآدمي الذي
انشاه من قطرة وبناه على اعجب فطرة ورزقه الفهم والذهن واليقظة
والعلم وبسط له المهاد واجرى له الماء والريح واجرى له الزرع ورفع من
فوقه السماء واوقد له مصباح الشمس بالنهار وجعل له الظلمة ليسكن الى
غير ذلك مما لا يخفى وكله ينطق بصوت فصيح يدل على خالقه وقد تعالى
الخالق سبحانه بهذه الافعال فلا خفاء ثم بعث الرسل فقرأ من الدنيا
ضعف الابدان فقهر بهم الجبابرة واظهر على ايديهم من المعجزات ما لا
يدخل تحت مقدور بشر وكل ذلك ينطق وقد تعالى سبحانه بذلك ثم
بانى موسى عليه السلام الى البحر فينفرق فلا يبقى شك في ان الخالق
فعل هذا ويكلم عيسى عليه السلام الميت فيقوم ويبعث طيرا بابيل
تحفظ بيته وتهلك قاصديه وهذا مع بطول ذكره كله يدل على تجلي
الخالق سبحانه بغير خفاء فاذا ثبت عند العقول ذلك من غير ارتياب

انظر
الهفه الحكم
العجيبة

ولاشارجاءت اشياء كانها تستر الظاهر على ما سبق من تسليط الاعداء على
الاولياء واذا ثبت التجلي بادلة لاتحتمل التاويل علمت ان لهذا الخفاء سرًّا لا يعلمه
معترض فعلى العقل فيه التسليم للحكيم فمن سلم سلم ومن اعترض هلك

فصل قد يدعي اهل مذهب الاجتهاد في طلب الصواب
واكثرهم لا يقصد الحق فترى الراهب يتعبد ويتخوع واليهودي يذل ويؤدي
الجزية وصاحب كل مذهب يبالغ فيه ويحتمل الضيم والاذى طلبًا للهدى
وتحصيل الاجر ومع هذا فتقطع بضلال الاكثرين وهذا قد يشكل وانما كشفه
انه ينبغي ان يطلب الهدى باسبابه ويستعمل الاجتهاد بالاته فاما من
فاتته الاسباب او فقد بعض الآلات فلا يقال له مجتهد فاليهود والنصارى
بين عالم قد عرف صدق نبينا صلى الله عليه وسلم ثم يمسك لرياسته فهذا
معاند وبين مقلد لا ينظر فهذا مهمل فهو متعبد بخلاف الاصل وهذا
لا ينفع وبين ناظر لم ينظر حق النظر فيقول في التوراة ان ديننا لا ينسخ
وهو على غير ثقة ان هذا غير معول ولا مدخل فيها ويقول التشبيه ذا ولا ينظر
في الفرق فينبغي ان ينظر حق النظر ومن هذا الجنس تعبد الخوارج مع
اقتنعهم بعلمهم القاصر وقولهم لا حكم الا لله ولم يفهموا ان التحكيم من حكم الله
فجعلوا قتال علي رضي الله عنه وقتله مبنيًا على ظنهم الفاسد ولما نهب
مسلم ابن عقبة المدينة وقتل الخلق قال ان دخلت النار بعد هذا اني لشقي
فظن بجهله انهم لما خالفوا بيعة يزيد يجوز استباحتهم وقتلهم فالويل
لعابي قليل العلم لا يتهم نفسه في واقعة ولا يذكر به من هو اعلم منه بل يقطع
بظنه ويقدم وهذا اصل ينبغي تامله فقد هلك في هذه الحالة خلق لا تحصى
وقد راينا خلقًا من العوام اذا وقع لهم واقع لم يقبلوا فتوى له عالم ناصح

تصلى



١٧

تصلى نار الحامية فصل سالني سائل فقال قد قال بعض
الحكماء من لم يحترز بعقله من عقله هلك بعقله فما معنى هذا فبقيت
مدة لا ينكشف لي المعنى ثم اتضح وذلك انه اذا طلبت معرفة ذات الخالق
سبحانه من العقل فرع الى الحس فوقع التشبيه فالاحتراز من العقل بالعقل
هو ان ينظر فيعلم انه لا يجوز ان يكون جسمًا ولا شبهًا لشيء واذا نظر
العاقل الى افعال الباري سبحانه راى اشياء لا يقتضيها مثل الآلام والذبح
للحيوان وتسليط الاعداء على الاولياء مع القدرة على المنع والابتلاء بالمجاعة
للصالحين والمعاقبة على الذنب بعد الذنب بزلة في اشياء كثيرة من هذا
الجنس فيعرضها العقل على العادات في تدبيره فيرى ان الحكمة تظهر له
فيها فالاحتراز من العقل ان يقال له اليس قد ثبت عندك انه مالك
وانه حكيم وانه لا يفعل شيئًا عبثًا فيقول بلى فيقال فمن تحرز من تدبيرك
الثاني بما ثبت عندك في الاول فلم يبق الا انه خفي عليك وجه الحكمة
في فعله فيجب التسليم لمن علمنا انه حكيم فحينئذ يذعن ويقول قد سلمت
وكثير من الخلق نظر وا بمقتضى واقع العقل الاول فاعترضوا حتى ان العالمي
يقول كيف قضى علي وعاقبني ولم ضيق وبرقي وما وجه الحكمة في ابتلائي
بفنون البلاء ولو انه تلمح انه مالك حكيم لم يبق الا التسليم لما خفي ولقد
انس ببديهة العقل خلق من الاكابر اقلهم ابليس فانه قد راى
تفضيل النار على الطين فاعترض وراينا خلقًا ممن ينتسب الى العلم قد
زلوا في هذا اعتراضا وراوا ان كثيرا من الافعال لا حكمة تحتها والسبب
ما ذكرنا وهو الانس بنظر العقل في البديهة والعادات والقياس على الافعال
المخلوقين ولو استخرجوا علم العقل الباطن وهو انه قد ثبت الكمال للخالق

ونفى عنه النقايص واعلم انه حكيم لا يعبث فبقي التسليم لما لا يعقل واعتبر هذا بحال الخضر وموسى عليهما السلام فانه لما فعل الخضر اشياء تخرج عن العادات انكر موسى ونسي اعلامه له بان انظر فيما لا تعلمه من العواقب فاذا خفيت مصلحة العواقب على موسى عليه السلام مع مخلوق فاولى ان يخفى علينا كثير من حكمة الحكيم وهذا اصل ان لم يثبت عند الانسان اخرجه الى الاعتراض والكفر وان ثبت استراح عن نزول كل آفة

**فصل**

من الجهل ان يخفى على الانسان مراد التكليف فانه موضوع على عكس الاغراض فينبغي للعاقل ان يانس بانعكاس الاغراض فان دعي وسأل ولم يبلغ غرض تعبه بالدعاء فان اعطي مراده شكر والا لم ينل مراده فلا ينبغي ان يبالغ في الطلب لان التعب ليست لبلوغ الاغراض وليقل لنفسه وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ومن اعظم الجهل ان يتغص في باطنه لانعكاس اغراضه وربما اعترض في الباطن وربما قال حصول غرضي لا يضر ودعائي لم يستجب وهذا كله دليل على جهله وقلة ايمانه وتسليمه للحكمة ومن الذي يحصل الغرض ثم لم يكدر هذا آدم عليه السلام طاب عيشه في الجنة وخرج منها ونوح عليه السلام سأل في ابنه فلا يعطى مراده والخليل عليه السلام يبتلى بالنار واسحق عليه السلام بالذبح ويعقوب عليه السلام بفقد الولد ويوسف عليه السلام بمجاهدة الهوى وايوب عليه السلام بالبلاء وداود وسليمان عليهما السلام بالفتنة وجميع الانبياء على هذا وما نفى نبينا صلى الله عليه وسلم من الجوع طلاذي وكدر العيش فمعلوم فالدنيا وضعت للبلاء فينبغي للعاقل ان يوطن على الصبر وان يعلم ان ما حصل من المراد فلطف وما لم يحصل فعلى اصل الخلق والجبلة للدنيا كما قيل

طبعت على كدر وانت تريدها ... صفوا من الاقذاء والاكدار





ومكلف الايام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

وها هنا بين قوة الايمان وضعفه فليستعمل المؤمن من ادوية هذا المرض التسليم للمالك والتحكيم لحكمته وليقل قد قيل ليبدا الحمل ليسلك من الامر شيء ثم ليسل نفسه بان المنع ليس من بخل وانما هو لمصلحة لا يعلمها وليوجر الصابر عن اغراضه وليعلم ان الله الذين سلموا ورضوا فان زمن الابتلاء مقدار يسير والاغراض مدخرة تلقى بعد قليل وكانه بالظلمة قد انجلت وبفجر الاجر قد طلع ومتى ارتقى فهم الى ان ما جرى من الحق سبحانه اقتضا ايمانه ان يريد ما يريد ويرضى بما قدر اذ لو لم يكن كذلك كان خارجا عن بقية العبودية في المعنى وهذا اصل ينبغي ان يتامل ويعمل عليه في كل غرض انعكس

**فصل**

تاملت على قوم يدعون العقول يعترضون على حكمة الخالق فينبغي ان يقال لهم هذا الفهم الذي دلكم على رد حكمة ابليس هو من منحه اما اعطاكم الكمال ورضي لنفسه بالنقص هذا الكفر المحض الذي يزيد في القبح على الحد فاول القوم ابليس فانه راى بعقله ان جوهر النار اشرف من جوهر الطين فرد حكمة الخالق ومن على هذا خلق كثير من المعترضين مثل ابن الراوندي والمعري وهذا المعري يقول كيف يعاب ابن الحجاج بالسخف والدهر اقبح فعلا منا ترى يعني به الزمان كلا فان ممر الاوقات لا يفعل شيئا وانما هو تسقيف فكان يستعجل الموت ظنا منه انه يستريح وكان يوصي بترك النكاح والنسل ولا يرى في الايجاد حكمة الا العناء والتعب ومصير الابدان الى البلاء وهذا لو كان كما ظن كان الايجاد عبثا والحق منزه عن العبث قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا فاذا كان ما خلق لنا لم يخلق عبثا افنكون نحن نوطن

معرفته ومحال تكاليف قد وجدنا عبثا ومثل هذا الجهل انما يصدر ممن ينظر
في قضايا العقول التي يحكم بها على الظواهر مثل ان يرى مبتدئا ينقض والعقل
بمجرده لا يرى حكمة ولو كشفت له حكمة ذلك لعلم انه صواب كما كشف لموسى
مراد الخضر في خرق السفينة وقتل الغلام ومعلوم ان ذبح الحيوان وتقطيع
الرغيف ومضغ الطعام لا يظهر له فائدة سوى الاطلاق فاذا علم انه غذاء
لبدن من هو اشرف بدنا من المذبوح حسن ذلك العقل واعجبا وما تقضي
العقول بوجوب طاعة الحكيم الذي تعجز عن معرفة حكمة مخلوقاته فكيف تعارضه
في افعاله نعوذ بالله من الخذلان **فصل** نظرت في قول الله تعالى الم
تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب ثم قال وكثير من الناس فرايت الجمادات كلها قد وصفت بالسجود
واستثنى من العقلاء فذكرت قول بعضهم ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊
∴ ساجد الصامت من انشاه ∴ ومن ذوي النطق الى الجحود ❊ ❊ ❊
فقلت ان هذه لمقدرة عظيمة يوهب عقل الشخص ثم يسلب فائدته فان
هذا لاقوى دليل على قادر قاهر والا فكيف يحسن من عاقل ان لا يعرف
بوجوده وجود من اوجده وكيف يتخذ صنما بيده ثم يعبده غير ان
الحق سبحانه وهب لاقوام من العقل ما يثبت عليهم الحجة واعمى قلوبهم شاء
عن الحجة **فصل** من الخاطرات العظيمة تحديث العوام بما
لا تحتمله قلوبهم او بما قد رسخ في نفوسهم صنه مثاله ان قوما قد
رسخ في قلوبهم التشبيه وان ذات الخالق سبحانه لاصقة للعرش وهي
بقدر العرش ويفضل عن العرش اربع اصابع وسمعوا مثل هذا من
اشياخهم وثبت عندهم انه اذا نزل انتقل الى السماء الدنيا فخلت





منه ست سموات فاذا دعي احدهم الى التنزيه وقيل له ليس كما خطر لك انما
ينبغي ان تمر الاحاديث كما جاءت من غير مسكنة ما تتوهمه صعب هذا
عليه لوجهين احدهما الغلبة الحس عليه والحس على العوام اغلب والثاني لما
قد سمعه من ذلك من الاشياخ الذين كانوا الجهل منه فالمخاطب لهذا مخاطر
بنفسه ولقد بلغني عن بعض من كان يتدين انه ممن كان قد رسخ في قلبه
التشبيه انه سمع من بعض العلماء شيئا من التنزيه فقال والله لو قدرت عليه
لقتلته فالله الله ان تحدث مخلوقا من العوام بما لا يحتمله فانه لا يزول ما في
نفسه ويخاطر المحدث له بنفسه وكذلك كلما يتعلق بالاصول **فصل**
يبين ايمان المؤمن عند الابتلاء فهو يبالغ في الدعاء ولا يرى ان الاجابة
ولا بتغير امله ورجاؤه ولو قويت اسباب اليأس لعلمه ان الحق اعلم بالمصالح
اولان المراد منه الصبر والايمان فان لم يتحكم له الا هو يريد من القلب التسليم
لينظر كيف صبره او يريد كثرة اللجاء والدعاء فاما من يريد تعجيل الاجابة
ويتذمر ان لم تتعجل فذاك ضعيف الايمان يرى ان له حقا في الاجابة وكانه
يتقاضى اجرة عمله اما سمعت قصة يعقوب عليه السلام بقي ثمانين سنة
في البلاء ورجاؤه لا يتغير فلما صح الى فقد يوسف فقد ابن يامين لم يتغير
امله وقال عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وقد كشف هذا المعنى قوله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان
نصر الله قريب ومعلوم ان هذا لا يصدر من الرسول والمؤمنين الا بعد طول
البلاء وغرب اليأس من الفرج ومن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال
العبد بخير ما لم يستعجل قيل له وما يستعجل قال يقول دعوت فلم يستجب لي

واياك اياك ان تستطيل زمان البلاء او تضجر من كثرة الدعاء فانك مبتلى
بالبلاء متعبد بالصبر والدعاء ولا تيأس من روح الله وان طال البلاء
من وقف على موجب الحس هلك ومن تبع العقل سلم ان نجم الحس لا يرى الا الحاضر
وهو الدنيا واما العقل فانه ينظر الى المخلوقات فيعلم فيعلم وجود الخالق قد
منع واباح واطلق وحظر واخبرني مسايلكم ومبتليكم ليظهر دليل وجودي
عندكم بترك ما تشتهون طاعتي واني قد بينت لكم دارا غيرها نه لثواب من
يشاب وعقوبة من يخالف ثم لو ترك الحس وما يشتهي مع اغراضه قرب الامر
انما يزني فيجلد ويشرب الخمر فيعاقب ويسرق فيقطع ويفعل ذلك فيفضح بين
الخلق ويعرض عن العلم الى البطالة فيقع الندم عند حصول الجهل ثم اتاني الكثير
من عمل بمقتضى عقله قد سلمت دنياه وآخرته وميز بين الخلق بالتعظيم وكان
عيشه في الدنيا غالبا خيرا من عيش موافق الهوى فليعتبر ذو الفهم بما قلت وليعمل
بمقتضى الدليل وقد سلم

**فصل** معرفة الله سبحانه لا تحصل الا لكامل
العقل صحيح المزاج والترقي الى محبته بذلك يكون وان اقواما قلت عقولهم
وفسدت امزجتهم وساءت مطاعمهم وقلت فتخايلت لهم الخيالات
الفاسدة فادعوا معرفة الحق ومحبته ولم يكن عندهم من العلم ما يصدق ما
ادعوا فهلكوا وليعلم ان في المأكولات افسادا للعقل وفيها ما يزيد في السودا
فيوجب الماليخوليا فترى صاحبها يحب الخلوة ويهرب من الناس
ويقلل المطعم فيقوى مرضه فيتخايل له خيالات يظنها حقا فمنهم من
يقول رأيت الملائكة ومنهم من يخرجه الامر الى دعوى محبة الحق والولوع فيه
ولا يكون ذلك عن اصل يعتمد عليه وانما العاقل العالم يسري في الطريق بين
الرفيقين العلم والعقل فان تقلل من الطعام فبعقل وحد التقلل ترك فضول



المطعم ومايخاف شرته من شبهة او شهوة فيحذر بخوضها طما زيادة التقلل
من القدرة فليس لعقل ولا شرع الا ان يكون الفقر قدمه فيتقلل ضرورة ومن
تامل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وجدهم ياخذون بمقدار ولا
يتركون حظوظ النفس التي تصلحها النفس التي تصلحها واحسن الامر
واعدله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث
نفس وقد قال لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه وهو يعن اصب من هذا
الطعام فهو افضل من هذا وكان صلى الله عليه وسلم يشاور الاطبا
ويحتجم ويحث على التداوي ويقول ما انزل الله من داء الا وانزل له شفاء
فتداووا فجاء اقوام جهلوا العلم والحكمة في بنيان الابدان فمنهم من اقام
في الجبال ياكل البلوط فاصابه القولنج ومنهم من قلل المطعم الى ان ضعفت
قواه ومنهم من اقتصر على نبات الصحراء ومنهم من كان لا يقوت الا
بالباقلا والشعير فاوجبت هذه الافعال امراضا في البدن وتوقت الى
افساد العقل واتفق لهم قلة العلم اذ لو علموا لفهموا ان الحكمة نهى عن
مثل هذا فان البدن مبني على اخلاط اذا اعتدلت وقعت السلامة واذا
زاد بعضها وقع المرض واكثر هؤلاء مرضوا وتعجل لهم الموت وفيهم من
خرج الى السوداء وفيهم من لاحت له لوايح فادعى رؤية الملائكة الى غير
ذلك فاما اهل العلم والعقل فهم بهم من الخلق لخوف المعاصي ورؤية
المنكر وفيهم من قد قويت معرفته فتشغله معرفة الحق ومحبته عن
ملاقاة الخلق فهذه هي الخلوات الصافية لانها تصدر عن علم وعقل فليحفظ
البدن لانه ناقة توصل ولا ينبغي ان يتهاون بالمأكولات خصوصا من لم
يعتد ولا يلبس الصوف على البدن ما لم يعتده وليتنظر في طريق الرسول صلى الله

عليه وسلم وصحابته فانهم القدوة ولا يلتفت الى بنيات الطريق فيقال فلان
الزاهد قد اكل الطين وفلان كان يمشي حافيا وفلان بقي شهرا ما اكل
فان المحققين من هؤلاء الخلصين لله تعالى على غير العادة لان العادة اتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه وما كانوا يفعلون ولعمري انه قد كان
فيهم من يقنع بالمذقة من اللبن ويصبر الايام عن الطعام ولكن امّا لضرورة
او لانه معتاد لذلك كما يعتاد البدوي شرب اللبن صحبه ولا يوذيه ذلك
وفي الحديث عود كل بدن ما اعتاد وفي المتزهدين من اخرج ماله كله عن
يده زهدا ومعلوم ان الحاجات لا تنقضي فلما احتاج تعرض للطلب
وافتقر الى اخذ مال من يعلم انه ظالم وبذل وجهه وقد كانت
الصحابة تتجر وتحفظ المال وجهال المتزهدين يرون ان جمع المال
ينافي الزهد فتمخصه هذا الفصل ان اقول ينبغي لمن رزق فهما ان
يسعى في صلاح بدنه ولا يحمل عليه ما يوذيه ولا يناوله من القوت ما لا
يوافقه ولا يضيع ماله وليجتهد في استثماره لئلا يحتاج فانه ما نافق
زاهد الا لاهل الدنيا ولينظر في سير الصالحين الكاملين من السلف وليشتغل
بالعلم فانه الدليل فحينئذ يحمله الامر على الخلوة بربه والاشتغال بحبه فيكون
ما ظهر منه ثمرة نضيجة لا نخة والله الموفق **فصل** ليس للآدمي
اعز من نفسه وقد عجبت ممن يخاطر بها ويعرضها للهلاك والسبب
في ذلك قلة العقل وسوء النظر فمنهم من يعرضها للتلف ليمدح بزعمه
مثل قوم يخرجون الى قتل السبع ومنهم من يصعد الى ايوان كسرى ليقال
شاطر وساع يمشي ثلاثين فرسخا وهؤلاء اذا تلفوا حملوا الى النار
فلا ينفع قول المادح لهم بعدهم ومن قل عقله راكب البحر للتجارة ويغتر بمن

الفرج بالكسب النبي
من الفقه كما في الحاجة
بالفتح فاعرف

تقف على ان راكب
البحر للتجارة من قل عقله



يسلم فان هلك ذهبت النفس التي يراد المال لاجلها ويعجب من الكل
من يخاطر بنفسه في الهلاك الابدي مثل ان يغضب فيقتل المسلم فيشفي
غيظ لحظة بالتعذيب في جهنم واطرف من هذا اليهود والنصارى فان
احدهم يبلغ فيجب عليه ان ينظر في نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فاذا فرط
فله الخلود في جهنم ولقد قلت لبعضهم ويحك تخاطر بنفسك في عذاب
الابد نحن نؤمن بنبيكم فنقول لو ان مسلما آمن بنبينا وكذب بنبيكم
او بالتوراة خلد في النار فما بيننا وبينكم خلاف اذ نحن موصون
بصدقه وكتابه فلو لقيناه لم نخل ولو عاتبنا مثلا فقال هل لا قمتم
بالسبت والسبت من الفروع والفروع لا يعاقب عليها بالخلود فقال
لي رئيس القوم ما نطالبكم بهذا لان السبت انما لزم بني اسرائيل قلت
فقد سلمنا باجمعكم وانتم هالكون لانكم تخاطرون بارو لعكم في العذاب
الدايم والعجب ممن يهمل النظر فيما اذا تولى فيه اوجب الخلود في العذاب
الدايم والعجب من الكل جاحد الخالق وهو يرى احكام الصنعة ويقول
لا صانع والسبب في هذه الاشياء كلها قلة العقل وترك اعماله
في النظر والاستدلال **فصل** ينبغي ان يكون العمل كله لله ومعه
ومن اجله وقد كفاك كل مخلوق وجلب لك كل خير واياك ان تميل عنه
بموافقة هوى وارضاء مخلوق فانه يعكس عليك الحال ويفوتك
المقصود وفي الحديث من ارضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس
ذاما واطيب العيش عيش من يعيش مع الخالق سبحانه فان قيل كيف
العيش معه قلت بامتثال امره واجتناب نهيه ومراعات حدوده
والرضى بقضائه وحسن الادب في الخلوة به وكثرة ذكره وسلامة القلب

مطلب ان الفروع
لا يعاقب عليها
بالخلود

ارجع هنا

من الاعتراض في اقداره فان اعطى والا رضيت بالمنع
وعلمت انه لم يمنع بخلا انما نظرك ولا تقطع عن السؤال لانك
تتعبد به ومتى دمت على ذلك رزقك محبته وصدقا لتوكل عليه
فصارت المحبة بذلك على المقصود واثمرت لك محبته ايا ك فحينئذ
تعيش عيش الصديقين ولا خير في عيش لم يكن كذا فان اكثر الناس
مخبط في عيشه يدري الاسباب ويميل اليها بقلبه ويتعب في تحصيل
الرزق بحرص زايد على الحد ويرغب الى الخلق ويعترض عند انكسار الاغراض
والقدر يجري ولا يبالي بسخط ولا يحصل الا ما قدر وقد فاته القرب من
الحق والمحبة له والتادب معه فذلك العيش عيش البهايم **فصل**
المصيبة العظمى رضى الانسان عن نفسه واقتناعه بعلمه وهذه محنة
قد عمت اكثر الخلق فترى اليهودي والنصراني يرى انه على الصواب ولا
يبحث ولا ينظر في دليل نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم واذا سمع ما يلين قلبه
مثل القرآن المعجز هرب لئلا يسمع وكذلك كل ذي هوى يثبت عليه اما لانه
مذهب ابيه واهله او لانه نظر نظرا ولاح له فرآه صوابا ولم ينظر فيما
يناقضه ولم يبالغ العلماء ليبينوا له خطاه ومن هذا حال الخوارج
على امير المؤمنين علي رضي الله عنه فانهم استحسنوا ما وقع لهم ولم
يرجعوا الى من يعلم فلما كلمهم عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما فبين
لهم خطاهم رجع عن مذهبه منهم الفان ومن لم يرجع عن هواه
ابن ملجم فرأى مذهبه هو الحق فاستحل قتل امير المؤمنين
رضي الله عنه وكرهه دينا حتى انه لما قطعت اعضاؤه لم يمانع فلما
طلب لسانه ليقطع انزعج وقال كيف ابقى ساعة في الدنيا لا اذكر الله ومثل

قف على هذه المصيبة العظمى

هذا ماله



هذا ماله دواء وكذلك كان الحجاج يقول والله ما اريد الخير الا بعد الموت
هذا قول وكم قد قتل من لا يحل قتله منهم سعيد ابن جبير ووجد في سجن
الحجاج ثلاثة وثلاثون الفا ما يجب على احد منهم حد قطع ولا قتل
ولا صلب وعموم السلاطين يقتلون ويقطعون ظنا منهم جواز
ذلك ولو سألوا العلماء ليبينوا لهم وعموم العوام يبارزون بالذنوب
اعتمادا على العفو وينسون العقاب ومنهم من يعتمد اني من اهل السنة
او ان لي حسنات تدفع وكل هذا لقوة الجهل فينبغي للانسان ان يبالغ
في معرفة الدليل ولا يسكن غبهة ولا يثق بعلم نفسه نسأل الله السلامة
من جميع الافات **فصل** ملاحظته من اهم الاشياء ٥ ينبغي
لمن آمن بالله تعالى ان يسلم له في افعاله ويعلم انه حكيم ومالك وانه
لا يغيب فان خفيت عليه حكمة فعله نسب الجهل الى نفسه وسلم
للحكيم المالك فاذا طالبه العقل بحكمة الفعل قال ما بانت لي فيجب علي
تسليم الامر لمالكه وان افعالا نظر وا بمجرد العقل الى كثير من افعال الخالق سبحانه
فرأوها لو صدرت من مخلوق لنسب فيها الى ضد الحكمة فنسبوا الخالق
الى ذلك وهذا الكفر المحض والجنون البارد فالواجب نسبة الجهل الى النفوس
فان العقول قاصرة عن مطالعة حكمته واقل من
فعل ذلك ابليس فانه قدره قد فضل طينا على نار والعقل يرى النار
افضل فعاب حكمته وعمت هذه المحنة خلقا ممن ينسب الى العلم وكثيرا
من العوام فكم قد رأينا عالما يعترض وعاميا يرد فيكفر وهذه محنة
قد شملت اكثر الخلق يرون عالما يضيق عليه وفاسقا قد وسع عليه
فيقولون هذا لا يليق بالحكمة وقد علم العلماء ان الله تعالى قد فرض

الزكوات والخراج والجزية والغنايم والكفارات ليستغني بها الفقراء فاختصوا بذلك الظلمة وصانع من يجب عليه الزكوة باخراج بعضها فجاع الفقراء فينبغي ان تنعم هذه الظلمة ولا يعترض على من قدر الكفاية للفقراء وقد حصل في هذا عقوبة الظالمين في حبسهم الحقوق وابتلاء الفقراء بصبرهم عن حظوظهم واكثر هؤلاء المعترضين لا يكادون يسلمون وقت خروج الروح من اعتراض يخرج الى الكفر فتخرج النفس كافرة فكم عامي يقول فلان قد ابتلي وما يستحق ومعناه انه قد فعل معه ما لا يليق بالصواب وقد قال بعض الحكماء

يا رب تخلق اشبار ليل ✿ وغصان بان وكثبان رمل ✿
✿ ✿ ✿ 

حرام لا جلده نعوذ بالله من سوء الفهم **فصل** رايت ابليس قد
احتال بفنون الحيل على الخلق واما ل اكثرهم عن العلم الذي هو مصباح السالك
فتركهم يتخبطون في ظلمات الجهل وشغلهم بامور تحكم الحس فهم يحسنون
ما يحسه الحس ولا يلتفتون الى مشورة العقل فاذا ضاق باحدهم عيشه او نكب
او نكب اعرض فكل فمنهم من ينسب ذلك الى الدهر ومنهم من يسب الدنيا
وهذا تسفيه لان الدهر والدنيا لا يفعلان وانما هو عيب للمقدر
ومنهم من يخرجه الامر الى جحد الحكمة فيقول اي فائدة في نقض المبني وعدم
بعضهم انه لا يتصور عود المنقوض وانكروا البعث وقالوا ملجاء من ثم
احد ونسوا ان الوجود ما انتهى بعد ثم لو حلفت لصار الايمان بالغيب
عيانا ولا يصلح ان يدل على الاحياء ثم نظر ابليس فراى في المسلمين قوما
فيهم فطنة فاراهم ان الوقوف مع ظواهر الشريعة حالة يشاركهم فيها
العوام فحن لهم علوم الكلام وصاروا يخجون بقول بقراط وجالينوس
ونشاغورس وهؤلاء انما قالوا ليسوا مشرعين ولا نبعوا نبينا صلى الله
عليه وسلم انما قالوا بمقتضى ما سولت لهم انفسهم وقد كان السلف اذا
نشا لاحدهم ولد شغله بحفظ القرآن وسماع الحديث فيثبت الايمان
في قلبه فقد توانى الناس عن هذا فصار الولد الفطن يتشاغل بعلوم الاوايل
وبينا احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول اخبار احاد واصحاب
الحديث عندهم يسمون حشوية ويعتقد هؤلاء ان العلم الدقيق علم الظفرة
والهيولى والجزء الذي لا يتجزى ثم لا يتصاعدون الى الكلام في صفات الخالق
فيدفعون ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواقعاتهم فتقول المعتزلة
ان الله لا يرى لان المرئي يكون في جهة ويخالفون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم



انكم ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فاوجب هذا الحديث
اثبات رؤيته وان عجزنا عن فهم كيفيتها وقد غر هؤلاء الاغبياء عن التشاغل
بالقرآن وقالوا المخلوق فبردت حرمته في القلوب وعن السنة وقالوا
اخبار احاد وانما مذاهبهم مستمدة من بقراط وجالينوس وقد استفاد من
تتبع الفلاسفة ان برفه نفسه عن نعت الصلوة والصوم وقد كان كبار
العلماء يمنعون علم الكلام حتى قال الشافعي حكمي فيهم ان يركبوا على البغال
ويشهروا ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واشتغل بالكلام وقد
آل بهم الامر الى ان اعتقدوا ان من لم يعرف تحرير المبتدعة دليل التوحيد
فليس بمسلم فالله الله من مخالطة المبتدعة وعليكم بالكتاب والسنة
ترشدوا **فصل** قد ذكرنا معناه في هذا الكتاب الا ان اعادته على
النفوس مهمة ليلا يغفل عن مثله ينبغي للمؤمن ان يعلم ان الله سبحانه
مالك حكيم لا يعبث وهذا العلم يوجب نفي الاعتراض على القدر وقد
لهج خلق بالاعتراض قديما في الحكمة وذلك كفر ولهم ابليس في قوله
خلقتني من نار وخلقته من طين ومعنى قوله ان تفضيلك الطين على
النار ليس بحكمة وقد رايت من كان يقيمها به الاعتراض وهذا لان
المعترض ينظر الى صورة الفعل ولو ان صورة الفعل صدرت من
مخلوق مثلنا حسن ان نعترض عليه فاما من تقصر الافهام عن مطالعة
حكمته فاعتراض الناقص الجاهل عليه جنون فاما اعتراض المخلعاء
فدايم لانهم يريدون جريان الامور على اغراضهم فمتى انكسر لاحدهم غرض
اعترض وفيهم من يتعدى الى ذكر الموت فيقول بنى ونقض وكان
لنا رفيق قرء القرآن والقرآات وسمع الحديث الكثير ثم وقع في الذنوب

٢٤

وعاش اكثر من سبعين سنة فلما نزل به الموت ذكر لي انه قال قد ضاقت
الدنيا الا من روحي ومن هذا الجنس سمعت شخصا يقول عند الموت ربي
يظلمني وهذا كثير ويكره ان يحكى كلام الخلعاء في جنونهم واعراضهم
الباردة ولو فهموا ان الدنيا ميدان سابقة ومارستان صبر يبين
بذلك الرق الخالق لما اعترضوا والذي طلبوه من السلامة وبلوغ الاغراض
امامهم لو فهموا فهم كالزهر جاري يتلوث بالطين فاذا فرغ لبس ثياب
النظافة فلما اريد نقض هذا البدن الذي لا يصلح للبقاء بحث عنه النفس
الشريفة ثم بني بناء يقبل الدوام وبعد هذا فقل للمعترض فليمدد بسبب الى
السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهب كيده ما يغيظ فان اعترض لم يمنع
ذلك جريان القدر وان سلم جرى القدر فلان يجري وهو ساجد خير
من ان يجري وهو ما نص وما احسن سكوت وضاح اليمن لما اختفى
في صندوق فقال السلطان ايها الصندوق ان كان فيك ما نظن فقد
ضيعنا ارثك وان لم يكن فليس يدفن خشب من جناح فلوانه صاح
ما انتفع بشيء ولعبا اخرج فقتل الوحش قتله

**فصل** رايت جماعة ممن افنى اوايل عمره وريعان شبابه في طلب العلم يصبر على انواع
الاذى ويهجر فنون الراحات انفة من الجهل وترفعا وطلبا للعلم و
فضيلته فلما نال منه طرفا رفعه عن مراتب ارباب الدنيا ومن لا علم له
الا بالعاجل ضاق به معاشه فسافر البلاد يطلب من الارازل ويتواضع
للسفلة واهل الدناءة والمكاس وغيرهم فخاطبت بعضهم وقلت ويحك
ابن الانفة من الجهل التي سهرت لاجلها واظمأت نهارك بسببها
فلما ارتفعت طأطأت عدت الى اسفل سافلين انما بقي عندك

ذرة من الانفة تنبر ابها عن مقامات الارازل ولا معك يسير من العلم
يسير بك عن مناخ الهوى ولا حصلت بالعلم قوة تجذب بها زمام
النفس عن مراعي السوء غير انه بين لك ان سهرك وتعبك كانه كان
لنيل الدنيا ثم اني اراك تزعم انك تريد شيئا من الدنيا تستعين به على
طلب العلم فاعلم ان التفاتك الى نوع كسب تستغني به عن الارازل افضل
من التزيد في علمك فلو عرفت ما ينقص به لم ترما قد عزمت عليه
وزيادة ومما يحثني على هذا العزم السفر الذي كله مخاطرة بالنفس ويعيد
ان تقنع بعد شروعك في هذا الامر بقدر الكفاف وقد علمت ما في السؤال
بعد الكفاف من الاثم وبعده منه ان تقدر على الورع في الملبوس ومن لك
بالسلامة والرجوع الى الوطن ومن احسن فيما مضى يحسن فيما بقي

**فصل** رايت الثروة في تحصيل الاشياء يفوت الثروة مقصودها
وقد رايتها من كان شرها في جمع المال تحصل له الكثير منه وهو حريص
على الازدياد ولو فهم علم ان المراد من المال انفاقه في العمر فاذا انفق
العمر في تحصيله فات المقصود ان جميعا وكم رايتا من جمع المال
ولم يتمتع به فابقاه لغيره وافنى نفسه كما قال الشاعر

**شعر**

كدودة القز ما تبنيه يقتلها ... وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

وكذلك رايتا خلقا كثيرا يحرصون على جمع الكتب واهل الحديث
ينفقون الاعمار في النسخ والسماع ثم ينقسمون فمنهم من يتشاغل
بالحديث وعلله وتصحيحه ولعله لا يفهم جواب حادثة وقد
حكي لي عن بعض اصحاب الحديث انه سمع جزءا ابن عرفة عن مائة
شيخ وكان عنده سبعين نسخة ومنهم من يجمع الكتب ويسمعها

ولا يدري ما فيها لا من حيث صحتها ولا من فهم معناها فتراه يقول
الكتاب الفلاني سماعي وعندي به نسخة والكتاب الفلاني قد صده
اشتغاله بذلك عن المهم من العلم فهم كما قال الحطيئة شعر
نواصل للاخبار لا علم عندهم ٭ بمنقلها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا ٭ باوساقه او راح ما في الغرائر
ثم ترى منهم من يتصدر ويتقدم الزمان الى تصدره للرواية فيمتد به الى
ما ليس من شغله فان اعفى افتى اخطأ وان تكلم في الاصول خلط
ولولا اني لا احب ذكر الناس لذكرت من اخبار كبار علمائهم وما خلطوا
ما يعتبر به ولكنه لا يخفى على المحقق حالهم فان قال قائل اليس في الحديث
منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا قلت اما العالم
فلا اقول له اشبع من العلم ولا اقتصر على بعضه بل اقول له قدم المهم
فان العاقل من قدر عمره وعمل بمقتضاه وان كان لا سبيل الى العلم
بمقدار العمر غير انه مبني على الاغلب فان وصل فقد لعمر لكل مرحلة زاد
وان مات قبل الوصول فسبيله سبيلك فاذا علم العاقل ان العمر قصير
وان العلم كثير فقبيح بالعاقل الطالب لكمال الفضايل ان يتشاغل مثلا
بسماع الحديث وتتبع ليحصل كل طريق وكل رواية وكل غريب وهذا
لا يفرغ من مقصوده منه في ثمان سنة خصوصا ان تشاغل بالنسخ
ثم لا يحفظ القرآن او يتشاغل بعلوم القرآن ولا يعرف الحديث او
بالخلاف في الفقه ولا يعرف النقل الذي عليه مدار المسئلة فان قال قايل قد
ترى ما اختار لنفسك فاقول ذو الهمة لا يخفى من زمان الصبي كما قال
سفيان ابن عيينة قال لي ابي وقد بلغت خمس عشرة سنة انه قد انقضت عند

عتبها



شرايع الصبا فاتبع الخير تكن من اهله فجعلت وصية ابي قبلة اميل اليها ولا
اميل عنها ثم قيل لتروعي في الجواب اقول ينبغي لمن له ثقة ان يأنف من التقصير
الممكن دفعه عن النفس فلو كانت النبوة مثلا تاتي بكسب لم يجز لاحد ان يقنع
بالولاية ولو تصور ان يكون شلا خليفة لم يحسن بان يقنع بامارة ولو
صح له ان يكون ملكا لم يرض بشر والمقصود ان ينتهي بالنفس الى كمالها الممكن
لها في العلم والعمل وقد علم قصر العمر وكثرة العلم فيبتدي بالقرآن وحفظه
وينظر في تفسيره نظرا متوسطا لا يخفى عليه بذلك منه شيء وان صح له
قراءة القرآت السبعة وابتدا شيئا من النحو وكتب اللغة وابتداء اصول
الحديث من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن ومن حيث علم
الحديث كمعرفة الضعفاء والاسماء فليحفظ في اصول ذلك وقد رتب العلماء
من ذلك ما يستغني به الطالب عن التعب وليتظر في التواريخ ليعرف
ما لا يستغني عنه كنسب الرسول صلى الله عليه وسلم واقاربه وازواجه وما
جرى له ثم ليقبل على الفقه فليتظر في المذهب والخلاف وليكن اعتماده على مسايل
الخلاف فليتظر في المسالة وما تحتوي عليه فيطلبه من مظانه كتفسير آية
وحديث وكلمة لغة ويتشاغل باصول الفقه وبالفرايض وليعلم ان
الفقه عليه مدار العلوم ويكفيه من النظر في الاصول ما يستدل به على
وجود الصانع فاذا اعتقد اثبته بالدليل وعرف ما يجوز عليه مما
لا يجوز واثبت ارسال الرسل وعلم وجوب القبول منهم فقد احتوى
على المقصود من علم الاصول فان اتسع الزمان للتزيد من العلم فليكن
من الفقه فانه الاتفع ومهما فسح له في المهل فامكنه تضييق في علم فانه
يخلق بذلك خلقا صالحا مع اجتهاده في النسب الى اتخاذ الولد

فوايد

ثم يعلم ان الدنيا معبرة له فليلتفت الى فهم معاملة الله عز وجل فان مجموع
ما حصله من العلم يدله عليه فاذا تعرض للتحقيق معرفة ووقف على باب
معاملته فقل ان يقوم صادق الا ويجذب الى مقام الولاية ومن اراد وفق
وان لله عز وجل اقواما يتولى ولايتهم ويبعث اليهم في زمن الطفولة مؤدبا
ويسمى العقل وقوما يقال له الفهم ويتولى تاديبهم وتثقيفهم ويهيئ لهم
اسباب القرب منه فان لاح قاطع قطعهم عنه وان تعرضت بهم فتنة
دفعها عنهم بسبب الله عز وجل ان يجعلنا منهم ونعوذ به من خذلان لا ينفع
معه اجتهاد **فصل** ان الخلوة تاثيرات تبين في كم من مؤمن
باسم عز وجل يجزم عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذرا من عقابه
طلبا لاجله فيكون بذلك الفعل كانه طرح عودا هندبا على جمرة فيفوح
طيبه فتنتشقه الخلائق ولا يدرون اي هو ولا على قدر المجاهدة في ترك
ما تقوى محبته او على مقدار زيادة وقع ذلك للمحبوب المتروك يزيد
الطيب وتتفاوت تفاوت العود فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص و
الستهم تمدحه ولا يعرفون لم ولا يقدرون على وصفه لبعدهم عن حقيقة
معرفته وقد تمتد منه الاريج بعد الموت على قدرها فمنهم من يذكر
بالخير مدة ثم ينسى ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره وقبره
ومنهم اعلام يبقى ذكرهم ابدا وعلى عكس هذا من عاب الخلق ولم يحترم
خلوته بالحق فانه على قدرها يبارزه بالذنوب وعلى مقادير تلك الذنوب
يفضح يفوح منه ريح الكراهة فتمقته القلوب فان قل مقدار ما جنى قل
ذكر الالسن له بالخير وبقي مجرد تعظيمه وان كثر كان قصارى الامر
سكوت الناس عنه لا يمدحونه ولا يذمونه وربت خال بذنب كان سبب





وقوعه في هوة شقوة في عيش الدنيا والآخرة وكانه قيل له ابق مما اثرت فيبقى
ابدا في تخبيط فانظر ما اخواني الى المعاصي اثرت وعثرت قال ابو الدرداء
رضي الله عنه ان العبد ليخلو بمعصية الله فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين
من حيث لا يشعر فتلحظوا ما سطرته واعرفوا ما ذكرته ولا تهملوا خلواتكم
ولا سرائركم فان الاعمال بالنية والجزاء على مقدار الاخلاص **فصل**
اللذات كلها بين حسي وعقلي فنهاية اللذات الحسية واعلاها النكاح
ونهاية اللذات العقلية العلم فمن حصلت له الغايتان في الدنيا فقد نال
النهاية وانا ارشد الطالب الى اعلا المطلوبين غير ان للطالب المرزوق
علامة وهو ان يكون مرزوقا على الهمة وهذه الهمة تولد مع الطفل فتراه
من زمن طفولته يطلب معالي الامور كما يروى في الحديث انه كان لعبد
المطلب مفرش في الحجر فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي وهو طفل فيجلس
عليه فيقول عبد المطلب ان لابني هذا شانا فانفال فائل فاذا كان كذلك
كانت له همة ولم ار فرق ما اطلب فما الحيلة فالجواب انه اذا امتنع
الترزق من نوع لم يمتنع من نوع آخر ثم من البعيد ان يرزقك همة ولا
يعينك فانظر في حالك فلعله اعطاك شيئا ما شكرته او ابتلاك
بشيء من الهوى ما صبرت عنه ولعلم ان ربما نوى عنك من لذات
الدنيا كثيرا ليوفرك على لذات العلم فانك ضعيف ربما لا تقوى على الجمع
فهو لعلم بما يصلحك واما ما اردت شرحه لك فان الشاب المبتدئ
في طلب العلم ينبغي له ان ياخذ من كل علم طرفا ويجعل علم الفقه الاهم
ولا يقصر في معرفة النقل فيه بين سير الكاملين واذا ارزق فصاحة
من حيث الوضع ثم اضيف اليها معرفة اللغة والنحو فقد شحذت شفرة

لسانه على الجود مسن ومتى دله العلم على المعرفة الحق وخدمة الله عز وجل
فتحت له ابواب لا تفتح لغيره وينبغي له بالتلطف ان يجعل جزء من زمانه
مصروفا الى توفير الاكتساب والتجارة مستنيبا فيها غيره مباشرا لها مع
التدبير في العيش الممتنع من الاسراف والتبذير فان رقاه العلم والعمل به الى
درجة المعرفة لله عز وجل وربما شغلته لذة ما وصل اليه عن كل شيء وما لها
حالة سليمة من كل آفة وان وجد من طبعه منازعا الى التوق في النكاح
فليتخير السراري فان الحرائر في الاغلب غل ولينزل عن المملوكات الى ان يجب
خلقهن ودينهن فان رضيهن طلب الولد منهن والا فالاستبدال بهن
سهل ولا يتزوج حرة الآن يعلم انها تصبر على التزوج عليها والتسري لكن
قصده الاستمتاع بها الاجهاد النفس في الانزال فان ذلك يهدم قوته فيضعف
الاصل فهذه الجامعة من لذيذ الحس والعقل ذكرتها على وجه الاشارة وفهم
الذكي يملي عليه ما لم اشرحه **فصل** نزلت بي شدة واكثرت من الدعاء
لطلب الفرج والراحة وتاخرت الاجابة فانزعجت النفس وقلقت فصحت بها
ويلك ما تملي امرك يا مملوكة انت ام مالكة اسدبرة ام مدبرة اما علمت ان
الدنيا دار ابتلاء واختبار فما طلبت اغراضك ولم تصبري على ما يناني
مرادك فان الابتلاء وهل الابتلاء الا منع الاغراض وعكس المقاصد فافهمي
معنى التكليف وقد هان عليك ما عز وسهل ما استصعب فلما
تدبرت ما قلته سكنت بعض السكون فقلت لها وعندي جواب فان
وهو انك تقتضين الحق باغراضك ولا تقتضين تفسير بالواجب
لوهذا عين الجهل وانما كان ينبغي ان يكون الامر بالعكس لانك مملوكة
والمملوك العاقل يطالب نفسه بادا حق المالك ويعلم انه لا يجب على



المالك تبليغه ما يهوى فسكنت اكثر من ذلك السكون فقلت لها وعندي
جواب ثالث وهو انك قد استبطات الاجابة وانت سددت طرقها بالمعاصي
فلو قد فتحت الطرق اسرعت كانك ما علمت ان سبب الراحة التقوى او ما
سمعت قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه ومن يتق الله يجعل
له من امره يسرا وما فهمت ان العكس بالعكس آه من سكر غفلة صار اقوى من
كل سكر في وجه مياه المراد بمنعها من الوصول الى مزدرع الاماني فعرفت النفس
ان هذا حق فاطمانت فقلت وعندي جواب رابع وهو انك تطلبين
ما لا تعلمين عاقبته وربما كان فيه ضررك فمثلك كمثل طفل محموم يطلب
الحلوى والمدبر لك اعلم بالمصالح كيف وقد قال وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم فلما بان الصواب للنفس في هذه الاجوبة زادت طمانينتها
فقلت لها وعندي جواب خامس وهو ان هذا المطلوب ينقص من اجرك
ويحط من مرتبتك في الآخرة فمنع المعوز ما هذا سبيله عطاء منه لك ولو
انك طلبت ما يصلح آخرتك كان اولى لك اذ تفهمي ما قد شرحت فقالت
لقد سرحت في رياض ما شرحت فهمت اذ فهمت **فصل** حضرنا
بعض اعزية ارباب الاموال فرايت العلماء اذل الناس عندهم فالعلماء
يتواضعون لهم ويذلون لموضع طمعهم فيه وهم لا يحفلون بهم لما يعلمونه
من احتياجهم اليهم فرايت هذا عيبا في الفريقين اما في اهل الدنيا فوجه
العيب لهم انهم كانوا ينبغي لهم تعظيم العلم ولكن لجهلهم بقدره فاتهم وانثروا
عليه كسب الاموال فلا ينبغي ان يطلب منهم تعظيم ما لا يعرفونه ولا
يعلمون قدره وانما العود باللوم على العلماء فانه ينبغي لكم ان تصونوا
انفسكم التي شرفت بالعلم عن الذل للاذلال فان كنتم فيغني عنهم كان

الذل لهم والطلب منهم حراما عليكم وان كنتم في كفاف فلم تؤثروا التنزه عن الذل
بالعفة عن الحطام الفاني الحاصل بالذلة الا ان يتخيل لي من هذا الامر اني علمت
قلة صبر النفس على الكفاف والعزوف عن الفضول فان فجد ذلك منها
في وقت لم يوجد على الدوام فالاولى للعالم ان يجتهد في طلب الغنى ويبالغ
في الكسب وان ضاع بذلك عليه كثير من زمان من طلب العلم فانه يصون
بعرضه عوضه وقد كان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت وخلف مالا
وخلف سفيان الثوري مالا وقال لولاك لتمندلوا بي وقد ذكرت في كتابي
هذا في بعض الفصول شرف المال ومن كان من الصحابة والعلماء يقتنيه والسر
في تعلقهم ذلك وحثي طالبي العلم على ذلك ما بيناه من ان النفس لا تثبت
على التعفف ولا تصبر على دوام التزهد وكم قد رأينا من شخص قوي عزيمته
على طلب الآخرة فاخرج ما في يديه ثم ضعفت فعاد يكتسب من اقبح وجه
فالاولى ادخار المال والاستغناء عن الناس ليخرج الطمع من القلب ويصفو
نشر العلم من شائبة ميل ومن تأمل اخبار الاخيار من الاحبار وجدهم على هذه
الطريقة وانما سلك طريق التوفر عن الكسب مالم يؤثر عنده بذل الدين والوجه
وطلب الراحة ونسي انها في المعنى عنا كما فعل جماعة من جهال المتصوفة
في اخراج ما في ايديهم وادعاء التوكل وما علموا ان الكسب لا ينافي التوكل وانما
طلبوا طريق الراحة وجعلوا التعرض للناس كسبا وهذه طريقة مركبة من شيئين
احدهما قلة الانفة على العرض والثاني قلة العلم **فصل** تأملت
الحاسدين العلماء فرأيت منشأه من حب الدنيا فان علماء الآخرة يتوادون
ولا يتحاسدون كما قال عز وجل ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
وقد كان ابو الدرداء يدعو كل ليلة لجماعة من اخوانه وقال الامام احمد لولد



الشافعي ابوك من السنة الذين ادعو لهم وقت السحر والامر الفارق بين الفئتين
ان علماء الدنيا ينظرون في الرياسة فيها ويحبون كثرة الجمع والثناء وعلماء
الآخرة بمعزل من ايثار ذلك وقد كانوا يتحوفون ويرحمون من بلي به
وكان النخعي لا يستند الى سارية وقال علقمة اكره ان يوطئ عقبي ويقال
علقمة وكان بعضهم اذا جلس اليه اكثر من اربعة قام وكانوا يتدافعون
الفتوى ويحبون الخمول ومثل القوم كمثل راكب البحر وقد خبث فعند
شغل الى ان يوقن بالنجاة وانما كان بعضهم يدعو لبعض ويستفيد منه
لانهم ركب تصاحبوا فتوادوا فالايام والليالي مراحلهم الى سفر الجنة **فصل**
ينبغي للانسان ان يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة
في غير قربة ويقدم الافضل فالافضل من القول والعمل ولتكن نيته في الخير
قائمة من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل كما جاء في الحديث نية
المؤمن خير من عمله وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات
فنقل عن عامر بن عبد قيس ان رجلا قال له كلمني فقال امسك الشمس
وقال ابن ثابت البناني ذهبت الفن ابي فقال يا بني دعني فاني في ورد
السادس وكان على بعض السلف عند موته وهو يصلي فقيل له فقال الآن
تطوى صحيفتي فاذا علم الانسان وتيقن في الحديث بأن الموت يقطعه عن العمل
عمل في حياته ما يدوم له اجره بعد موته فان كان له شيء من الدنيا
وقف وقفا او غرس غرسا او كرى نهرا او سعى في تحصيل ذرية تذكر
الله بعده فيكون الاجر له او ان يصنف كتابا من العلم فان تصنيف
العالم ولده المخلد وان يكون عاملا بالخير عالما فيه فينقل من فعله
ما يقتدي الغير به فذلك الذي لم يمت  فدمات قوم وهم في الناس احياء

فصل رايت من اعظم حيل الشيطان ومكره انه يخبط ارباب الاموال
بالاسال والتشاغل بالذات القاطعة عن الآخرة واعمالها فاذا اهلكهم بالمال
تحريضا على جمعه وحثا على تحصيله وامرهم بجراسته بخلا به فذلك من
متين حيله وقوي مكره ثم دفن في هذا الامر من دقايق الحيل الخفية ان
خوف من يجمع المؤمنين فقر طالب الآخرة منه وبادر التايب يخرج ما في
يده ولا يزال الشيطان يحرضه على الزهد ويامره بالترك ويخوفه من طرقات
الكسب اظهارا للنصح وحفظا لدينه وفي خبايا ذلك عجايب من مكره وربما
تكلم الشيطان على لسان بعض المشايخ الذين يقتدي بهم التايب فيقول
له اخرج من مالك وادخل في زمرة الزهاد ومتى كان لك عطاء او غنا
فلست من اهل الزهد ولا تنال مراتب القوم وربما استدل عليه الاحاديث
البعيدة عن الصحة والواردة على سبب ومعنى فاذا اخرج ما في يده
وتعطل عن كاسبه عاد يعلق طمعه بصلة الاخوان او يحسن عنده
حجة السلطان لانه لا يقوى على طريق الزهد والترك الا اياما ثم يعود الطبع
فيتقاضى مطلوبا به فيقع في اقبح مما فر منه ويبذل اول السلع في التحصيل
دينه وعرضه ويصير متمندلا به ويقف في مقام البذل السفلي ولو انه نظر في سير
الرجال وبلاياهم وتامل صحاح الاحاديث عن رؤسايهم لعلم ان الخليل
عليه الصلوة والسلام كان كثير المال حتى ضاقت بلدته بمواشيه وكذلك
لوط عليه الصلوة والسلام وكثير من الانبياء عليهم الصلوة والسلام والجم
الغفير من الصحابة وانما صبروا عند العدم ولم يمتنعوا من كسب ما يصلحهم
ولا من تناول المباح عند الوجود وكان ابو بكر رضي الله عنه يخرج
للتجارة والرسول صلى الله عليه وسلم حي وكان اكثرهم يخرج فاضل ما ياخذ

من بيت

من بيت المال ويسلم من ذل الحاجة الى الاخوان وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما
لا يرد شيا ولا يسال وانى تاملت على اكثر اهل الدين والعلم هذه الحال
فوجدت العلم شغلهم عن المكاسب في بداياتهم فلما اصلحوا الى نفوسهم
ذلوا وهم لحق بالغرو قد كانوا قديما يكفيهم من بيت المال فضلا عن
الاخوان فلما عدما في هذا الاوان لم يقدر متدين على شيء الا ببذل شيء
من دينه وليته قدر فربما تلف الدين ولم يحصل له شيء فالواجب على
العاقل ان يحفظ ما معه وان يجتهد في الكسب ليربح مداراة ظالم او مداهنة
جاهل ولا يلتفت الى زهادات المتصوفة الذين يدعون في الفقر ما يدعون
مما الفقر الا مرض العجزة والصابر على الفقر كالصابر على المرض السهل
الا ان يكون جبانا عن التصرف مقنعا بالكفاف فليس ذلك من مراتب
الابطال بل هو من مقامات الجبناء الزهاد واما الكاسب ليكون المعطي
لا المعطى والمتصدق لا المتصدق عليه فهو مراتب الشجعان الفضلاء ومن
تامل هذا علم شرف الغنى ومخاطرة الفقر فصل تاملت احوال
الصوفية والزهاد فرايت اكثرها منحرفا عن الشريعة بين جهل بالشرع و
ابتداع بالراي يقولون باياات لا يفهمون معناها وباحاديث لها
اسباب وجهوها لا يثبت فمن ذلك انهم سمعوا في القران العزيز وما
الحيوة الدنيا الا متاع الغرور انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة ثم سمعوا
في الحديث للدنيا اهون على الله من شاة ميتة على اهلها فاخذوا يذمون
من غير بحث عن حقيقتها وذلك انه ما لم تعرف حقيقة الشيء فلا يجوز
ان يمدح ولا ان يذم فانما بحثنا عن الدنيا وما هذه الارض البسيطة
التي جعلت قرار الخلق تخرج منها اقواتهم ويدفن فيها موتاهم ويتل

هذا الا بذم لموضع المصلحة فيه ورأينا ما عليها من ماء وزرع وحيوان كله
لمصالح الآدمي وفيه حفظ السبب بقاية ورأينا بقاء الآدمي سببا لمعرفة
ربه وطاعته اياه وخدمته وما كان سببا لبقاء العارف العابد يمدح ولا
يذم فبان لنا ان الذم انما هو لاحتمال الافعال الجاهل والعاصي في الدنيا
فانه اذا اقتنى المال المباح وادى زكوته لم يلم فقد علم ما خلق الزبير
طيب عوف وغيرها وبلغت صدقة علي رضي الله عنه اربعين الفا وخلق
ابن مسعود تسعين الفا وكان الليث ابن سعد يستغل كل سنة عشرين
الفا وكان سفيان يتجر بمال وكان ابن مهدي يستغل كل سنة الفي
دينار وان اكثر من النكاح والسراري كان ممدوحا لا ملوما فقد كان
للنبي صلى الله عليه وسلم زوجات وسراري وجمهور الصحابة كانوا على
الاكثار من ذلك وكان لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه اربع حرائر
وسبع عشرة امة وتزوج والده الحسن نحوا من اربع مائة فان طلب
التزوج للاولاد فهو الغاية في التعبد واذا اراد التلذذ فمباح يندرج فيه
من التعبد ما لا يحصى من اعفاف نفسه والمرأة الى غير ذلك واما المطعم
فالمراد منه تقوية هذا البدن لخدمة الله عز وجل وحق على ذي الناقة ان يكرمها
لتحمله وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد فان وجد اللحم اكله ويأكل
لحم الدجاج واحب الاشياء اليه الحلوى والعسل وما نقل عنه انه امتنع من
مباح وجبن علي رضي الله عنه بفالوذج فاكل منه وقال ما ظننا قالوا النيروز
فقال فورزه كل يوم وانما يكره الاكل فوق الشبع واللبس على وجه الاختيال
والبطر وقد لبس النبي صلى الله عليه وسلم حلة اشتريت بسبعة وعشرين
بعيرا وكان لتميم الداري حلة اشتريت بالف درهم يصلي فيها بالليل

الى ان



الى ان قال ومن تامل هذه الاشياء علم ان فقيها واحدا وان قل اتباعه
وخفت اذا مات اشباعه افضل من الوف يتمسح العوام بلحمهم تبركا ويشبع
جنابزهم ما لا يحصى وهل الناس الا صاحب اثر او فقيه يفهم مراد الشرع
ويفتي به نعوذ بالله من الجهل والمحنة العظمى مدايح العوام فكم غرت كما قال
علي رضي الله عنه ما ابقى خفق النعال وراى الحمقاء الحمقى من عقولهم شيئا
لقد رايتنا وسمعنا من العوام انهم يمدحون الشخص بقولهم لا ينام الليل
ولا يفطر النهار ولا يذوق من شهوات الدنيا شيئا فلان فيدخل
جسمه ودق عظمه حتى انه يصلي قاعدا فهو خير من العلماء الذين يأكلون
ويتمتعون ذلك مبلغهم من العلم ولو علموا ان الدنيا كلها لو جمعت في
لقمة فتناولها عالم يفتي عن الله ويخبر بشريعته كانت قوى واحدة من
مريغد بها الى الله خيرا وافضل من عبادة ذلك العابد باقي عمره وقد
قال ابن عباس رضي الله عنهما فقيه واحد اشد على الشيطان من الوف عابد
ومن سمع هذا الكلام فلا يظن اني امدح من لم يعمل بعلمه وانما امدح
العاملين بالعلم وهم اعلم بصالح انفسهم فقد كان فيهم من يصلح على
خبز الشعير خشن العيش كاحمد ابن حنبل وكان فيهم من يستعمل الرقيق
العيش كسفيان الثوري مع ورعه ومالك مع تدينه والشافعي مع
قعة فقهه فقهه ولا ينبغي ان يطالب الانسان بما يقوى عليه
غيره ويضعف هو عنه فان الانسان اعرف بصلاح نفسه وقد قالت
رابعة ان كان صلاح قلبك في الفالوذج فكله فهذه جملة لو نثرتها
بذكر الاخبار لطالت غير اني سطرتها على عجل حين جالت في خاطري

فصل تاملت المراد من الخلق فاذا هو الذل واعتقاد التقصير

ابليس صح

والنحو وثلث العلماء والزهاد العلماء صنفين فاثبت في صف العلماء
مالكا وسفيان وابا حنيفة والشافعي واحمد وفي صف العباد مالك ابن
دينار ورابعة ومعروف الكرخي وبشر ابن الحارث فكلهم احتاجة العباد في
العبادة وصلح بهم لسان الحال عبادتكم لا ينفعكم نفعها وانما ينفعني
نفع العلماء وهم ورثة الانبياء وخلفاء الله تعالى في الارض وهم الذين
عليهم المعول ولهم الفضل اذا طرقوا وانكسروا وعلموا صدق ذلك الحال
وجاء مالك ابن دينار الى الحسن يتعلم منه ويقول الحسن استاذنا
واذا راى العلماء لهم بالعلم فضلا صلح لسان الحال بالعلماء وهل
المراد من العلم الا العمل وقال احمد ابن حنبل وهل يراد العلم الا لما وصل
اليه معروف وصح عن سفيان الثوري وقال وددت ان يدي قطعت
ولم اكتب الحديث وقالت ام الدرداء لرجل اعملت بما علمت قال لا قالت
فلم تستكثر من حجة الله عليك وجاء سفيان المرابعة فجلس بين
يديها يتنفع بكلامها فدل العلماء العلم على ان المقصود منه العمل به وانه
آلة فانكسروا واعترفوا بالتقصير فحصل الكل على الاعتراف والذل فاستحقت
المعرفة منهم حقيقة العبودية باعترافهم فذلك هو المقصود من التكليف

فصل العاقل يحفظ جانب الله عز وجل وان غضب الخلق
وكل المخلوقين والجاهل من يطلب رضاء كل المخلوقين ويضيع حق الخالق
فيقلب الله قلب الذي قصد ان يرضيه فيسخط عليه قال المامون لبعض
اصحابه لا تعصين الله بطاعتي فيسلطني عليك ولما بالغ طاهر ابن الحسين
فيما فعل بالامين وفتك به وصلب راسه وان كان ذلك عن ارادة
المامون ولكن بقي اثر ذلك في قلبه فكان لا يقدر ان يراه ولقد دخل عليه يوما

فبكى



فبكى المامون فقال له طاهر لم تبكي لا ابكى الله عينك فلقد دانت لك البلاد
فقال لا من ذكره ذل وستره هتك ولن يخلو احد من شجن فلما خرج طاهر
نفذ الحسين الخادم مائتي الف درهم وساله ان يسال المامون لم بكى فلما
تغدى المامون قال يا حسن يا حسين اسقني قال لا والله لا اسقيك
حتى تقول لي لم بكيت حين دخل عليك طاهر قال يا حسين وكيف غنيت
بهذا حتى سالت عنه قال الغم بذلك قال يا حسين ان خرج من راسك
قلنسوتك قال يا سيدي ومتى اخرجت لك سرا قال اني ذكرت اخي محمدا
وما ناله من الذلة فخنقتني العبرة فاسرعت الى فاضتها ولن يفوت
طاهر امري ما يكره فاخبر حسين طاهرا بذلك فركب طاهر الى احمد ابن ابي
خالد فقال له ان المعروف عندي ليس بظاهر بضايع فغيبني عن عينه
قال سافعل فدخل على المامون فقال مابك البارحة فقال ولم قال
لانك ولبت غسان ابن عباد خراسان وهو ومن معه اكلة راس فاخاف
ان يخرج خارج من الترك فيصطلمه قال فمن ترى قال طاهر ابن الحسين
فعقد له فمضى فبقي مدة ثم قطع الدعاء للمامون على المنبر يوم الجمعة
فقال له صاحب البريد ما دعوت لامير المؤمنين فقال سهو فلا تكتب
فعل ذلك في الجمعة الثانية والثالثة فقال له لابد ان اكتب ليلا يكتب
التجار ويسبقوني قال اكتب فكتب فدعا المامون احمد ابن ابي خالد
وقال انه لم يذهب على احتيالك في امر طاهر وانا اعطي الله عهدا
ان لم تشخص حتى توافيني به سما اخرجه من بيضتي لتذمن عقبال
شخص وجعل يتلوم في الطريق ويعتل بالمرض فوصل الى الري
وقد بلغته وفاة طاهر قلت وكان خروج الراشد من بغداد

واراد تولية المقتفي شهد جماعة من الشهود بان الراشد لا يصلح للخلافة
فنحوه وولي المقتفي فبلغني انه ذكره للمقتفي بعض الشهود فذمه وقال كان
فيمن اعان على ابي جعفر فهو وعلى ضد هذا كل من يراعي جانب الحق والصواب
يرضى عنه من سخط عليه ولقد حدثني الوزير ابن هبيرة ان المستنجد بالله
كتب اليه كتابا وهو يومئذ ولي عهد واراد ان يستره من ابيه قال فقلت
للواصل له والله ما يمكنني اقراءه ولا اجيب عنه فلما ولي الخلافة دخلت عليه
فقلت آبرد ليل على صديق حاخاجي ابن ملحا بيتك في بيت قال
صدقت انت الوزير ه وحدثني بعض الصدقاء ان قوما لجوا
الى صاحب المخزن بعض دين لهم ليتخلص فقال المسترشد لصاحب
المخزن خلصهم وخذ ما ضمنوا لنا فاحضر ابن الرطبي وعرض الامر
عليه فقال هذا امر مظلم وما احكم فيه فقال ان السلطان قد تقدم قال
ما افعل فاحضر قاضيا آخر فثبت الحكم فاخبر الخليفة بالحال فقال
اما ابن الرطبي فيشكر على ما قال واما الآخر فيعزل وذلك لانه بان له
ان الحق ما قاله ابن الرطبي وكذلك ما طلبه السلطان من ان يلقب
ملك الملوك فاستفتى الفقهاء فلجانوا ذلك وامتنع من اجازته
الماوردي فعظم قدره عند السلطان ومثل هذا اذا تتبع كثير فينبغي ان
يحسن القصد لطاعة الخالق وان سخط المخلوق فانه يعود صاغرا
ولا يسخط الخالق فانه يسخط المخلوق فيفوت الحظان جميعا فصل
تاملت الارض ومن عليها بعين فكري فرايت خرابها اكثر من
عمرانها ثم نظرت في المعمور منها فوجدت الكفار مستولين على اكثره
ووجدت اهل الاسلام في الارض قليلا بالاضافة الى الكفار

ثم تاملت

ثم تاملت المسلمين فرايت الاكثر قد شغلت جمهورهم عن الرازق
واعرضت بهم عن العلم الذي عليه فالسلطان مشغول بالامر والنهي واللذات
العارضة له ومناه اغراضه جارية لا منكر لها ولا يلقاه احد بموعظة
بل بالمدحة التي تقوي هوى النفس وانما ينبغي ان تقاوم الامراض
باضدادها كما قال عمر ابن المهاجر قال لي عمر ابن عبد العزيز افارا ابتني قد
حدت عن الحق فخذ بثيابي وهزني وقل مالك يا عمر وقال عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه رحم الله من اهدى الينا عيوبنا فاحوج الخلق
الى النصايح والمواعظ السلطان واما جنود فجمهورهم في سكر الهوى وزينة
الدنيا وقد انضاف الى ذلك الجهل وعدم العلم فلا يولهم ذنب ولا يتحجون
من لبس حرير او شرب خمر ثم ان احتاجوا الاشياء من غير وجهها فالظلم معهم
كالطبع واما ارباب البوادي فقد عمهم الجهل واهل القرى فكذلك تقلبهم في الاخباس
والتهوين لامر الصلوة وربما صلت المراة منهن قاعدة ثم نظرت في التجار
فراتهم قد غلب عليهم الحرص حتى لا يرون سوى وجوه الكسب كيف كانت
وصار الربا في معاملاتهم فاشيا فلا يبالي احدهم من اين حصلت له الدنيا
وهم في باب الزكوة مفرطون ولا يستوحشون من تركها الا من عصم الله
ثم نظرت في ارباب المعاش فوجدت الغش في جل معاملاتهم عاما
والتطفيف والبخس وهم مع هذا مغمورون بالجهل ورايت عامة من لا ولد
يشغله بعضهم عنه لا اشتغالا طلبا للكسب قبل ان يعرف ما يجب عليه
وما يتادب به ثم نظرت في النساء فرايتهن قليلات الدين عظيمات الجهل
ما عندهن من الخير فخبر الا من عصم الله فقلت واعجبا لمن يتخذ خدمة الله
عز وجل ومعرفته فنظرت فاذا العلماء والمتعلمون والعباد المتزهدون فتاملت

العباد والمتزهدين فرايت جمهورهم يتعبد بغير علم ويأنس الى تعظيمه وتقبيل
يده وكثرة اتباعه حتى ان احدهم لو اضطر الى ان يشتري حاجة من السوق
لم يفعل ليلا ينكسر جاهه ثم تترقى بهم رتبة الناموس الى ان لا يعودوا مريضا
ولا يشهدوا جنازة الا ان يكون عظيم القدر عندهم ولا يتزاورون بل ربما
ظن بعضهم على بعض فقد صارت النواميس كالاوثان يعبدونها ولا
يعلمون وفيهم من يقدم على الفتوى بجهل ليلا يخل بناموس المتصدر
ثم يعيبون العلماء بحرصهم على الدنيا ولا يعلمون ان المذموم من الدنيا
ما هم فيه لا تناول المباحات ثم تاملت العلماء والمتعلمين فرايت القليل في
المتعلمين من علم امارة النجابة لان امارة النجابة طلب العلم للعمل به وجمهورهم
يطلب ما يصيره شبكة للكسب اما ليلتذ قضاء مكان او يصير قاضي بلد
او قدر ما يتميز به عن اقرانه جنسه ثم يكتفي ثم تاملت العلماء فرايت اكثرهم
يتلاعب به الهوى ويستخدمه فهو يوثر ما يصده العلم عنه ويقبل على
ما ينهاه ولا يكاد يجد ذوق معاملة الله سبحانه وانما همته ان يقول
الا ان الله تعالى لا يخلي الارض من قائم لله بالحجة جامع بين العلم والعمل
عارف بحقوق الله خائف منه فذلك قطب الدنيا ومتى مات خلق الله
عوضه ومهما لم يمت حتى يرى من يصلح للنيابة عنه في كل نائبة وشل
هذا لا تخلو الارض منه فهو في مقام النبي في الامة وهذا الذي اصفه يكون
قائما بالاصول حافظا للحدود وربما قل علمه او قلت معاملته فاما
الكاملون في جميع الادوات فحيث وجودهم فيكون في الزمان البعيد منهم
واحد ولقد سبرت السلوك كلهم فاردت ان استخرج منهم من جمع بين العلم
حتى صار من المجتهدين وبين العمل حتى صار قدوة للعابدين فلم ار اكثر من



ثلاثة اولهم الحسن البصري وثانيهم سفيان الثوري وثالثهم احمد بن حنبل
وقد اوردت لاخبار كل واحد منهم كتابا وما انكر على من رتبهم بسعيد بن
المسيب وان كان في السلف سادات الا ان اكثرهم غلب عليه فن فنقص من
الآخر فمنهم من غلب عليه العلم ومنهم من غلب عليه العمل وكل هؤلاء كان له
الحظ الوافر من العلم والنصيب الاوفى من المعاملة والمعرفة ولا يوجد من
من وجود من يحذو حذوهم وان كان الفضل بالسبق لهم فقد اطلع الله
عز وجل الخضر على ما خفي عن موسى عليهما السلام فخزائن الله مملوءة وعطاؤه
لا يقف على شخص ولقد حكي لي عن ابن عقيل انه كان يقول عن نفسه انا عجلت
فقالب ثم كسر وهذا غلط فمن ابن له فكم معجب بنفسه كشف له من غيره
ملعاد يحقر نفسه على ذلك وكم من متاخر سبق متقدما وقد قيل
ان الليالي والايام حاملة ○ وليس يعلم غير الله ما تلد

## فصل

تاملت جهاد النفس فرايته اعظم الجهاد ورايت خلقا من العلماء
والزهاد لا يفهمون معناه لان فيهم من منعها حظوظها على الاطلاق
وذلك غلط من وجهين احدهما انه رب مانع لها شهوة اعطاها
بالمنع او في منها مثل ان يمنعها مسلكا فيشتهي بمنعه اياها ذلك
فترضى النفس بالمنع لانها قد استبدلت به المدح واخفى من ذلك ان يرى
بمنعه اياها ما منع انه قد فضل من سواه من لم يمنعها ذلك وهذه دقائق
تحتاج الى مناقش فهم يخلصها والوجه الثاني اننا قد كلفنا حفظها
ومن اسباب حفظها بذلها الى الاشياء التي تقيمها فلا بد من اعطائها
ما يقيمها ونحن كالوكلاء في حفظها لانها ليست لنا بل هي وديعة
عندنا نمنعها حقوقها على الاطلاق خطر ثم رب شد اوجب استرخاء

قول ابن عقيل

قف على من جهاد النفس

وانما الجهاد لها كجهاد المريض العاقل يحملها على مكروهها في تناول ما يرجو
به العافية ويذوب في المرارة قليلا من الحلاوة ويتناول من الاغذية مقدار
ما يصفه الطبيب ولا يتعداه فكذلك المؤمن العاقل لا يترك لجامها
ولا يهمل مقودها بل يرخي لها في وقت والطول بيده فما دامت على
الجادة لم يضايقها فاذا رأها قد مالت ردها باللطف فان وافت
والا فبالعنف وليس في سياط التاديب اجود من سوط عزم هذه
مجاهدة من حيث العمل فاما من حيث وعظها وتانيبها فينبغي
لمن رآها تستكين للخلق وتتعزز بالدناءة من الاخلاق ان يعرفها
تعظيم خالقها فيقول الست التي قال فيك خلقتك بيدي و
اسجدت لك ملائكتي وارتضاك للخلافة في ارضه ورسله واقدرك
منك واشتراك فان تكبرت قال لها هل انت الا قطرة من مائك مهين
تقلك شرقة وتوءلك بقة وان راى تقصيرها عاجزة فهاهو المولى على
العبيد وان وثبت على العمل حد تنهبزيل الاجر وان مالت الى الهوى
خوفها عظيم الوزر ثم يحذرها عاجل العقوبة الحسية كقوله تعالى قل
ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم والمعنوية كقوله تعالى ساصرف عن
اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق فهذا جهاد بالقول وذاك جهاد
بالفعل **فصل** رايت من البلاء العجاب ان المؤمن يدعو فلا
يجاب فيكثر الدعاء وتطول المدة ولا يرى اثر الاجابة فينبغي له ان يعلم
ان هذا من البلاء الذي يحتاج الى صبر وما يعرض للنفس من الوساوس
في تاخير الجواب مرض يحتاج الى طب ولقد عرض لي من هذا الجنس فانه نزلت
بي نازلة فدعوت وبالغت فلم ار الاجابة فاخذ ابليس يجول في خلدات





فتارة يقول الكرم واسع والبخل معدوم فما فايدة تاخير الجواب فقلت له
اخسأ يا لعين فما احتاج الى تقاضي ولا ارضاك وكيلا ثم عدت
الى نفسي فقلت اياك ومساكنة وسوسته فانه لو لم يكن في تاخير
الاجابة الا ليبلوك القدر في مجانبة العدو لكفى في الحكمة قالت فسلني
عن تاخير الاجابة في مثل هذه النازلة فقلت قد ثبت بالبرهان ان الله
عز وجل مالك والملك التصرف بالمنع والعطاء فلا وجه للاعتراض عليه
والثاني انه قد ثبت حكمته بالادلة القاطعة فربما راينا الشيء مصلحة
والحكمة لا تقتضيه وقد يخفى في الحكمة فيما يفعله الطبيب من اشياء تؤذي
في الظاهر يقصد بها المصلحة فلعل هذا من ذاك والثالث انه قد يكون
التاخير مصلحة والاستعجال مضرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال
العبد بخير ما لم يستعجل يقول دعوت فلم يستجب لي والرابع قد يكون
امتناع الاجابة لآفة فيك فربما يكون في مأكولك شبهة او قلبك وقت
الدعاء في غفلة او تزاد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت
في التوبة منه فابحثي عن بعض هذه الاسباب لعلك تقعي بالمقصود
الخامس ينبغي البحث عن مقصودك فربما كان في حصوله زيادة اثم او
تاخير عن مرتبة خير وكان المنع يصلح وقد روي عن بعض السلف انه كان
يسال الله الغزو فهتف به هاتف انك ان غزوت اسرت وان اسرت تنصرت
والسادس ربما كان فقد ما فقدتيه سببا للوقوف على الباب واللجاء
وحصوله سببا للاشتغال عن المسؤول وهذا الظاهر بدليل انه لولا هذه
النازلة ما رايناك على باب اللجاء فالحق عز وجل علم من الخلق اشتغالهم
بالرزق عنه فلذعهم في خلال ذلك بعوارض تدفعهم الى باب يستغيثون به

سبان
بدليل

فهذا من النعيم في طي البلاء وانما البلاء المحض ما يشغلك عنه وانما يقيمك بين يديه
فيه جمالك وقد حكي البكاء انه راى ربه عز وجل في المنام فقال يا رب كم ادعوك
ولا تجيبني فقال يا يحيى اني لاحب ان اسمع صوتك وانا تد تركت هذه الاشياء
تشاغلت بما هو انفع لك من حصول ما فاتك من رفع خلل او اعتذار من زلل
او وقوف على الباب او تسليم الى رب الارباب **فصل** تفكرت في السر الذي
اوجب حذف آية الرجم من القرآن لفظا مع ثبوت حكمها اجماعا فوجدت
لذلك معنيين احدهما لطف الله تعالى بعباده في انه لا يواجههم باعظم
المخاوف بذكر الجلد وستر الرجم ومن هذا المعنى للجنس قال بعض العلماء
ان الله تعالى قال في المكروهات كتب عليكم الصيام على لفظ الجنس فاعلم وان
كان قد علم انه هو الكاتب فلما جاء الى ما يوجب الراحة قال كتب على نفسه
الرحمة والوجه الثاني انه يبين بذلك فضل الامة في بذلها النفوس
قنوعا ببعض الادلة فان الاتفاق لما وقع على ذلك الحكم كان دليلا الا انه
ليس كالدليل المتفق لاجله ومن هذا الجنس شروع الخليل عليه الصلوة والسلام
في ذبح ولده بمنام وان كان الوحي في اليقظة اكد **فصل** تلحظ على
خلق كثير من الناس اهمال بدانهم فمنهم من لا ينظفه بالخلال بعد الاكل
ومنهم من لا ينقي يديه في غسلها من الزهم ومنهم لا يكاد يستاك وفيهم
من لا يكتحل وفيهم من لا يراعي الابطال غير ذلك فيعود هذا الاهمال بالملل
بالخلل في الدين والدنيا اما الدين فانه قد امر المؤمن بالتنظف
والاغتسال للجمعة لاجل اجتماعه بالناس ونهي عن دخول المسجد اذا
اكل الثوم وامر الشرع بتنقية البراجم وقص الاظفار والسواك والاستحداد
وغير ذلك من الآداب فاذا اهمل ذلك ترك مسنون الشرع وربما تعدى

بعض



بعض ذلك الى فساد العبادة مثل ان يهمل اظفاره فيجتمع تحتها الوسخ
المانع للماء في الوضوء ان يصل واما الدنيا فاني رايت جماعة من
المهملين انفسهم يتقصون الى الاسرار والغفلة التي اوجبت اهمالهم
انفسهم اوجب جهلهم بالاذى الحادث عنهم فاذا الخذوا في مناجاة
السر لم يمكن ان اصف عنهم لانهم يقصدون السر فالقى الشدايد من ريح
افواههم ولعل اكثرهم من وقت انتباهه ما مر اصبعه على لسانه ثم
يوجب مثل هذا نفور المراة وقد لا تسمح من ذكر ذلك للرجل فيتم ذلك
التفاتها عنه وقد قالت الحكماء من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه
زاد عقله ومن طال ظفره قصرت يده فالمتنظف ينعم نفسه ومن تامل
حصل بعض الرسول صلى الله عليه وسلم راى كاملا في العلم والعمل فبه يكون
الاقتداء وهو الحجة على الخلق **فصل** السر في التكليف اصعب من
الصبر على القضاء ولانه افضل من الرضاء به فاما الصبر فهو فرض
واما الرضاء فهو فضل وانما صار صعب الصبر لان القضاء القدر
يجري في الاغلب بمكروه النفس وليس مكروه النفس يقوى على المرض
والاذى في البدن بل هو يتنوع حتى يتحير العقل في جريان القدر فمن ذلك
انك اذا رايت مغمورا بالدنيا قد سالت لها وديمتها حتى لا يدري
ما يصنع بالمال فهو يصوغه اواني يستعملها ومعلوم ان البلور
والعقيق والشبه قد يكون احسن منها غير ان قلة مبالاته بالشريعة جعلت
عنده وجود النهي كعدمه ويلبس الحرير ويظلم الناس والدنيا منصبة
عليه ثم ترى خلقا من اهل الدين وطلاب العلم مغمورين بالفقر والبلاء
مقهورين تحت ولاية ذلك الظالم فحينئذ يجد الشيطان طريقا

للوسواس ويبتدي بالقدح في حكمة القدر فيحتاج المؤمن الى الصبر على ما يلقى
من الضر في الدنيا وعلى جدال ابليس في ذلك وكذلك في تسليط الكفار
على المسلمين والفساق على اهل الدين وابلغ من هذا ايلام الحيوان وتعذيب
الاطفال ففي مشاهدته المواطن تمحض الايمان وعما يقوي الصبر على
الحالتين النقل والعقل اما النقل فالقرآن والسنة اما القرآن فمنقسم الى
قسمين احدهما بيان سبب اعطاء الكافر والعاصي من ذلك قوله تعالى
انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وفي القرآن من هذا كثير والقسم الثاني ابتلاء المؤمن
بما يلقى كقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وفي القرآن من هذا كثير واما السنة
فمنقسمة الى قول وحال اما الحال فانه كان ينقلب على رمال حصير تؤثر في
جنبه فبكى عمر رضي الله عنه وقال كسرى وقيصر في الحرير والديباج فقال صلى
الله عليه وسلم اني شككت ان الاولى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا واما
القول فكقوله عليه الصلوة والسلام لو كان الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة ماء واما العقل فانه يقوي عساكر الصبر بجنود
منها ان يقول قد ثبت عندي الادلة القاطعة حكمة المقدر فلا اترك
الاصل الثابت لما يظنه الجاهل خللا ومنها ان يقول ما قد استولت ايها
الناظر من بسط يد العاصي قبض في المعنى وما قد تؤثر عندك من قبض يد الطايع
بسط في المعنى لان ذلك البسط يوجب عقابا طويلا وهذا القبض يوجب
يوثر البساط في الاجر جزيلا فزمان الرجلين ينقضي عن قريب والمراحل
تطوى والركبان في الحديث فهذه النبذ تقوي ازر الصبر وازيدها بسطا

فاقول



فاقول انرى اذا اريد اتخاذ شهد فكيف لا يخلق اقوام تبسط ايديهم لقتل
المؤمنين افيجوز ان يفنك بعمر الاشقى لوثوقه وبعلي الاشقى ابن ملجم
افيصلح ان يقتل يحيى ابن زكريا الاحبار كفروا وان عيب الفهم زال عنها
عشا العشا لرأي المسبب لا الاسباب والمقربة لا الاقدار فصبرت على بلاية
ايثارا لما يريد ومن هاهنا ينشأ الرضا كما قيل لبعض اهل البلاء ادع الله
بالعافية فقال احبه الي اسبه الى الله عز وجل

ان كان رضاكم في سهري ... فسلام الله على سهري

**فصل** لما انهيت كتابة الفصل المتقدم هتف بي هاتف من باطني
دعني من شرح الصبر على الاقدار فاني اجد نسيما من ذكره فرح الروح فقلت
ايها الهاتف اسمع الجواب وافهم الصواب ان الرضى من جملة ثمرات المعرفة
فاذا عرفته رضيت بقضائه وقد يجري في ضمن القضاء مرارات يجد
بعض طعمها الراضي واما العارف فتقل عنده المرارة لقوة حلاوة المعرفة
فاذا ترقى بالمعرفة الى المحبة صارت مرارة الاقذار كما قال القايل

عذابه فيك عذب ... وبعده فيك قرب
وانت عندي كروحي ... بل انت منها احب
حسبي من الحب اني ... لما تحب احب

وقال بعض المحبين في هذا المعنى

يقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله فيحسن منك ذاكا

فصاح بي الهاتف حدثني بما اذا رضي قدراني ارضى في اقداره بالمرض
والفقر فاراضي بالكسل عن خدمته والبعد عن اهل محبته فبين لي
ما الذي يدخل تحت الرضى مما لا يدخل فقلت لك نعم ما سالت فاسمع

عند حلاوة ط

الفرق سماع من الفي السمع وهو شهيد رض بمانه فاما الكسل والتخلي فذاك
منسوب اليك فلا ترض به من فعلك وكن سنوفيا حقه عليك
مناقشا نفسك فيما يقربك منه غير راض نائمها بالتواني في المجاهده
فاما ما يصدر من اقضيته المجردة التي لا كسب لك فيها فكن راضيا
بها كما قالت رابعة رحمة الله عليها وقد ذكر عندها رجل من العباد
بالتقط من مزبلة فيأكل فقيل هل لاسال الله تعالى ان يجعل رزقه من غير
هذا فقالت ان الراضي لا يتخير ومن ذاق طعم المعرفة وجد فيه طعم المحبة
فوقع الرضى عنده ضرورة ٥ فينبغي الاجتهاد في طلب المعرفة بالادلة
ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجد في الخدمة لعل ذلك يورث المحبة فقد قال
سبحانه وتعالى لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به فذلك الغنى الاكبر وافقوا
فصل رايت جمهور العلماء يشغلهم طلبهم العلم في زمن الصبا
عن المعاش فيحتاجون الى ما لا بد منه فلا يصلهم من بيت المال شيء
ولا من صلات الاخوان ما يكفي فيحتاجون الى التعرض بالانذال فلم ار في ذلك
من الحكمة الا سببين احدهما قمع اعجابهم بهذا الاذلال والثاني نفع
اولئك بثوابهم ثم امعنت الفكر فتلمحت نكتة لطيفة وهي ان النفس
الابية اذا رات حال الدنيا كذلك لم تسكنها بالقلب وتبت عنها بالغرم
ورات اقرب الاشياء شبها بها من بلة عليها الكلاب او غايط يوقى
لضرورة فاذا نزل الموت بالرحلة عن مثل هذه الدار لم يكن للقلب بها
تعلق متمكن فتهون حينئذ فصل مازال جماعة من
المتزهدين يزرون على كثير من العلماء اذا انبسطوا في سبحات والذي





يحملهم على هذا الجهل فلو كان عندهم فضل علم ما عابوهم وهذا لان الطباع
لا تتساوى فرب شخص يصلح على خشونة العيش وآخر لا يصلح على ذلك
ولا يجوز لاحد ان يحمل غيره على ما يطيقه هو غير ان لنا ضابطا هو
الشرع فيه الرخصة وفيه العزيمة فلا ينبغي ان يلام من حصر نفسه في ذلك الضابط
ورب رخصة كانت افضل من عزائم لتاثير نفعها ولو علم المتزهدون
ان العلم يوجب المعرفة بالله فتذيب القلوب من خوفه وتذل الاجسام
للحذر منه فوجب التلطف بالاجسام حفظا لقوى الراحلة ولان آلة
العلم والحفظ القلب والفكر فاذا رفهت الآلة جاد العمل وهذا من لا يعلم
الا بالعلم كما قيل روحوا القلوب تعي الذكر فصل ليس في الوجود
شيء اشرف من العلم كيف لا وهو الدليل فاذا عدم وقع الضلال ولان
من خفي مكايد الشيطان ان يزين في نفس الانسان التعبد ليشغله عن
افضل التعبد وهو العلم حتى انه زين لجماعة من القدماء انهم دفنوا كتبهم
ورموها في البحر وهذا من خفي حيل ابليس وانما فعل وزينه عندهم
لسببين احدهما انه اراد هم يمشون في الظلمة والثاني ان تصفح العلم كل يوم
يزيد في العالم ويكشف له ما كان خفي عنه ويقوي ايمانه ومعرفته ويريه
عيبا كثيرا من مسالكه اذا تصفح منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه
فاراد ابليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة فاظهر ان المقصود العمل لا العلم
نفسه وخفي على المخدوع ان العلم عمل واي عمل فاحذروا من هذه
الخديعة الخفية فان العلم هو الاصل الاعظم والنور الاكبر وربما كان تقليب
الاوراق اعظم من الصوم والصلوة والحج والغزو وكم من معرض عن العلم
يخوض في عذاب من الهوى في تعبد ويضيع كثيرا من الفرض بالنفل ويشتغل

بما يزعمه الافضل عن الواجب ولو كانت عنده شعلة من نور العلم لاهتدى
فتامل ما ذكرته ترشد ان شاء الله تعالى **فصل** دعوت يوما فقلت
اللهم بلغني امالي من العلم والعمل واطل عمري لابلغ ما احب من ذلك فعارضني
وسواس من ابليس فقال ثم ماذا ليس الموت مما الذي ينفع طول الحيوة فقلت له
يا ابله لو فهمت ما تحت سؤالي علمت ان ليس يعجز الليس في كل يوم يزيد علمي
ومعرفتي فتكثر ثمار عرسي فاشكر يعني يوم حصادي فليسرني انني مت منذ
عشرين سنة لا والله لاني ما كنت اعرف الله عشر معرفتي به اليوم وكل ذلك ثمرة
الحيوة التي فيها جنيت ادلة الوحدانية وارتقيت عن حضيض التقليد
الى يفاع البصيرة واطلعت على علوم زاد بها قدري وتجوهرت بها نفسي ثم
زاد بها غرسي لاخرني وقويت تجاربي في انقاذ المباضعين من المتعلمين
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من السعادة ان يطول عمر العبد ويرزقه الله
عز وجل الانابة فيا ليتني قدرت على عمر نوح فان العلم كثير وكلما حصل من
حاصل دفع ونفع **فصل** تاملت قوله عز وجل يمنون عليك
ان اسلموا الاية تراءيت فيه معنى عجيبا وهو انهم لما وهبت لهم العقول قد يرطوا
بها عبد الاصنام وعلموا انها لا تصلح للعبادة فوجهوا العبادة الى من
فطر الاشياء كانت هذه المعرفة ثمرة العقل الموهوب لهم الذي به بانوا
البهائم فاذا انحط بفعلهم الذي ندب اليه العقل الموهوب فقد جهلوا قدر
الموهوب وغفلوا عن من وهب واي شيء لهم في الثمرة والشجرة ليست ملكا
لهم فعلى هذا كل سعيد ومجتهد في علم وعمل انما راى بنور اليقظة وقوة
الفهم والعقل صواب فعله فوقع على المطلوب فينبغي ان يوجه الشكر
الى من بعث له في ظلام الطبع القبس ومثل هذا رؤية المتقي تقواه حتى انه

حتى انه يرى الله افضل من كثير من الخلق وربما احتقر اهل المعاصي وتشمخر عليهم وهذه غفلة في طريق السلوك وربما امزجت ولا اقول لك خالط
الفساق احتقارا لنفسك بل اغضب عليهم واعرض عنهم في الظاهر وتلطف جريان
الاقدار عليهم في الباطن فاكثرهم ممن لا يعرف لمن عصى وجهوهم لا يقصد
العصيان بل يريد موافقة هواه وعزيز عليه ان يعصي وفيهم من غلب عليه
تلطف الحلم والعفو فاحقر ما ياتي لفوة يقينه بالعفو وهذه كلها ليست
باعذار لهم ولكن تلمحها انت يا صاحب التقوى واعلم ان الحجة عليك
اوفى من الحجة عليهم لانك تعرف من تعصي وتعلم ما تاتي بل انظر الى تقلب
القلوب بين اصبعين فربما دارت الدائرة فنصرت المنقطع ووصل المقطوع
فالعجب ممن يدل بخير يعمله وينسى من انعم ووفق **فصل** اعلم ان شرعنا
مضبوط الاصول محروس القوانين لا خلل فيه ولا دخل وكذلك كل الشرايع انما الافة
تدخل من المبتدعين في الدين او الجهال وقد قارب الضلال في امثاله هذه
المسالك وان كان عمومهم قد حفظ من الشرك والشك والخلاف في الظاهر
لانهم اعقل الامم وافهم غير ان الشيطان قارب بهم ولم يطمع في اغراقهم وان
كان قد اغرق بعضهم في بحار الضلال فمن ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم
جاء بكتاب عزيز من الله عز وجل قيل في صفته ما فرطنا في الكتاب من شيء
وبين ما عساه يشكل مما يحتاج الى بيانه بسنته كما قيل له لتبين
للناس ما نزل اليهم فقال بعد البيان تركتكم على بيضاء نقية فجاء اقوام
فلم يقنعوا بتبيينه ولم يرضوا بطريقة اصحابه فجثوا ثم اقتسموا فمنهم من
تعرض لما تعب الشرع في انباته في القلوب فمحاه منها فان القران والحديث
يثبتان الاله عز وجل باوصاف تقرر وجوده في النفوس كقوله تعالى ثم استوى

على العرش وقوله تعالى بيديه مبسوطتان وقوله تعالى ولتصنع على عيني
وقول النبي صلى الله عليه وسلم ينزل الله الى السماء الدنيا ويبسط يده ليتوب
الليل والنهار ويضحك ويغضب وكل هذه الاشياء وان كان ظاهرها
يوجب تخايل التشبيه فالمراد منها اثبات موجود فلما علم الشرع ما
يطرق القلوب من التوهمات عند سماعها قطع ذلك بقوله ليس كمثله
شيء ثم ان هؤلاء القوم عادوا الى القرآن الذي هو المعجز الاكبر وقد قصد
الشرع تقرير وجوده فقال انا انزلناه تولى به الروح الامين فنبرني ومن يكذب
بهذا الحديث وهذا كتاب انزلناه واثبته في القلوب بقوله تعالى في صدور
الذين اوتوا العلم وفي المصاحف بقوله تعالى في لوح محفوظ وقول الرسول صلى الله
عليه وسلم لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو فقال قوم من هؤلاء مخلوق
فاسقطوا حرمته من النفوس وقالوا لم ينزل ولا يتصور نزوله وكيف
تنفصل الصفة عن الموصوف وليس في المصحف الا حبر وورق فعادوا على
ما نعب الشارع في اثباته بالمحو كما قالوا ان الله عز وجل ليس في السماء ولا
يقال استوى على العرش ولا ينزل الى السماء الدنيا بل ذاك رحمته فمحوا
من القلوب ما اريد اثباته فيها وليس هذا مراد الشارع وجاء آخرون فلم
يقنعوا على ملاحظة الشرع بل عملوا فيها بارائهم فقالوا الله على العرش ولم
يقنعوا على ملاحظة الشرع بقوله ثم استوى على العرش ودفن لهم اقوام
من سلفهم دفائن ووضعت لهم الملاحدة احاديث فلم يعلموا ملجوز
عليه مما لا يجوز فاثبتوا لها صفاته وجمهور الصحيح منها آت على
توسع العرب فاخذوهم على الظاهر فكانوا في ضرب المثل كجحا فان امه
قالت له احفظ الباب فقلعه ومشى به فاخذ ما في الدار فلامته





فقال انما قلت لي احفظ الباب وما قلت لي احفظ الدار ولما تخايلوا صورة عظيمة
على العرش اخذوا يتاولون ما بنافي وجودها على العرش مثل قوله ومن اتاني
يمشي اتيته هرولة فقالوا ليس المراد به دنو الباب وانما المراد قرب المنزل ولحظ
وقالوا في قوله تعالى الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام هو محمول على ظاهرها
في مجيء الذات فهم يجلونه عاما ويجرونه عاما ويسمون الاضافات
الى الله تعالى صفات فانه قد اضاف اليه النفخ والروح واثبتوا خلقه
باليد فلو قالوا خلقه لم يكن انكارا بل قالوا هي صفة تولى بها خلق آدم
دون غيره فاي مزية كانت تكون لآدم فشغلهم النظر في فضيلة آدم عن
النظر الى ما هو يليق بالحق مما لا يليق به فانه لا يجوز عليه المس والاعمال
بالآلات وانما آدم اضافه اليه وقالوا نطق على الله تعالى اسم الصورة لقوله
خلق آدم على صورته فهو فهموا هذا الحديث وهو قوله عليه الصلوة والسلام
اذا ضرب احدكم فليجتنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ولا وجها اشبه
وجهك فان الله خلق آدم على صورته فلو كان المراد به الله عز وجل لكان
وجه الله سبحانه يشبه وجه هذا الخاسر لان الحديث كتجاء ولا وجها
اشبه وجهك وورد لحديث خولة بنت حكيم وان آخر وطيئة وطيها الله
بوج وما علموا النقل ولا السير وقول الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك
على مضر وان المراد به آخر وقعة قاتل فيها المسلمون بوج وهي غزاة حنين
فقالوا نحمل الخبر على ظاهره وان الله وطئ ذلك المكان ولا شك ان عندهم
ان الله تعالى قد كان في الارض ثم صعد الى السماء وكذلك قالوا في قوله
ان الله لا يمل حتى تملوا قالوا يجوز ان الله يوصف بالملل فجهلوا اللغة
وعلموا انه لو كانت حتى هاهنا للغاية لم تكن بمدح لانه اذا ملل حين

ظ الذات

لعله اضافة تشريف

حملوا في مدح وانما هو كقول الشاعر

حسبي هذيل بخرق لا يميل الرمح حتى تميلوا

والمعنى لا يميل وان ملّوا وانما ذكرت بعض اقوالهم لئلا يسكن الى شيء منها
فالحذر من هؤلاء وانما الطريق طريق السلف على انني اقول اذا قد
قال احمد بن حنبل رحمة الله عليه من ضيق علم الرجل ان يقلد في دينه
الرجال فلا ينبغي ان تسمع من معظم في النفوس شيئا في الاصول فتقلده
فيه ولو سمعت عن احد ما لا يوافق الاصول الصحيحة فقل هذا من الراوي
لانه قد ثبت عن ذلك الامام انه لا يقول برأيه فلو قدرنا صحته عنه
فانه لا يقلد في الاصول ولا ابو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فهذا اصل يجب
البناء عليه فلا يهولنك ذكر معظم في النفوس والمقصود شرح ان ديننا
سليم وانما ادخل اقوام فيه ما ذكرناه **فصل** ينبغي للعاقل
ان يلازم باب مولاه على كل حال وان يتعلق بذيل فضله ان عصى وان
اطاع ولكن له انس في خلوته فان وقعت وحشة فليجتهد في رفع
الموحش كما قال الشاعر **شعر** استوحش ان مما جنيت

فاحسن اذا شئت واستانس فان راى نفسه مائلة الى الدنيا طلبها
منه او الى الآخرة سأله التوفيق للعمل لها فان خاف ضرر ما يرومه من
الدنيا سأل الله اصلاح قلبه وطب مرضه فانه اذا صلح لم يطلب ما يؤذيه
ومن كان هكذا كان في العيش غير ان من ضرورة هذا الحال ملازمة التقوى
فانه لا يصلح الانس الا بها وقد كان ارباب التقوى يتشاغلون عن
كل شيء الا عن الله والسؤال وفي الحديث ان قتيبة ابن مسلم لما
صاف الترك هاله امرهم فقال ابن محمد بن واسع فقيل هو في قاص





اليمنية جالح على سيته فوسه يومي باصبعه نحو السماء فقال قتيبة
تلك الاصبع الفارية احب الي من مائة الف سيف شهر وسنان طرير
فلما فتح عليهم قال له ما كنت تصنع قال آخذ ذلك بجامع الطرق **فصل**
ينبغي لمن تظاهرت نعم الله عز وجل عليه ان يظهر منها ما بين اثرها
ولا يكشف جملتها وهذا من اعظم لذات الدنيا التي يأمر الحزم بتركها فان
العين حق ولقد تفقدت النعم فرايت اظهارها حلوا عند الناس الا انها
الا ان اظهرت لو يدلم يؤمن تشعث باطنه بالغيظ وان اظهرت لعدو
فالظاهر اصابته بالعين لموضع الحسد الا انني رايت بعد الحسود كاللازم
فانه في حال البلاء يتشفى وفي حال النعم يصيب بالعين ولعمري ان المنعم
عليه يشتهي غيظ حسوده ولكنه لا يؤمن ان يخاطر بنعمته فان الغالب
اصابة الحاسد لها بالعين وكتمان الامور في كل حال فعل الحازم فانه ان
كشف مقدار سنة استهزءوه ان كان كبيرا واحتقروه ان كان صغيرا وان
كشف ما يعتقده ناصبه الاضداد بالعداوة وان كشف قدر ماله استحقروه ان
كان قليلا وحسدوه ان كان كثيرا وفي هذه الثلاثة يقول الشاعر

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة سر ومال ما استطعت ومذهب
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة بموت ومخرف ومكذب

وقس على ما ذكرت ما لم اذكره ولا تكن من المذيع الذين لا يحلون اسرارهم
بل يفشونها الى من لا يصلح وربت كلمة جرى بها اللسان هلك بها
الانسان **فصل** رايت من نفسي عجبا تسأل الله عز وجل حاجتها
وتنسى جنايتها فقلت يا نفس السوء امثلك ينطق فان نطق فينبغي
ان يكون السؤال العفو فحسب فقالت فمن اطلب مرادي قلت

ما اسعك من طلب المراد انما اقول حقق التوبة وانطق كما نقول في العاصي
بسفره هذا اضطر الى الميتة لا يجوز له ان يأكل فان قيل لنا افيموت قلنا لا بل يتوب
ويأكل فالله الله من جرأة على طلب الاغراض ما نسيان ما تقدم من الذنوب
التي توجب تنكيس الرؤس وليس تشاغلت باصلاح ما مضى والندم عليه
جاءتك مراداتك كما روي من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي
السائلين ثم العجب من سؤالاتك فانك لا تكاد تسال مهما من الدنيا
بل فضول العيش ولا تسال صلاح القلب والدين مثل ما تسال صلاح الدنيا
فاعقل امرك فانك من الانبساط والغفلة على شفا جرف ولتكن جرأتك
على ربك لانك شاغلة لك عن مراداتك فقد كان الحسن البصري شديد
الخوف فلما قيل له في ذلك قال وما يؤمنني ان يكون اطلع علي بعض
ذنوبي فقال اذهب لا غفرت لك **فصل** اعجب العجب دعوى
المعرفة مع البعد عن العرفان بالله ما عرفه الا من خاف منه وامن
المطمئن فليس من اهل المعرفة وفي المتزهدين اهل تغفيل يكاد احدهم يوطن
على انه ولي ومحبوب ومقبول وربما توالت عليه الطاف ظنها كرامات
وفي الاستدراج الذي لقلة مبالاته للالطاف وربما احتقر غيره وظن
ان محلته محفوظة به تغره كيمات ينتصب فيها وعباقة ينصب بها
وربما ظن انه قطب الارض او انه لا ينال مقامه بعده احد وكانه
ما علم ان ليخاطبني مكالم بني يوشع عليهما السلام ويبشارك يا علية
السلام مجاب الدعوة نشر بالمنشار وتبشارك يحيى عليه السلام يوصف بانه سيد
سلط عليه كافر احتز راسه وبينا بالعلم معه الاسم الاعظم صار مثله كمثل الكلب
وبينا الشريعة يعمل بها نسخت وبطل حكمها وبينا البدن معمور خرب

وسلط



وسلط البلاء عليم وبينا العالم يذاب حتى ينال مرتبة يعتقدها نشأ
طفل في زمانه ترقى الى تشريعه وغلط وكم من متكلم يقول ما لم
ما مثلي لو عاش فسمع ما حدث بعده من الفصاحة عد نفسه اخرس
هذا وعظ ابن السماك وابن عمار وابن سمعون لا يصلح لبعض تلامذتنا
ولا يرضاه وربما اتى بعدنا من لا يعدنا فالله الله من مساكنة مسكن
ومخالفة مقام وليكن المتيقظ على انزعاج مسحر محتقرا الكثير من
طاعاته خائفا على نفسه من تقلباته ونفوذ الاقدار فيه واعلم ان
تلك هذه الاشياء التي اشرت اليها يضرب عنق العجب ويذهب كبر الكبر
**فصل** رايت عموم الخلايق يدفعون الزمان دفعا عجيبا
ان طال الليل فبحديث لا ينفع او بقراءة كتاب فيه غرابة وسمر وان طال
النهار فبالنوم وهم في اطراف النهار على دجلة او في الاسواق فشبهتهم
بالمحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر ورايت النادرين قد
فهموا معنى الوجود فلم في تعبية الزاد والتاهب للرحيل الا انهم يتفاوتون
وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الاقامة فالمتيقظون
منهم يتطلعون الى اخبار بالنافق هناك فيستكثرون منه فيزيد ربحهم
والغافلون منهم يحملون ما اتفق وربما خرجوا لامر خفيف ربحا فكم
ممن قطعت عليه الطريق فبقي مفلسا فالله الله في مواسم العمر والبدار
البدار قبل الفوات واستشهدوا العلم واستدلوا الحكمة وناقسوا الزمان
وناقشوا النفوس واستظهروا بالزاد فكان قد حدا الحادي فلم يفهم صوته
من وقع دم الندم **فصل** اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له
بمقتضى العقل والشرع فمن ذلك حفظ ماله وطلب تنميته والرغبة

وقف على اسماء هؤلاء العجاظ رحمهم الله تعالى

في زيادته لانه سبب بقاء الانسان وقد نهى عن التبذير فيه فقيل له ولا
تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما اي قواما لمعاشكم وقال
عز وجل ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا وقال تعالى
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ومن فضيلة المال ان الله تعالى
قال من ذا الذي يقرض الله وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل
الفتح وجعل المال نعمة وزكاة تطهيرا فقال تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وقال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح
وقال ما نفعني مال كمال ابي بكر وكان ابو بكر رضي الله عنه يخرج الى التجارة
ويترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينهاه عن ذلك وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لان اموت بين شعبتي رحل اطلب كفاف وجهي احب الي
من اموت غازيا في سبيل الله وكان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
يتجرون ومن سادات التابعين سعيد بن المسيب فمات وخلف
مالا وكان يحتكر الزيت وسار السلف على هذا ثم تعرض نوايب
كالمرض يحتاج فيها الى شيء من المال فلا يجد الانسان بدا من الاحتيال
في طلبه فيبذل عرضه او دينه ثم للنفس قوة بدنية عند وجود المال
وهو معدوم عند الاطباء من الادوية حكمة وضعها الواضع
وكان ابن عقيل رحمه الله يقول من قال اني لا احب الدنيا فهو كذاب
فان يعقوب عليه السلام لما طلب منه ان يامن قال هل آمنكم عليه
فقالوا ولنزداد كيل بعير فقال خذوه وقال بعض السلف من ادعى
بغض الدنيا فهو عندي كذاب الى ان يثبت صدقه فاذا ثبت صدقه
فهو مجنون وقد نفر جماعة من المتصوفة خلقا عن الكسب واوحشوا





بينهم وبينه وهو دأب الانبياء والصلحين وانما طلبوا طريق الراحة وجلسوا
على الفتوح فاذا شبعوا رقصوا فاذا افظم الطعام فان لاحت لهم حيلة
على غني اوجبوا عليه دعوة اما بسبب شكر او استغفار واطعم الطعامات
ادعاؤهم ان هذا قربة وقد انعقد الاجماع ان من ادعى الرقص قربة الى الله تعالى
كفر فلو انهم قالوا مباح كان اقرب حالا وهذا لان القرب لا تعرف الا بالشرع
وليس في الشرع امر بالرقص ولا ندب اليه **فصل** عرض لي في طريق
الحج خوف من العرب فسرنا على طريق خيبر فرايت من الجبال الهائلة والطرق
العجيبة ما ادهشني وزادت عظمة الخالق عز وجل في صدري فصار يعرض
لي عند ذكر ذلك الطريق نوع تعظيم لا اجده عند ذكر غيرها فصحت را
بالنفس وبحيث اعبري الى البحر وانظري اليه والى عجايبه بعين الفكر
تشاهدي اهوالا هي اعظم من هذه ثم اخرجي عن الكون والتفتي اليه فانه
تزينه بالاضافة الى السموات والافلاك كذرة في فلاة ثم جولي في الافلاك
وطوفي حول العرش وتلمحي ما في الجنان والنيران ثم اخرجي عن الكل
والتفتي اليه فانك تشاهدينه في قبضة القادر الذي لا تفوق قدرته
عدد ثم التفتي اليك فتلمحي بدايتك ونهايتك وتفكري فيما
قبل البداية وليس الا العدم وفيما بعد النهاية ليس الا التراب فكيف
يانس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدا والمنتهى وكيف يغفل
عقل القلوب عن ذكر هذا الاله العظيم تالله لو صحت النفوس من
سكر هواها لذابت من خوفه او لغابت من حبه غير ان الحس غلب
فعظمت قدرة الخالق عند رقية جبل وان الفطنة لو لطفت المعاني
لدلت القدرة عليه اوفى من ذيل الجبل سحان من شغل اكثر الخلق بما هم فيه

عما خلق له سبحانه فصل للبلايا نهايات معلومة الوقت عند الله عز
وجل فلا بد للمبتلى من الصبر الى ان ينقضي اوان البلاء فان تقلقل قبل الوقت
لم ينفع التقلقل كما ان المادة اذا انحدرت الى عضو فانها لن ترجع فلا بد
من الصبر الى حين البطالة فاستعجال زوال البلاء مع تقدير مدته لا ينفع
فالواجب الصبر وان كان الدعاء مشروعا ولا ينفع الا به الا انه لا ينبغي
للداعي ان يستعجل بل يتعبد بالصبر والدعاء والتسليم الى الحكيم ويقطع
المواد التي كانت سببا للبلاء فان غالب البلاء ان يكون عقوبة
فاما المستعجل فمزاحم للمدبر وليس هذا مقام العبودية وانما المقام الاعلى
هو الرضى والصبر هو اللازم والتلاحي بكثرة الدعاء نعم المعتمد والاعتراض
حرام والاستعجال مزاحمة للتدبير فافهم هذه الاسرار الاشياء فانها تهون
البلاء فصل من اراد ان يعرف رتبة العلماء على الزهاد فلينظر
في مرتبة جبرائيل وميكائيل ومن خص من الملائكة بولاية تتعلق
بالخلق وباقي الملائكة قيام للتعبد في مراتب الرهبان في الصوامع
وقد خلى اولئك بالتقريب على قدر علمهم بالله تعالى فاذا امر
احدهم بالوحي انزعج اهل السماء حتى يخبرهم بالوحي بالخبر فاذا فزع
عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق كما اذا انزعج الزاهد من حديث
يسمع سأل العلماء عن صحته ومعناه فسبحان من خص الخصوص
بخصايص شرفوا بها على جنسهم ولا خصيصة اشرف من العلم بزيادة
صار آدم مسجودا له وبنقصانه صارت الملائكة ساجدة فاعرف
الخلق من الله العلماء وليس العلم مجرد صورته هو النافع بل معناه من
تعلمه للعمل به فكلما دله على فضل اجتهد في نيله وكلما زاد نهاه عن نقص

بالغ



بالغ في مساعدة فحينئذ يكشف العلم له سره ويسهل عليه طريقه
فصل من اعمل فكره الصافي كله على طلب اشرف المقامات
ونهاه عن الرضى بالنقص في كل حال وقد قال ابو الطيب المتنبي
ولم ار في عيوب الناس عيبا ... كنقص القادرين على التمام
فينبغي للعاقل ان ينتهي الى غاية ما يمكنه فيطلب التمكن والسيرة
الجميلة عند الحكماء خروج النفس الى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل
وانا اشرح من ذلك ما يدل تذكره على مغفله اما في البدن فليست الصورة
داخلة تحت كسب الآدمي بله يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها
فقبيح بالعاقل اهمال نفسه وقد نبه الشرع على الكمال بالبعض فامر بقص
الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ونهى عن اكل الثوم والبصل النيء لاجل
الرائحة وينبغي لنا ان نقيس على ذلك ونطلب غاية النظافة ونهاية
الزينة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف بجماله فكان الغاية في
النظافة والتزاهد ولست آمر بزيادة التقشف الذي يستعمله الموسوس
او المرؤون ولكن التوسط هو المحمود ثم ينبغي لمن يرفق ببدنه الذي هو
راحلته ولا ينقص من قوتها فتنقص قوتها ولست آمر بالشبع الذي
يعجب الجشاء امر بالتوسط فان قوى الآدمي كعين جارية كم فيها
من منفعة لصاحبها ولغيره ثم ينبغي له ان يجتهد في التجارة
والكسب ليفضل على غيره ولا يفضل غيره عليه وليبلغ من ذلك غاية
لا تمنعه عن العلم فليس في الدنيا انفع للعلماء من جمع المال لاستغناء عن
الناس فانه اذا ظهر الى العلم جر الكمال وان جمهور العلماء شغلهم العلم
عن الكسب فاحتاجوا الى ما لا بد منه وقل الصبر فدخلوا مدخل سائلهم

ولذ تناولوا بها الان غير صكان احسن لهم والوحد فالزهري مع عبد الملك
وابو عبيدة مع طاهر ابن الحسين وابن ابي الدنيا مؤدب المعتضد وابن
قتيبة فصدر كتابه بمدح الوزير وما زال خلق من العلماء والزهاد يعيشون
في ظل جماعة من المعروفين بالظلم وهؤلاء وان سلكوا طريقا من التاويل فانه
فقد من قلوبهم وكمال دينهم اكثر مما نالوا من الدنيا فعليك بالاجتهاد
في جمع المال للغنى عن الناس فانه يجمع لك دينك **فصل**

لعذر صديقك مرة ... واحذر صديقك الف مرة

فلربما انقلب الصديق ... فكان ادرى بالمضرة

واعلم ان من الامر الموضوع في النفوس الحسد على النعم والغبطة وحب الرفعة
فاذا ادرك من يعتقدك مثلا له وقدر تقيت عليه ولا بد ان يتاثر وربما
حسدك فان قلت كيف يبقى الانسان بلى صديق خلصانك الا الجالس
بحد وان اكثر العوام يعتقدون ان العالم لا يتبسم ولا يتناول من شهوات
الدنيا شيئا فاذا راوا بعض التبسط في المباح هبط من اعينهم فاذا كانت
هذه حالة العوام وتلك حالة الخواص فمن تكون المعاشرة لا بل والله
ما تصح المعاشرة مع النفس لانها ممثلة وليس الا المداراة الخلق والاحتراز
منهم واتخاذ المعارف من غير طمع في صديق صادق فان ندر فليكن
غير مماثل لان الحسد اليه اسبق ولكن مرتفعا عن رتبة العوام غير طامع
في نيل مقامك وان كانت معاشرة هذا لا تشفي لان المعاشرة ينبغي ان
تكون بين العلماء للمجانس ويلزمهم من الاشارات في المخالطة ما تطيب
به المجالسة ولكن لا سبيل الى الوصال ومثل هذه الحال انك ان استخدمت
الاذكياء عرفوا باطنك وان استخدمت الابله انعكست مقاصدك

فاجعل



فاجعل الاذكياء لحوايجك الخارجة والبله لحوايجك في منزلك لئلا
يعلموا اسرارك واقنع من الاصدقاء بما وصفته لك ثم لا تلقه الا متدرعا
بدرع الحذر ولا تطلعه على باطن يمكن ان يستزمه وكن كما يقال عن الذئب
ينام باحدى مقلتيه ويبقى ... باخرى الاعادي فهو يقظان هاجع

**فصل** اعظم البلايا ان يعطيك همة عالية ويمنعك من العمل
بمقتضاها فيكون من تاثير همتك الانفة من قبول ارفاق الخلق استعظاما
واستثقالا لاحتمال منهم ثم يبتليك بالفقر فتاخذ منهم ويلطف مزاجك
حلا تقبل من المكولات ما سهل احضاره فتحتاج الى فضل نفقة ثم يقلل
رزقك ويعلق همتك بالمستحسنات ويقطع بالفقر السبيل اليهن
ويريك العلوم في مقام معشوق ويضعف بدنك عن الاعادة ويخلي يديك
من المال الذي تحصل به الكتب ويقوي شهوتك توقانك الى درجات العارفين
والزهاد ويحوجك الى مخالطة ارباب الدنيا وهذا البلاء المبين واما
الخسيس الهمة الذي لا يستنكف من سؤال الخلق ولا يرى الاستبدال بزوجة
ويكتفي بيسير العلم ولا يتوق الى حال العارفين فذاك لا يوله فقد شيء
ويرى ساحد هو الغاية فهو يفرح فرح الاطفال بالخرف فما هون
الامر عليه اما البلاء على العارف ذي الهمة العالية الذي تدعوه همته الى
جمع الاضداد للتزيد من مقام الكمال وتقصر خطاه عن مداركه مقصوده
فيا له من حال نفد في طريقه زاد الصابرين ولولا حالات غفلة تعتري
هذا المبتلى يعيش بها لكان دوام ملاحظة المقامات يعمي بصره واجتهاده
في السلوك يحفي قدمه لكن ملاحظات الامداد له تارة ببلوغ بعض
مراده وتارة بالغفلة عما قصد وهذا كلام غريب لا يفهمه الا اربابه

ولا يعلم كنهه الا اصحابه **فصل** اخواني لنفسي اقول فمن لم يشرب معي
فليرد ايتها النفس لقد اعطاك مالم تأملي وبلغك مالم تطلبي وستر
عليك من قبيحك مالو فاح ضجت المشام مما هذا الضجيج من فوق
كمال الاغراض املكوه انت امره اما علمت انك في دار التكليف وهذا
الخطاب ينبغي ان يكون للجهال فاين دعواك المعرفة انك لو هبت نفحة
فلحظت البصر كيف كانت تطيب لك الدنيا واسفا عليك لقد عشيت
البصيرة التي هي اشرف وما علمت لكم اقول عسى ولعل وانت في الخطا الى قدام
قربت سفينة العمر من ساحل القبر ومالك في المركب بضاعة تربح تلاعبت
في بحر العمر ريح الضعف فغرقت تلفيق القوى وكان قد فصلت المركب
بلغت نهاية الاجل وعين هواك تتلفت الى الصبا بالله عليك لا تشمتي
بك الاعداء هذا اقل الاقسام واوفى منها ان اقول بالله عليك لا يفوتنك
قدم سابق مع قدرتك على قطع المضمار الخلوة الخلوة واستحضري
قرين العقل وجولي في حيرة الفكر واستدعي صبابة الاجل قبل ان
تميل بك الصبابة عن الصواب واعجبا كلما صعد العمر نزلت وكلما
جد الموت هزلت **فصل** قدرت بعض الايام على شهوة للنفس
وهي عندها احلى من الماء الزلال في فم الصادي وقال التاويل ما هاهنا
مانع ولا معوق الا نوع ورع وكان ظاهر الامر امتناع الجواز فتردد بين
الامرين فمنعت النفس عن ذلك فبقيت حيرتي لمنع ما هو الغاية
في غرضها من غير صادعنه بحال الا حذر المنع الشرعي فقلت لها يا نفس
والله ما من سبيل الى ما لا يؤمن مرده فتقلقلت فصحت بها كم واقفك
في مراد ذهبت لذته وبقي التاسف على فعله فقدري بلوغ الغرض من هذا

المراد

المراد ليس المدام يبقى في محال اللذة اضعاف زمانها فقالت كيف اصنع فقلت
صبرت ولا والله ما بي جلادة على الحب لكني صبرت على الرغم
وها انا انتظر من الله عز وجل حسن الجزاء على هذا الفعل وقد تركت باقي هذه
الوجهة البيضاء ارجو ان ارى حسن الجزاء على الصبر فاسطره فيه ان
شاء الله تعالى فانه قد يعجل جزاء الصبر وقد يؤخره فان عجل سطرته وان
اخر فما اشك في حسن الجزاء لمن خاف مقام ربه فانه من ترك شيئا لله
عوضه الله خيرا منه ووالله اني ما تركته الا لله تعالى ويكفيني تركه ذخيرة حتى
لو قيل لي اتذكر يوما آثرت الله على هواك قلت يوم كذا وكذا فافتخري
ايتها النفس بتوفيق من وفقك فكم فيه من سواك والحذري ان تخذلي
في مثلها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان هذا سنة ٥٦١
فلما دخلت سنة ٥٦٥ عوضت خيرا من ذلك مما لا يتقارب مما لا يمنع
منه ورع ولا غيره فقلت هذا جزاء الترك لاجل الله سبحانه وتعالى في الدنيا
ولاجر الاخرة خير والحمد لله **فصل** نازعتني نفسي الى امر مكروه في
الشرع وجعلت تنصب لي التاويلات وتدفع الكراهة وكانت تاويلاتها
فاسدة والحجة ظاهرة على الكراهة فلجأت الى الله تعالى في دفع ذلك عن
قلبي واقبلت على القراءة وكان درسي قد بلغ سورة يوسف فلما بلغت
الى قوله تعالى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انتبهت لها وكاني خوطبت
بها فافقت من تلك السكرة فقلت افهمت ما هذا بيع طلما فراعى
حق من احسن اليه وستاه ما لكا وان لم يكن عليه ملك فقال انه ربي
ثم زاد في تبيان موجب كف كفه عما يؤذيه فقال احسن مثواي فكيف بك
وانت عبد على الحقيقة لمولى ما زال يحسن اليك من ساعة وجودك وان ستره

منضة

عليك الملائكة من عدد الحصى اشاكر من كيف رباك وعلمك ورزقك ودافع
عنك وساق الخير اليك وهداك اقوم طريق ونجاك من كل كيد وضم
لحسن الصورة الظاهرة جودة الذهن الباطن وسهل لك سبل مدارك العلوم
حتى تلقى في قصير الزمان ما لم يلقه غيرك في طويله وحلى في عرصة لسانك
عرايس العلوم في حلل الفصاحة بعد ان ستر عن الخلق مقابحك فتلقوها
منك بحسن الظن وساق رزقك بلا كلفة تكلفك ولا كدة تكدك رغدا غير نزر
فوالله ما ادري اي نعمة عليك اشرح لك حسن الصورة وصحة الآلات
ام سلامة المزاج واعتدال التركيب ام لطف الطبع الحالي عن خيانته ام الهام
الرشاد منذ الصغر ام الحفظ بحسن الوقاية عن الفواحش والزلل ام تحريرك
طريق النقل واتباع الاثر من غير جمود على تقليد المعظم ولا انحراف في سلك
مبتدع وان تعدد نعمة الله لا تحصوها كم كايد نصب لك المكايد فوقاك
كم عثر حط سنك بالذم فوقاك كم اعطش من شراب الاماني خلقا
وسقاك كم امات من لم يبلغ بعض مرادك وابقاك فانت تصبحين
وتمسين سليمة البدن محروسة الدين في تزيد من العلم وبلوغ الامل فان
منعت مرادا فوفرت الصبر عنه بعد ان تبين لك وجه الحكمة في المنع
حتى يقع اليقين بان المنع اصلح ولو ذهبت اعد من هذه النعم ما سنح ذكره
امثلات الطروس ولم تنقطع الكتابة وانت تعلمين ان ما لم اذكره اكثر
وان ما اومات الى ذكره لم يخرج فكيف يحسن بك التعرض لما يكرهه انه
رب المحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون **فصل** اذا صح فصد العالم
استراح من كلف التكلف فان كثيرا من العلماء يأنفون من قول لا ادري فيحفظون
بالفتوى جاههم عند الناس ليلا يقال جهلوا الجواب وان كانوا على غير

يقين



يقين مما قالوا وهذا نهاية الخذلان وقد روي عن مالك ان رجلا
سأله فقال لا ادري فقال سافرت البلدان اليك فقال ارجع الى بلدك
وقيل سألت مالكا فقال لا ادري فانظر الى دين هذا الشخص وعقله كيف
استراح من التكلف وسلم عند الله عز وجل ثم ان كان المقصود الجاه عندهم
فقلوبهم بيد غيرهم والله لقد رايت من يكثر الصلوة والصوم والصمت ويتخشع
في نفسه ولباسه والقلوب تنبو عنه وقد رأى في النوم ليس بذاك ورايت من يلبس
فاخر الثياب وليس له كبير نقل ولا تخشع والقلوب تتهافت على محبته فتدبرت
السبب فوجدته السريرة كما روي عن انس ابن مالك رضي الله عنه انه لم يكن له كبير
عمل من صلوة وصوم وانما كانت له سريرة فمن اصلح سريرته فاح عبير فضله
وعبقت القلوب بنشر طيبه فالله الله في السرائر فانه ما ينفع مع فسادها صلاح
ظاهر **فصل** الواجب على العاقل ان يتبع الدليل ثم لا ينظر فيما يجني من
مكروه شأنه قد ثبت بالدليل القاطع حكمة الخالق عز وجل وملكه
وتدبيره فاذا رأى الانسان عالما محروما وجاهلا مرزوقا اوجب
عليه الدليل المثبت حكمة الخالق التسليم اليه ونسبة العجز عن معرفة الحكمة
الى نفسه فان اقواما لم يفعلوا ذلك جهلا منهم فتراهم بماذا حكموا بفساد
هذا التصريف التدبير الليس بمقتضى عقولهم او ما عقولهم من جملة مواهبه
فكيف يحكم على حكمته وتدبيره بحكم ببعض مخلوقاته التي هي بالاضافة
اليه انقص من كل شيء ولقد بلغني عن اللعين ابن الراوندي انه كان جالسا
على الجسر في يده رغيف يأكله فجازت خيل واموال فقال لمن هذه فقيل لفلان
الخادم فجازت خيل واموال فقال لمن هذه فقيل لفلان الخادم فلما مر
الخادم راى شخصا محتقرا فرمى الرغيف الى ناحيته وقال هذا لفلان ما هذه القسمة

هلو فكر المدبر لبانت له وجوه اقلها جهلهم بمن يدعي معرفته وقلة تعظيمه وذلك
يوجب عليه اشد مما كان فيه من تضييق العيش وكثرة ميراث ابليس حيث
اعتقد سوء التدبير في تفضيل آدم عليه السلام فالعجب من مملوك يدبر على
سيده **فصل** مما افادتني تجارب الزمان انه لا ينبغي لاحد ان يظلم
بالعداوة احدا مهما استطاع فانه ربما يحتاج اليه وان الانسان قد لا يقل
الحاجة اليه يوما ما كما قد يحتاج الى عود منبوذ لا يلتفت اليه وكم من
محتقر احتيج اليه وان لم تقع الحاجة الى ذلك الشخص في جلب نفع وقعت
الحاجة في دفع ضرر ولقد احتجت في عمري الى ملاطفة اقوام ما فطر لي قط وقوع
الحاجة الى التلطف بهم واعلم ان المظاهرة بالعداوة قد تجلب اذى من
حيث لا يعلم لان المظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضربا وقد يلوح
مضرب خفي وان اجتهد المدرع في ستر نفسه فيعتمد ذلك العدو فينبغي
لمن عاش في الدنيا ان يجتهد في ان لا يظاهر بالعداوة احدا ما سبب من
وقوع الخلق بعضهم الى بعض وافساد بعضهم الى بعض على ضرر بعض وهذا
فصل مفيد تبين فائدته للانسان مع تقلب الزمان **فصل** رايت
النفس تنظر الى الملذات ارباب الدنيا العاجلة وتنسى كم وصلت وما
يتضمنها من الافات وبيان هذا انك ان رايت صاحب امارة وسلطنة
فتاملت نعمته وجدتها مشربة بالظلم فان لم يقصده هو حصل من عماله
ثم هو خايف منزعج حذر من عبد قد يشتمه فلق ممن هو فوقه ان يعزله
ومن نظيره ان يكيده ثم اكثر زمانه يمضي في خدمة من يخافه من السلطان
وفي حساب اموالهم وتنفيذ اوامرهم التي لا تخلو من اشياء منكرة
وان عزل او فارق على جميع ما نال من لذة ثم تلك اللذة تكون مغمورة





بالحذر فيها ومنها وعليها وان رايت صاحب تجارة رايته قد تقطع
في البلاد فلم ينل ما نال الا بعد علو السن وذهاب زمان اللذة كما حكي ان رجلا
من اولاد الروساء كان له مال شبيبة فقير فلما كبر استغنى وملك اموالا
واشترى عبيدا من الترك وغيرهم وجواري من الروم فقال هذه الابيات في شرح حاله

مكثت ارجوه اذ كنت ابن عشرينا ... ملكته بعد ما جاوزت سبعينا
نطيف بي من بني الاتراك اغزلة ... مثل الغصون على كثبان يبرينا
وخرد من بنات الروم رائقة ... يحكين بالحسن حور الجنة العينا
يغمزنني باساريع منعمة ... تكاد تقعد من اطرافها لينا
يردن احياء ميت لا حراك به ... وكيف يجبن مستأصر منونا
قالوا اينك طول الليل يسهرنا ... ما الذي تشتكي قلت الثمانينا

وهذه الحالة هي الغالبة فان الانسان لا يكاد يجتمع له كلما يحب الا عند
قرب رحيله فان نذر ما يحب في بداية شبابه فالصبوة مانعة من فهم
التدبير في الالتذاذ والانسان في حالة الصبوة لا يدري اين هو الى ان يبلغ
فاذا بلغ كانت همته في المنكوح كيف اتفق فان تزوج جاء الاولاد
فمنعوه اللذة وانكسر في نفسه وافتقر الى الكسب عليهم فبينما هو قد دعك في تلك
المدبدة القريبة التلاشي وخط الشيب فانقرف من نفسه لعلمه ان
النساء ينقرفن منه كما قال ابن المعتز لقد بغضت نفسي في مشيبي
فكيف تحبني الخرد الكعاب **فاذا فهم** المتمتع بالمستحسنات وخرج عن
طلب صورة النكاح لم يجد مالا يبلغ به المراد فان كسب ضاع زين تمتع
واذا تم المطلوب فالشيب اقبح قذى واعظم منغص ثم ان صاحب المال
مخايف على ماله محاسب لمعامليه مذموم ان اسرف وان قتر ولده يرصد

موة وجارية قد لا ترضى بشخصه وهو مشغول بحفظ حواشيه فقد مضى
زمانه في محن والمدارك فيه خلس معتادة لانه فيها غنم في القيمة بخس الامين
والتاجر الامن عصم الله فاياك اياك ان تنظر الى صورة نعيمهم فانه تستطيبه
لبعده عنك ولو قد نلته برد عندك غم في ضمنه من محن الدنيا والاخرة مالا
يوصف فعليك بالقناعة مهما امكن فيها سلامة الدنيا والدين وقد
قيل لبعض الزهاد وعنده خبز يابس كيف تشتهي هذا فقال اتركه حتى اشتهيه

فصل وقع بيني وبين ارباب الولايات نوع معادات لاجل
المذهب فاني كنت في مجلس التذكير انصر ان القران كلام الله وانه قديم واقدم
ابا بكر واتفق في ارباب الولايات من يميل الى مذهب الاشعري ومنهم
من يميل الى مذهب الروافض وتمالوا علي في الباطن فقلت يوما في مناجاتي
للحق سبحانه وتعالى سيدي نواصي الكل بيدك وما فيهم من يقدر على
ضر الا ان تجريه على يده وانت قلت سبحانك وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله وطيبت قلب المبتلى بقولك قل لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا فان اجريت على ايدي بعضهم ما يوجب خذلاني كان خوفي على
ما نصرة اكثر من خوفي على نفسي لئلا يقال لو كان على حق ما خذل وان
نظرت الى تقصيري وذنوبي فاني استحق الخذلان غير اني اعيش بما
نصرته من السنة فامحني في خفارته وقد استودعني اياك خلق
من صالحي عبادك فان لم تحفظني بي فاحفظني بهم سيدي انصرني على
من عاداني فانهم لا يعرفونك كما ينبغي وهم حرصون عندك على كل حال
وانا على تقصيري اليك انسب فصل اعوذ بالله من صحبة
البطالين فقد رايت خلقا يجرون معي فيما قد عناده الناس من كثرة



الزيارة ويسمونه خدمة ويطلبون الجلوس ويجرون فيه احاديث الناس
وربما طلبه المزور وتشوف اليه واستوحش من الوحدة وخصوصا في
ايام التهاني والاعياد فلما رايت ان الزمان اشرف شيء والواجب انتهابه
بفعل الخير كرهت ذلك وبقيت معهم بين امرين ان انكرت عليهم وقعت
وحشة لموضع قطع المالوف وان تقبلته منهم ضاع الزمان فصرت ادافع
باللقاء جهدي فان غلبت قصرت في الكلام لاتعجل الفراق ثم اعدت اعمالا
لا تمنع من الحادثة لاوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغا فجعلت
من المستعد للقائهم قطع الكلفة وبري الاقلام وحزم الدفاتر فان هذه
الاشياء لابد منها ولا نحتاج الى فكر وحضور قلب نسال الله ان يوفقنا
لاغتنام اوقات العمر فصل رايت عادات الناس قد غلبت
السلامة على عملهم بالشرع فهم يستوحشون من فعل الشيء لعدم جريان العادة
لانهي الشرع فكم من رجل يوصف بالخير يبيع ويشتري فاذا حصلت له الفرصة
باعها بالصحيح من غير تقليد للامام او عمل برخصة من القوم وان
واستثقالا للاستفتاء وترى خلقا يحافظون على صلوة الرغايب
ويتوانون عن الفرايض وكثيرا من المتصوفين لا يستوحشون من ظلم
الناس ثم يتصدقون على الفقراء وربما توانوا عن اخراج الزكوة وتكاسلوا
عن استعمال التاويلات فيها ثم اذا حضر احدهم مجلس وعظ بكى كان
يصانع بتلك الحال ومنهم من يخرج بعض الزكوة مصانعة عما لا يخرجه
ومنهم من يعمل بعلم ان اصل ماله حرام ويصعب عليه مفارقته للعادة ومنهم
من يحلف بالطلاق ويحنث ويرى الفراق صعبا وربما تاول وربما
تكاسل عن التاويل اتكالا على عفو الله تعالى وعدا من النفس بالتوبة

عادة

ومنهم من يرى ان استعمال الترع ربما كان سببا في تضييق معاشه وقد الف
التفسح فلا يسهل عليه فراق ما قد الف والعادات في الجملة هي المهلكة ولقد حضر
عندي رجل شيخ ابن ثمانين سنة فاشتريت منه دكانا وعقدت معه العقد
فلما افترقنا عنه بعد ايام فطلبت منه الحضور عند الحاكم فابى فاحضرته فحلف
باليمين الغموس اني ما بعته فقلت ما تتورع عليه السنة ولحذ يبطل
لمن يحول بيني وبينه من الظلمة فرايت من العلم من قد غلبت عليه
العادات فلا يلتفت معها الى قول فقيه ويقول هذا ناقض الثمن فكيف
يصح البيع واخر يقول كيف يجوز لك ان تاخذ دكانه بغير رضاه واخر يقول
عليك ان تقيله البيع فلما لم اقله اخذ هو واقاربه ياخذون عرضي
ورأى الله يحامي عن ملكه ثم سعى الى السلطان سعاية يحرض فيها
من الكذب ما ادهشني ويطل ما لا يحق من الظلمة فبالغوا وسعوا الا
ان الله تعالى نجاني من شرهم اني اقمت على البينة عند الحاكم فقال بعض
ارباب الدنيا الحاكم لا تحكم له فوقوف عن الحكم بعد ثبوت البينة عنده
فرايت من هذا الحاكم ومن حاكم اخر اعلامه من ترك انفاذ الحق حفظا
لرياستهم ما هون عندي ما فعله ذلك الشيخ حفظا لمال الجهله
وعلم هؤلاء فتخيل لي من الامر ان العادات غلبت على الناس وان
الشرع المحض عنه وان وقعت موافقة للشرع كما اتفق او لاجل العادة
فان الانسان لو ضرب بالسياط ما افطر في رمضان عادة قد استمرت
وياخذ اعراض الناس وامولهم عادة لعمري فكم قد رايت هذا الشيخ يصلي
ويحافظ على الصلوة ثم لما حلف فوت غرضه ترك الشرع جانبا وكم قد
رايت اولئك الحكام يتعبدون ويطيلون العلم غير انهم لما خافوا على



رياستهم ان نزول تركوا جانب الدين ثم ان الله تعالى نصر في عليه وتقدم الى الحاكم
بانفاذ ما ثبت عنده ودارت السنة ثمانية الشيخ على قلة فنسال الله التوفيق
للانقياد لشرعه ومخالفة اهوائنا **فصل** ما عرف للعالم قط لذة
ولا عزا ولا شرفا ولا راحة وسلامة افضل من الغربة فانه ينال بها سلامة
بدنه ودينه عند الله عز وجل وعند الخلق لان الخلق يهون عليهم من
يخالطهم ولا يعظم عندهم قول المخالط لهم ولهذا عظم قدر الخلفاء لاحتجابهم
واذا راى العوام احد العلماء مترخصا في امر مباح هان عندهم فالواجب
عليه صيانة علمه واقامة قدر العلم عندهم فقد قال بعض السلف كنا نمزح
ونضحك فاذا صرنا يقتدى بنا خمارانا ليسعنا ذلك وقال سفيان الثوري
تعلموا هذا العلم واكظموا عليه ولا تخلوه بهزل فتهجه القلوب فمراعات الناس
لا ينبغي ان تنكر وقد قال صلى الله عليه وسلم لعايشة لولا حدثان قومك
بالكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين وقال احمد بن حنبل رحمه الله تعالى
في الركعتين قبل المغرب رايت الناس يكرهونها فتركتها ولا اتسع من جاهل
يرى هذه الاشياء رياء انما هذا صيانة للعلم فلا ينبغي للعالم ان يلبس
عند العوام حفظا لهم ومتى اراد مباحا فليستتر به عنهم فان الانسان
يخلو في بيته عريانا فاذا خرج الى الناس لبس ثوبين وعمامة ورداء
ومثل هذا لا يكون تصنعا ولا ينسب الى كبر وقد كان مالك ابن انس
يغتسل ويتطيب ويقعد للحديث وان اردت اللذة والراحة فعليك
ايها العالم بقعر بيتك وكن معتزلا عن اهلك اطيب لعيشك واجعل
للقاء الاهل وقتا فاذا عرفوه تصنعوا للقايك فكانت المعاشرة بذلك
اجود ولكن لك بيت في بيتك تخلو فيه وتحادث سطور كتبك

وتجري في حلبات فكرك واحترس من لقاء الخلق واجتهد في كسب معقلك
عن الطمع فهذه نهاية لذة العالم في الدنيا وقد قيل لابن المبارك ما لك
لا تجالسنا فقال انا اذهب فاجالس الصحابة والتابعين واشار بذلك
الى انه ينظر في كتبه ومتى شرف العلم الغني عن الناس والخلوة فان كان له
فهم يجلب الصنائع فقد تكاملت لذته وان شرف فهما يرتقي الى
معاملة الحق ومناجاته فقد تعجل دخول الجنة قبل الممات نسال الله تعالى
بمنه عالية تسمو الى الكمال وتوفيقا لصالح الاعمال فالسالكون طريق الحق
افراد فصل تاملت احوال الناس في حاله علو سنهم فرايت
اكثر الخلق بين خسارتهم حينئذ فمنهم من يبالغ في المعاصي من الشباب
ومنهم من فرط في كله اكتساب العلم ومنهم من اكثر الاستمتاع باللذات
حينئذ وكلهم نادم في حاله الكبر حين فوات الاستدراك لذنوبه سلفت
اوقوف ضعفت او فضيلة فاتت فيمضي زمان الكبر في حسرات واما
من انفق عمر الشباب في العلم فانه في زمن الشيخوخة يجد جني ما غرس
ولا يرى من لذات البدن شيئا بالاضافة الى ما يناله من لذات العلم هذا
مع وجود اللذة في الطلب الذي كان تامل به ادراك المطلوب وربما كانت
تلك الامال اطيب مما ينال منها كما قال الشاعر

اهتز عند تمني وصلها طربا ورب امنية احلى من الظفر

ولقد تاملت نفسي بالاضافة الى عشيرتي الذين انفقوا اعمارهم في اكتساب
الدنيا وانفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم فرايتني لم يفتني مما
نالوه الا ما لو حصل لي كنت عليه ثم تاملت حالي فاذا عيشي في الدنيا
اجود من عيشهم وجاهي بين الناس اعلا من جاههم ومنالته من معرفة



العلم لا يقاوم فقال لي ابليس ونسيت تعبك وسهرك فقلت ايها الجاهل
تقطع الايدي لاوفعله عند رؤية يوسف وصاحت طريق ادت الى صديق
جزى الله المسير اليه خيرا وان ترك المطايا كما تريد ولقد كنت في حلاوة
طلبي العلم القى من الشدايد ما هو عندي احلا من العسل لاجل ما اطلب
وارجو كنت في زمان الصبا آخذ مني اغفه يابسة واخرج في طلب الحديث
واقعد على نهر عيسى فلا اقدر على اكلها الا عند الماء فكلما اكلت لقمة شربت عليها
شربت عليها وعين عيني لا ترى الآلة تحصيل العلم فاثمر ذلك عندي
اني عرفت بكثرة سماعي الحديث سير الرسول صلى الله عليه وسلم واحواله
وآدابه واحوال الصحابة والتابعين فصرت في معرفة من يفهم كان اجود
فاثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرك بالعلم ولولا خطاب لا يخلو منها
البشر لقد كنت اخاف على نفسي من العجب بغير الله عز وجل صانني وعلمني
واطلعني من اسرار العلم على معرفة وايثار الخلوة به حتى انه لو حضر معي
معروف وبشر لرايتهما نصفة ثم عاد فغمسني في التقصير والتفريط حتى مرايت
اقل الناس خيرا مني وتارة يوقظني لقيام الليل ولذة مناجاته وتارة يحرمني
ذلك مع سلامة بدني ولولا بشارة العلم بان صاحبه تهذب وتاديب
لخرجت اما الى العجب عند العمل واما الى الياس عند البطالة لكن رجائي في فضله
قد عاد لخوفي منه وقد يغلب الرجاء بقوة اسبابه لاني رايته قد ربياني
منذ كنت طفلا فان ابي مات وانا لا اعقل به والام لم تلتفت الى فرغني في
طريق العلم ومازال يوفقني للمهم فالمهم ويجلني الى من يحلني على الاصوب
حتى قوم امري وكم قد قصدني عند وصده عني ووهب لي قد
رجائي في المستقبل بما قد رايت في الماضي ولقد تاب على يدي في مجالس

الذكر اكثر من مايتي الف واسلم على يدي اكثر من مايتي نفس وكم سالت عين
متجبر بوعظي لم تكن تسيل وبحق من تلهج هذا الانعام ان يرحم التمام وربما
لاحت اسباب الخوف بنظري الى تقصيري وزللي ولقد جلست يوما
فرايت حولي اكثر من عشرة الاف ما فيهم الا من قد رق قلبه او دمعت
عينه فقلت لنفسي كيف بك ان نجوا وهلكت فصحت بلسان وجدي الهي
وسيدي ان قضيت علي بالعذاب غدا فلا تعلم بعذابي جيراني لكرمك
لا لاجلي لئلا يقولوا عذب من دل عليه الهي قد قيل لنبيك صلى الله عليه وسلم
اقتل ابن ابي المنافق فقال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه الهي فاحفظ حسن عقايدهم في كرمك ان تعلم بعذاب الدليل
عليك حاشاك والله يارب من تكدير الصافي

لا تبعثروا ان ريشته ... حاشا لبابي الجود ان ينقضا
لا تعطش الزرع الذي بذله ... بصوب انعامك قد روضا

فصل من الامور التي تخفى على العاقل انه يرى الله متى لم يكن عنده
امراة وجارية يهواها هوى شديدا انه لا يلتذ في الدنيا فانا صورت محبوبا
مملوكا تخايل لذة عظيمة واذا كان عنده من لا يميل اليه اعتقد نفسه
محروما وهذا امر شديد الخفا فينبغي ان يوضح فان المملوك مملول
ومتى قدر الانسان على ما تشتهيه مله ومال الى غيره تارة لبيان عيوبه
التي تكشفها المخالطة فانه قد قالت الحكماء العشق اعمى عن عيوب
المحبوب وتارة لامكان القدرة عليه والنفس تتطلع الى ما لا تقدر عليه ثم
لو قدرنا دوام المحبة مع القدرة فانها قد تكون ولكن ناقصة بمقدار
القدرة وانما يقويها تجني المحبوب فيكون تجنيه كالامتناع او امتناع

من الموافقة

من الموافقة فاذا صفا فلا بد من اكدارها الحذر عليهم ومنها قلة ميله الى
هذا العاشق وربما تكلف القرب منه وبعلم الانسان قلة ميل محبوبه اليه
ينغص بل يبغض فان خاف منه خيانة احتاج الى حراسته فتفوت النغص
واصلح المقدمات التوسط وهو اختيار ما تميل النفس اليه ولا يرتقي الى
مقام العشق فان العاشق في عذاب وانما يتخايل الفارغ من العشق
التذاذ العاشق وليس كذلك فانه كما قيل

وما في الارض اشقى من محب ... وان وجد الهوى عذب المذاق
تراه باكيا في كل وقت ... مخافة فرقة او لاشتياق
فيبكي ان نأى شوقا اليهم ... ويبكي ان دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التدانى ... وتسخن عينه عند الفراق

فصل ما ابتلي الانسان قط باعظم من علقته فان من علقت
همته بختار اعالي المعالي فقد لا يساعد الزمان وقد تضعف الآلة فيبقى
في عذاب واني اعطيت من علو الهمة طرفا فانا به في عذاب ولا اقول البتة
لم يكن فانه انما يحلو العيش بقدر عدم العقل والعاقل لا يختار زيادة
بنقصان العقل ولقد رايت اقواما يصفون علو همم فتاملتها فاذا
بها في فن واحد ولا يبالون بالنقص فيما هو اهم قال الرضي

وكل جسم في الخمول بلية ... وبلا جسمي من تفاوت همتي

فنظرت فاذا نحو امله الامارة وكان ابو مسلم الخراساني في حال
شهبته لا يكاد ينام فقيل له في ذلك فقال فهمي صافٍ وهمي بعيد ونفسي
تتوق الى معالي الامور مع عيش كعيش الهمج الرعاع قيل فما الذي يرد
عليك قال الظفر بالملك قيل فما طلبه قال لا يطلب الا بالاهوال قيل فاركب

قول ابي مسلم الخراساني

لاهو قال العقل مانع قيل فما تصنع قال ساجعل من عقل جهلا واحاول
به خطر الاينال الا بالجهل وادبر بالعقل ما لا يحفظ الا به فان الخمول نعم العدم
ثم نظرت الى حال هذا المسكين فاذا به قد ضيع اهم المهمات وهو جانب
الآخرة وانتصب في طلب الولايات فكم قتك وقتل حتى نال بعض مراده
من لذات الدنيا ثم لم ينتفع في ذلك اكثر من غمان سنين ثم تغير ونسي
تدبير العقل ومضى الى الآخرة على اقبح حال ونظرت الى علوهمتي فرايتها
عجبا وذاك اني اروم من العلم ما ايقن اني لا اصل اليه لاني احب نيل
كل العلوم على الخلاف فهو نها ولد يد استقصاء كل فن وهذا من يعجز
العمر عن بعضه ثم اني اروم نهاية العمل بالعلم فاتوق الى صرع بشرة زهادة
معروف وهذ مع المطالعة والتصانيف وافادة الخلق ومعاشرتهم
بعيد ثم اني اروم الغنى عن الخلق واستشرف للافضال عليهم والاشتغال
بالعلم مانع من الكسب وقبول المنن مما تاباه الهمة العالية ثم اني اتوق
الى طلب الاولاد كما اتوق الى تحقيق التصانيف ليبقى الخلف ناببين
عني بعد التلف وفي طلب ذلك ما فيه من شغل القلب للحب للتفرد ثم اني
اروم الاستمتاع بالمستحسنات وفي ذلك امتناع من جهة قلة المال
ثم لو حصل فرق جمع الهم وكذلك اطلب لبدني ما يصلحه من المطاعم
والمشارب فانه متعوب للترفه واللطف وفي قلة المال مانع وكل ذلك جمع
بين اضداد فاين انا وما وصفته من حال من كانت غاية همته
الدنيا وانا الاحب ان يخدش حصول شيء من الدنيا وجه ديني
بسبب ولا ان يوثر في علمي ولا في عملي خواطر من طلب قيام الليل
وتحقيق الورع مع اعادة العلم وشغل القلب بالتصانيف





وتحصيل ما يلائم البدن من المطاعم فواسفي على ما يفوتني من المناجاة
في الخلوة مع ملاقاة الناس وتعليمهم ويا كثرة الورع مع طلب ما لا بد
منه للعائلة غير اني قد استسلمت للتعذيبي ولعل تهذيبي في تعذيبي
لان علياي همتي لطلب المعالي القربة الى الخلق عز وجل وربما كانت الحيرة
في الطلب دليلا الى المقصود وها انا احفظ انفاسي من ان يضيع منها نفس
في غير فائدة وان بلغ مرادي والا فنية المؤمن خير من عمله

فصل

لما سطرت هذا الفصل المتقدم رايت ادكار النفس بما لا بد منها منه في الطريق
وهو انه لا بد لها من التلطف فان قاطع مرحلتين في مرحلة خليق بان
يقف فينبغي ان يقطع الطريق باللطف بحسب ما امكن وان تعذرت الرواحل نهض الحادي
بغنيها واخذ الراحة المجتهد وغوص السابح في طلب الدر صعود وهبوط
ودوام السير يحير الابل والمفازة صعبة ومن اراد ان يرى التلطف بالنفس
فلينظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان يتلطف بنفسه ويمازح
ويخالط النساء ويقبل ويمص اللسان ويختار المستحسنات ويستعذب
له الماء ويختار الماء البارد والاوفق من المطاعم كلحم الظهر والذراع والحلوى
وهذا كله ارفق بالناقة في طريق السير فاما من جرد عليها السوط فانه
يوشك ان لا يقطع الطريق وقد قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين
فاوغلوا فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واعلم
انه ينبغي للعاقل ان يغالط نفسه فيما يكشف العقل عن عواره فان
فكر المتيقظ يسبق قبل مباشرة المراة الا انه اعتنى لجسد يحتوي على قذارة
وقبل بلع اللقمة انها منقلبة في الريق لعاودها الانسان لاستقذرها
ولو فكر الانسان في قرب الموت وما يجري عليه بعده لنغص عاجل لذته

فلابد من مغالطة تجري لينتفع الانسان بعيشه كما قال لبيد

فاكذب النفس اذا حدثتها ان صدق النفس يزري بالامل

وقال البستي

اذا طبعك المكدود بالهم راحة ... تجم وعلله بشيء من المزح

ولكن اذا اعطيته ذاك فليكن ... بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وقال ابو علي ابن الشبل

واذا هممت فناج نفسك بالمنى ... وعد اخبارات الجنان عدات

واجعل رجاءك دون يأسك جنة ... حتى تزول بهمك الاوقات

واستر عن الحساد بثك انما ... جلساؤك الحساد والشمات

ودع التوقع للحوادث انه ... للحي من قبل الممات ممات

فالهم ليس ينبت مثلما ... فاهله ما للسرور ثبات

لولا مغالطة النفس عقولها ... لم يصف للمستيقظين حياة

وقد كان عموم السلف يخضبون الشيب لان لا يرى الانسان منهم ما يكره وان كان الخضاب لا يعدم النفس علمها بذلك ولكنه نوع مخادعة للنفس ومازالت ترى الظاهر وانما الفكر والعقل مع الغالب ولابد من مغالطة تجري ليتم العيش صحيح ولو عمل العالم بمقتضى قصر الامل ما كتب العلم ولا صنف فافهم هذا الفصل مع الذي تقدمه فان الاول في مقام العزيمة وهذا في مكان الرخصة ولابد للتعب من راحة ٥ واعانة والله الموفق **فصل** في تعليم التدبير لقوام الادمي بشيئين الحرارة والرطوبة ومن شان الحرارة ان تحلل الرطوبة وتفنيها فالادمي محتاج الى تحصيل خلف المتحلل فابدان الشباب تغتذي باكثر

مما يتحلل



مما يتحلل منها والابدان المتنامية تغتذي بمقدار ما يتحلل منها والابدان التي قد اخذت في الهرم يتحلل منها اكثر مما تغتذي به فينبغي للشاب البالغ ان يتحفظ في النكاح لانه يوهي قاعدة قوة يجدائرها في الكبر واما المتوسط والواقف السن فينبغي ان يجذر فضول الجماع فان من حصل له شيء ما يخرج منه فانه فرق فخذ من الحاصل وبوشك ان يسرع النفاد واما الشيخ فترك النكاح كالازم له خصوصا اذا زاد على السن لانه ينفق من الجوهر الذي لا يحصل مثله ابدا ثم ينبغي ان ينظر العاقل في ماله فيكتسب اكثر مما ينفق ليكون الفاضل مدخرا لوقت العجز وليحذر السرف فان العدل هو الاصلح ثم ينظر في الزوجة والمطلوب منها شيئان وجود الولد وتدبير المنزل فاذا كانت مبذرة فعيب لا يحتمل فان انضمت صفة الفقر فلا وجه للامساك الا ان تكون مستحسنة الصورة فان ضم اليها عقل وعفاف حسن الامساك وان كانت مما يحتاج ان تحفظ فتركها لازم فاما الخدم فليجتهد في تحصيل خادم لا تستبعده الشهوة لمولى غير سيدة وليتفقد المالك في طبع المملوك منهم من لا يأبى الا على الاكرام فيكرمه فانه يربح بحبته ومنهم من لا يأبى الا على الاهانة فليديره وليعرض عن الذنوب فانه لم يمكن عاتب بلطف وليحذر العقوبة ما امكن وليجعل للمماليك زمن راحة والعجب ممن يعني ببدابته ويتسى مداراة جاريته وجود المماليك الصغار وليحفظ نفسه بالهيبة من الانخراف مع الزوجة ولا يطلعها على ماله فانها سفيهة تطلب كثرة الانفاق واما تدبير الاولاد فحفظهم من مخالطة تفسد ومتى كان الصبي صحيحا ذا نفقة ربحي خيره وليحمل على صحبة الاشراف والعلماء وليحذر من مصاحبة الجهال والسفهاء فان الطبع

لص وليحذر الصبي من الكذب ومن مخالطة الصبيان ويوخذ بزيادة
البر للوالدين وليحفظ من مخالطة النساء فاذا بلغ فليزوج بصبية لم تعرف
غيره فيتفقان واما تدبير العلم فينبغي ان يحمل الصبي من حين يبلغ
خمس سنين على التشاغل بالقرآن والفقه وليحصل له المحفوظات لان
زمان الحفظ الى خمسة عشر سنة فاذا بلغ نشئت همته فليضرب تارة وترشى
اخرى ليبلغ وقد حصل محفوظات سنية ويكمل حفظ القرآن متقنا فانه
يثبت ويختلط باللحم والدم ثم مقدمة من النحو يعرف بها اللحن ثم الفقه
وما امكن بعد هذا من العلوم **فصل** سبحان من من على الخلق بالعلماء
الفقهاء الذين فهموا مقصود الامر ومراد الشارع فهم حفظة الشريعة فاحرس الله
جزاهم وان الشيطان ليستحافاهم خوفا منهم فانهم يقدرون على اذاه وهو لا يقدر
على اذاهم ولقد تلاعب باهل الجهل والقليلي الفهم وكان من اعجب تلاعبه
ان حسن لاقوام ترك العلم ثم لم يقنعوا بهذا حتى قنحوا في المشاغلين به
هذا لو فهموه قدح في الشريعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بلغوا عني وقد قال له ربه عز وجل بلغ فاذا لم يتشاغل بالعلم فكيف
يبلغ الشريعة الى الخلق **فصل** ينبغي ان يكون شغل العاقل النظر
في العواقب والحزم ما يمكن ان يكون ومن الغلط النظر في الحالة الحاضرة
كالموافق لمعاشه ولصحة بدنه وبما يجري له مصحوبة ينبغي ان يعمل
على انقطاع ذلك فيكون مستعدا لتغير الاحوال وكذلك النظر في لذة
تفنى وتبقى تبعتها وكذلك تحصيل المرادات التي لا تحصل الا
بالتلطف في الاحتيال خصوصا اذا اريد من ذكي فانه يفطن قبل تاوج
فمن اراد غلبة الذكي دقق النظر وتلطف في الاحتيال وقد اتينا بجملة





في كتاب الاذكياء مثل ما روي ان رجلا من الاشراف كان لا يقوم لاحد فلما
يغشى لحد فجاء عليه بعض الفرك فلم يرد ولم يقم فقال ذلك الوزير لرجل
اخبر فلانا اني قد كلمت امير المؤمنين في حقه وقد امر له بجائزة الوفليحضر
ليقبضها فاخبره ذلك الرجل فقال ان كان امر لي بشيء فلينفذ الي وانما
مقصوده ان يضع مني بالتردد عليه فمتى وقع للانسان مع ذكي فينبغي
ان يحترز منه ويسرق اغراضه بصنوف الاحتيال وينظر فيما يجوز وقوعه
فليحترز منه كما ينظر صاحب الرقعة النقلات وكثير من الاذكياء لم يقدروا
على اغراضهم من ذكي فاعطوه وبالغوا في اكرامه ليصيدوه فان كان
قليل الفطنة وقع في الشرك وان كان اقوى منهم ذكاء علم ان تحت هذه
الخبية خبية فزاده ذلك احترازا خصوصا من موتور فانك اذا آذيت
شخصا فقد غرست في قلبه عداوة فلا تامن تفريع تلك الشجرة ولا سيما
تلتفت الى ما يظهر من ودّ وانحلاف فان فارته فكن منه على حذر

**فصل** في حفظ السر اياك اكثر الناس لا يتمالكون من افشاء
سرهم فاذا ظهر عاتبوا من اخبروه به فواعجبا كيف ضاق وجلسه ذرعا
ثم لاموا من افشاه وفي الحديث استعينوا على حوائجكم بالكتمان ٥
فان قال قائل انما حدث قيل له وكل حديث جاوز اثنين شاع
وربما لم يكتم صديقك وانما الرجل الذي لم يتعلله سره ولا يفشيه الى
احد ومن العجز افشاء السر الى الولد والزوجة والمال من جملة السر فاطلاعهم
عليه ان كان كثيرا فربما اهلك الموروث واذا كان قليلا تبرموا بوجوده
وربما طلبوا من الكثير على قدر كثرته فاتلفه النفقات وستر المصايب
من جملة كتمان السر لان اظهارها يسر الشامت ويولم المحب وكذلك



اي رقعة الشطرنج

كتمان السن لانه ان كان كبيرا استهزءوا وان كان صغيرا احتقروه وما
قد نهال فيه كثير من المفرطين انهم يذكرون بين اصدقائهم امورا وسلطانا
فيقولون فيه فيبلغ ذلك اليه فيكون سبب الهلاك وربما راى الرجل من
صديقه اخلاصا واخيا فاشاع سره اليه وقد قيل

∴ احذر عدوك مرة ∘ واحذر صديقك الف مرة ∴

∴ فلربما انقلب الصديق ∘ فكان ادرى بالمضرة ∴

وربما افشى سره الى زوجة او صديق فيصير بذلك رهينا عنده ولا يتجاسر
ان يطلق الزوجة ولا ان يهجر الصديق مخافة ان يظهر سره القبيح فالحازم
من عامل الناس بالظاهر فيضيق سره في صدره فان فارقته امراة
او صديق او خادم لم يقدر احدهم ان يقول فيه ما يكره ومن اعظم الاسرار
الخلوات فلينظر الحازم فيها وليحذر من الانبساط بمراى من مخلوق
ومن خلوة لعقل ثاقب ودل على الصواب قبل الوصايا

موعظة

**فصل**

ما اليه من لا يعلم متى ياتيه الموت وهو لا يستعد للقاية واشد الناس بليه
وغفلة من قد عبر الستين وقارب السبعين فان ما بينهما هو معترك
المنايا ومن نازل المعترك استعد وهو غافل عن الاستعداد
قال الشباب لعلنا في شيبنا ∘ ندع الذنوب فما يقول الاشيب
والله ان الضحك من الشيخ مما لي معنى وان المراح منه بارد المغنى وان
تعرضه بالدنيا وقد دفعته عنها بضعف القوى ضعف في الراي وهل
بقي لابن ستين منزل فان طمع في السبعين فانما يرتقي اليها بعناء
شديد ان قام دفع الارض وان مشى لهث وان قعد تنفس ويرى
شهوات الدنيا ولا يقدر على تناولها فان اكل كد المعدة وصعب

الهضم



الهضم وان وطئ اذى المراة ووقع دنفا لا يقدر على رد ما ذهب من القوة
الى سنة طويلة فهو يعيش عيش الاسير فان طمع في الثمانين فهو يزحف
الهرم حق الصغير ـــــــ وعشر الثمانين من خاصتها
فان الممات فيها فنون ∘ فالعاقل من فهم مقادير الزمان فانه قبل
البلوغ صبي ليس على عمر معيار فاذا بلغ فليعلم انه زمان مجاهدة الهوى
وتعلم العلم فان رزق الاولاد فهو زمان الكسب للعائلة فاذا بلغ
الاربعين انتهى تمامه وقضى مناسك الاجل ولم يبق الا الانحدار الى الوطن
كان الفتى يرتقي من العمر سلما ـــــ الى ان يجوز الاربعين وينحط
فينبغي له عند تمام الاربعين التزود للاخرة ويكون كل نفس له ما بين يديه
ويا خذ في الاستعداد للرحيل وان كان الخطاب بهذا لابن عشرين الا ان
رجاء التدارك في حق الصغير لا في حق الكبير فاذا بلغ الستين فقد اعذر
الله اليه في الاجل فليقبل بكليته الى جمع زاده وليهيئ آلات السفر وليعتقد
ان كل يوم يجيء فيه غنيمة ما هي في الحساب خصوصا اذا قوي عليه
الضعف وزال فانه لا محرك كهو وكلما علت سنه فينبغي ان يزيد اجتهاده
فاذا دخل في عشر الثمانين فليس الا الوداع وما بقي ممكنا العمر تجارة الا
نفس اسيء على تفريط او تعبد على ضعف نسال الله عز وجل يقظة تامة
تصرف عنا رقاد الغفلات وعملا صالحا نامن معه من الندم يوم الانتقال

**فصل**

تاملت عجبا وهو ان كل شيء نفيس خطير يطول
طريقه ويكثر التعب في تحصيله فان العلم لما كان اشرف الاشياء لم يحصل
الا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة ونحو هذا تحصيل المال
فانه يحتاج الى المخاطرات والاسفار والتعب الكثير وكذلك نيل الشرف

بالكرم والجود فانه يفتقر الى جهاد النفس في بذل المحبوب وربما آل الى الفقر وكذلك الشجاعة فانها لا تحصل الا بالمخاطرة بالنفس

لولا المشقة ساد الناس كلهم  الجود يفقر والاقدام قتال

ومن هذا القبيل تحصيل الثواب في الحج فانه يزيد على قدر قوة الاجتهاد والتعب وعلى قدر وقع المبذول من المال في النفس وعلى قدر الصبر على فقد المحبوب ومنع النفس من الجزع وكذلك الزهد يحتاج الى صبر عن الهوى والعفاف لا يكون الا بكف كف الشره ولولا ما عانا يوسف عليه السلام ما قيل لرأيها الصديق ولله اقوام ما رضوا بالفضايل الا بتحصيل جميعها فهم ٢ ببالغون في كل علم ويجتهدون في كل عمل ويثابرون على كل فضيلة فاذا ضعفت ابدانهم عن بعض ذلك قامت النيات نائبة وهم لها سابقون واكمل احوالهم اعراضهم عن اعمالهم فهم يحقرونها مع التمام ويعتذرون من التقصير ومنهم من يزيد على هذا فيشتغل بالشكر على التوفيق لذلك ومنهم من لا يرى ما عمل اصلا لانه يرى نفسه وعمله لسيده فالموفق من تلهى قصر الموسم المعمول فيه واشتداد زمان الجزاء الذي لا آخر له انتهاب حتى اللحظة وزاحم كل فضيلة فانها اذا فاتت فلا وجه لاستدراكها اوليس في الحديث يقال للرجل اقرأ وارق فترتاك عند آخر آية تقرؤها فلولا ان الفكر عمل في هذا حق الفكر العمل حفظ القرآن عجلا

**فصل** ليس المؤمن بالذي يؤدي فرايض العبادات صورة ويجتنب المحظورات فحسب انما المؤمن الكامل الايمان من لا يخلج في قلبه اعتراض ولا يسكن فيه جري وسوسة وكلما اشتد البلاء عليه زاد تسليمه ايمانه وقوى تسليمه وقد يدعو فلا يرى للاجابة اثرا وسره لا يتغير لانه يعلم انه مملوك وله مالك يتصرف بمقتضى ارادته فان احتاج ٥

في قلبه



في قلبه اعتراض خرج من مقام العبودية الى مقام المناظرة كما جرى لابليس والايمان القوي بين انه عند قوة البلاء فاما اذا رأينا مثل يحيى ابن زكريا يسلط عليه فاجر فيأمر بذبحه فيذبح وربما اختلج في الطبع ان يقول فهل لا رد عنه من جعله نبيا وكذلك كل تسلط من الكفر على الانبياء والمؤمنين وما وقع ردّ عنهم فان محسر بالفكر ان القدرة تعجز عن الرد عنهم كان كفرا وان علم ان القدرة ممكنة من الرد وما ردت ويجوع المؤمنون ويشبع الكفار ويعافى العصاة ويمرض المتقون لم يبق الا التسليم للمالك وان امض وامض وقد ذهب يوسف من يعقوب عليهما السلام فبكى ثمانين سنة ثم لم يياس فقال عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وقد دعى موسى عليه السلام على فرعون فاجيب بعد اربعين سنة وكان يذبح الابناء ولا ترده القدرة العظيمة وصلب السحرة وقطع ايديهم وكم من بلية نزلت بمعظم القدر فما ردته ذلك الا تسليما ورضى فهناك يبين معنى قوله رضوا عنه وهاهنا يظهر قدر قوة الايمان قال الحسن البصري استوى الناس في العافية فاذا نزل البلاء تباينوا

**فصل** ما زالت على عادة الخلق في الحزن على من يموت من الاهل والاولاد ولا التخايل الا بلى الابدان في القبور فاحزن لذلك فمرت بي احاديث فكانت تمر بي ولا اتفكر فيها منها قول النبي صلى الله عليه وسلم انما نفس المؤمن طاير تعلق في شجر الجنة حتى يرده الله عز وجل الى جسده يوم يبعث فرايت ان الرحيل الى الراحة وان هذا البدن ليس بشيء لانه مركب تفكك وفسد وسيبنى جديدا يوم البعث فلا ينبغي ان تتفكر في بلاه ولتسكن النفس لان الارواح انتقلت الى راحة فلا يبقى كبير حزن وان اللقاء للاحباب عن قرب وانما يبقى الاسف على تعلق الخلق بالصور فلا يرى الانسان الا جسدا مستحسنا

قد نقص فيحزن لنقصه والجسد ليس هو الآدمي انما هو مركبه فالارواح
لا ينالها البلاء والابدان ليست بشيء واعتبر هذا بما اذا قلعت ضرسك
فرميته في حفرة فهل عندك خبر مما يلقى في مدة حياتك فحكم البدن حكم
ذلك الضرس لا تدري النفس ما يلقى ولا ينبغي ان تغتم بتمزيق جسد المحبوب
وبلاه واذكر تنعم الارواح وقرب التجديد وعجلة اللقاء والفكر في تحقيق هذا يهون
الحزن ويسهل الامر **فصل** ينبغي للعاقل ان لا يتكلم في الخلوة عن احد
بشيء حتى يمثل ذلك الشيء ظاهرا معلنا به ثم ينظر فيما يجني فرب
رجل وثق بصديق فتكلم عن سلطان بامر فبلغه فاهلكه او عن صديق
فبلغه فوقعت الواقعة وكذلك ينبغي كتم المذهب فانه ما يربح مظهرها
الا بالمعاداة ولما صرح الشريف ابو جعفر في زمان المقتدي بمخالفة الاشاعرة
اخذ وحبس حتى مات وكان المقصود قطع الفتن واصلاح الرعية فانتر
امر السلطان من التعصب لمذهب **فصل** حضرنا يوما جنازة شاب
مات احسن ما كانت الدنيا له فرايت من ذم الناس للدنيا وعيب من
يسكن اليها وتقبيح الغافلين عن الاستعداد لهذا المصرع امرا كبيرا من
الحاظرين فقلت نعم ما قلتم ولكن اسمعوا مني ما لم تسمعوه اعجب الاشياء
ان العاقل اذا علم قرب هذا المصرع منه اوجب عليه عقله البذار بالعمل
والقلق من الخوف وقد اشتد ذلك باقوام فهاموا في البراري وطووا
الايام بالجماعة وداموا على سهر الليل فهلكوا سريعا ولعمري ان ما خافوه
يستحق اكثر من هذا الفعل ولكن نرى العقل الذي اوجب هذا القلق قد
امر بما يوجب السكون فقال انما خلق هذا البدن ليحمل النفس كما تحمل
الناقة الراكب ولا بد من اللطف بالناقة ليحصل المقصود من السير ولا



يحسن في العقل دوام السهر وطول القلق لانه يوثر في البدن فيفوت اكثر المقصود
كيف وقد خلق بدن الآدمي خلقا لطيفا فاذا هجر الدسم تشقق الدماغ
واذا داوم على السهر قوي اليبس فاذا لازم الحزن مرض القلب ولا بد من
التلطف بالبدن بتناول ما يصلحه وبالقلب بدفع الحزن الموذي لم والا
متى دام الموذي عجل التلف ثم يأتي الشرع بما قد قاله العقل فيقول ان
لنفسك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا فصم وافطر وقم
ونم ويقول كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ويحث على النكاح ودوام
القلق واليبس يترك الزوجة كالارملة والولد كاليتيم ولا وجه للتشاغل
بالعلم مع هذا القلق ومن اراد مصداق ما قلته فليتامل حالة الرسول
صلى الله عليه وسلم فانه كان يعدل ما عنده من الخوف فيمازح ويسابق
عائشة رضي الله عنها ويكثر من التزويج وكان يلطف ببدنه فيختار الملح
البابت ويحب الحلوى واللحم ولولا مسامحة نوع غفلة لما صنف
العلماء ولا كتب العلم ولا حفظ الحديث العلم ولا كتب الحديث لان
من يقول ربما مت اليوم كيف يكتب وكيف يسمع ويصنف فلا بد لكم
من غفلة الناس عن ذكر الموت حق ذكره فانها نعمة من الله سبحانه بها
تقوم الدنيا ويصلح الدين وانما تذم قوة الغفلة الموجبة للتفريط و
الاهمال المحاسبة للنفس فاما اذا كانت بقدر كانت كالملح في الطعام
لا بد منه فان كثر كان الطعام زعافا فالغفلة تمدح اذا كانت
بقدر ما بيناه ومتى زادت وقع الذم فافهم ما قلته ولا تقل فلان شديد
اليقظة ما ينام الليل وفلان غافل ينام اكثر الليل فان غفلة توجب
صلاح البدن والقلب لا تذم **فصل** كل المعاصي قبيحة وبعضها

اقبح من بعض فان الزنا من اقبح الذنوب فانه يفسد الفرش ويغير الانساب
وهو بالجارة اقبح وقد روى البخاري في تاريخه من حديث المقداد ابن الاسود
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لان يزني الرجل بعشر نسوة اليسر من ان
يزني بحليلة جاره ولان يسرق من عشرة ابيات ايسر عليه من ان يسرق
من بيت جاره وانما كان هذا لانه يضم الى معصية الله عز وجل انتهاك حق
الجار ومن اقبح الذنوب التي تشبه المعاندة لبس الرجل الحرير والذهب خصوصا
خاتم الذهب الذي يتحلى به الشيخ وانه من ابرد الافعال واقبح الخطايا ومن
هذا الفن الرياء والتخاشع واظهار الزهد للخلق فانه كالعبادة لهم مع اهمال
جانب الحق عز وجل وكذلك المعاملة بالربا الصريح خصوصا من الغني
الكثير المال ومن اقبح الاشياء ان يطول المرض بالشيخ الكبير ولا يتوب
من ذنب ولا يعتذر من زلة ولا يقضي دينا ولا يوصي باخراج حق عليه
ومن قبائح الذنوب ان يتوب السارق والظالم ولا يرد المظالم والمفرط
في الزكوة او في الصلوة ولا يقضي ومن اقبحها ان يحنث في يمين طلاقه
ثم يقيم مع المراة ويقس على ما ذكرته وهذه المستقبحات تشبه العناد للامر
فيستحق صاحبها اللعن ودوام العقوبة واني لارى شرب الخمر من
ذلك الجنس ليست مشتهيات لذاتها ولا لريحها ولا لطعمها فيما يذكر
انما لذتها فيما يقال بعد تجرع مرارتها فالاقدام على ما لا يدعو اليه
الطبع معاندة الى ان يصل التناول الى اللذة نسال الله عز وجل ايمانا يحجز بيننا
وبين مخالفته وتوفيقا لما يرضيه فانما نحن به وله **فصل** اعتبرت
على اثر العلماء والزهاد انهم يطلبون الكبر فهذا ينظر في موضعه وارتفاع
غيره عليه وهذا لا يعود مريضا فقيرا يرى نفسه خيرا منه حتى اني رايت



جماعة يوما انهم منهم من يقول لا ادفن الا في دكة احمد ابن حنبل ويعلم ان
في ذلك كسر عظام الموتى ثم يرى نفسه اهلا لذلك التصدر ومنهم من يقول
ادفنوني الى جانب مسجدي ظنا منه انه يصير بعد موته من رواد كمعروف
وهذه خلة مهلكة ولا يعلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم من ظن انه خير من غيره
فقد تكبر وقل من رايت الا وهو يرى نفسه والعجب كل العجب ممن يرى نفسه
اثره بما فاز بها ان كان بالعلم فقد سبقه العلماء او بالتعبد فقد سبقه العباد
او بالمال فانه المال لا يوجب بنفسه فضيلة دينية فان قال قد عرفت سالم
يعرف غيري من العلم في زمني فما علي ممن تقدم قيل له سالمك بالحافظ القران
ان ترى نفسك في الحفظ كمن يحفظ النصف ولا بالفقيه ان ترى نفسك
كالعامي انما نحذر عليك ان ترى نفسك خيرا من ذلك الشخص المومن
وان قل عمله فان المغرور بالعباني لا بصور العلم والعبادة ومن تلمح خصال
نفسه وذنوبها علم انه على يقين من الذنوب والتقصير وهو من حال
غيره على شك فالذي يحذر منه الاعجاب بالنفس ورؤية التقدم في
احوال الاخرة والمومن لا يزال يحتقر نفسه وقد قيل لعمر ابن عبد العزيز رحمه الله
تمنى ان مت ندفنك في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لان القى الله
بكل ذنب غير الشرك احب الي من ان ارى نفسي اهلا لذلك وقد
روينا ان رجلا من الرهبان راى في المنام قائلا يقول له فلان الاسكاف
خير منك فنزل من صومعته فجاء اليه فساله عن عمله فلم يذكر كبير عمل
فقيل له في المنام عد اليه وقل له مم صفرة وجهك فعاد فساله فقال
ما رايت مسلما الا وظننته خيرا مني فقيل له فبذاك ارتفع **فصل**
كمتى رايت صاحبك قد غضب واخذ يتكلم بما لا يصلح فلا ينبغي

ان تعقد على ما يقول خنصرا ولا ان تواخذه به فان حال السكران لا يدرى
ما يجرى بل اصبر لفورته ولا تعول عليها فان الشيطان قد غلبه والطبع قد
هاج والعقل قد استتر ومتى اخذت فى نفسك عليه واجبته بمقتضى فعله
كعاقل واجه مجنونا او كمفيق عاتب مغمى عليه فالذنب لك بل انظر اليه
بعين الرحمة وتلمح تصريف القدر له وتفرج فى لعب الطبع به واعلم انه اذا انتبه ندم
على ما جرى وعرف لك فضل الصبر واقل الاقسام ان تسلمه فيما يفعل فى غضبه
الى ما يستريح به وهذه الحالة ينبغى ان يتلمحها الولد عند غضب الوالد والزوجة
عند غضب الزوج فتركه يشتفى بما يقول ولا يعول على ذلك فيعود نادما
معتذرا ومتى قوبل على حالته وقالته صارت العداوة متمكنة وجاز
فى الافاقة على ما فعل فى حقه وقد السكر واكثر الناس على غير هذا الطريق
متى راط غضبانا غضبانا قابلوه بما يقول والحكمة ما ذكرت وما يعقلها
الا العالمون

**فصل** ليس فى الدنيا ابلى ممن يسيء الى شخص ويعلم
انه قد بلغ الى قلبه بالاذى ثم يصطان فى الظاهر فيعلم ان ذاك الاثر محى
بالصلح وخصوصا الملوك فان لذتهم الكبرى ان لا يرتفع عليهم لحد ولا
ينكسر لهم غرض فاذا جرى شيء من ذلك لم ينجبروا عتم رصد بالبى مسلم
الخراسانى فانه غض من قدر المنصور قبل وفاته فحصل ذلك فى نفسه فقتله
ومن نظر فى التواريخ راى جماعة قد جرى لهم مثل هذا ولا ينبغى لمن اساء
الى السلطان ان يقع فى يده فانه اذا رام التخلص يقدر ومن هذا الجنس
الاصدقاء المتماثلون فانك متى اذيت شخصا وبلغ الى قلبه اذاك فلا
تثق بمودته فان اذاك نصب عينه فان لم يحتل عليك لم يصف لك
ولا تخالط الا من انعمت عليه فحسب فهو لم يرنك شيئا فيكون فى نفسه

وكذلك

وكذلك الولد والزوجة والمعاملون ويلحق بهذا ان اقول لا ينبغى ان
تعادى احدا ولا تتكلم فى حقه فربما صار قريبا وربما احتيج
فالعاقل يصور فى نفسه كل ممكن ويسير بما فى قلبه من البغض والود وبدائر
مع الغيظ والحقد هذه مشاورة العقل ان قبلت

**فصل** كل من لا يتلمح
العواقب ويستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل واعتبر هذا فى جميع
الاحوال مثل ان يغتر بشبابه ويدوم على المعاصى ويسوف بالتوبة
فربما اخذ بغتة ولم يبلغ بعض ما امل وكذلك اذا سوف بالعمل او بحفظ
العلم فان الزمان ينقضى بالتسويف وربما عزم على فعل خير او وفق
شيء من ماله فسوف فبغت فالعاقل من اخذ بالحزم فى تصوير ما يجوز
وقوعه وعمل بمقتضى ذلك فان امتد الاجل لم يضره وان هجم وقوع
المخوف كان محترزا ومما يتعلق بالدنيا ان يميل مع السلطان ويسيء
الى بعض حواشيه ثقة بقربه منه فربما تغير ذلك السلطان فارتفع
عنه فانتقم منه وقد يعادى بعض الاصدقاء ولا يبالى به لانه دونه
فى الحال الحاضرة فربما صعدت مرتبة ذاك فاستوفى ما اسلفه اليه
من القبيح وزاد فالعاقل من نظر فيما يجوز وقوعه ولم يعاد احدا فان
كان بينهما ما يوجب المعاداة كتم ذلك فان صح له ان يثب على
عدوه فينتقم منه انتقاما يبيحه الشرع جاز على ان العفو اصلح
وقس على انموذج ما ذكرته جميع الاحوال

**فصل** الكمال عزيز
والكامل قليل الوجود فاول اسباب الكمال تناسب اعضاء البدن وحسن
صورة الباطن فصورة البدن تسمى خلقا وصورة الباطن تسمى خلقا
ودليل كمال صورة البدن حسن السمت واستعمال الادب ودليل صورة

الباطن حسن الطبايع والاخلاق فالطبايع العفة والنزاهة والانفة من
الجهل وسلعدة النزه والاخلاق الكرم والايثار وستر العيوب وابتداء المعروف
والحلم عن الجاهل فمن زخرف هذه الاشياء رقته الى الكمال وظهر عنه
اشرف الخلال وان نقصت خلة اوجبت النقص **فصل** ليس
في الدنيا ابلة ممن يريد معاملة الحق على بلوغ الاغراض فاين تكون البلوى
اذن لا والله بل لابد من انعكاس المرادات ومن توقفي اجوبة السؤالات
ومن تشفي الاعداء في وقات فاتما من يريد ان تدوم له السلامة والنصر
على من يعاديه والعافية من غير بلاء فما عرف التكليف ولا فهم التسليم
اليس الرسول صلى الله عليه وسلم ينصر يوم بدر ثم يجرح عليه ما جرى يوم احد
اليس يصد عن البيت ثم فهر بعد ذلك فلابد من جد وردي والجد
يوجب الشكر والردي يحرك الى السؤال والدعاء فان امتنع الجواب اريد
نفوذ البلاء والتسليم للقضاء وهاهنا يبين الايمان ويظهر في التسليم
جواهر الرجال فان تحقق التسليم باطنا وظاهرا فذلك شان الكامل
وان وجد في الباطن انحصار من القضاء لامن المقضي فان القلع لابد
ان ينفرمن الموذي دل على ضعف المعرفة فان خرج الامر الى الالسن اعترض
باللسان فتلك حال الجهال نعوذ بالله منها **فصل** من
الابتلاء العظيم اقامة الرجل في غير مقامه مثل ان يخرج الرجل الصالح
الى مداراة الظالم والتردد اليه والمخالطة من لا يصلح والى اعمال لا تليق به
او الى امور تقطع عليه مراده الذي يوثره مثل ان يقال للعالم تردد الى الامير
والا خفنا عليك سطوته فيتردد فيرى ما لا يصلح ولا يمكنه ان ينكر
او يحتاج الى شيء من الدنيا وقد منع حقه فيحتاج ان يتعرض بذكر ذلك





او يصرح ليتال بعض حقه ويحتاج الى مداراة من تصعب مداراته بل
يتشتت همه لتلك الضرورات وكذلك يفتقر الى الدخول في امور لا تليق به
مثل ان يحتاج الى الكسب فيتردد الى السوق او يخدم من يعطيه اجرته وهذا
لا يحتمله قلب المراقب لله سبحانه لاجل ما يخالطه من الاكدار او يكون له
عايلة وهو فقير فيفتكر في اغنيائهم فيدخل في مدخل كله مفاسده عظيم وقد
يبتلى بفقد من يحب ويبلى في بدنه ويعكس اغراضه وتسليط معاديه عليه
فيرى الفاسق يقهره والظالم يذله وكل هذه الاشياء تكدر عليه العيش وليس
الا التسليم والجمال المقدر في الفرج فيرى الرجل المؤمن الحازم يثبت لهذه العظايم
ولا يتغير قلبه ولا ينطق لسانه بالشكوى اوليس الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج
ان يقول من يؤويني من ينصرني ويفتقر الى ان يدخل مكة في جوار
كافر ويشق السلا على ظهره ويقتل اصحابه ويدمي المولفة ويشتد جوعه
وهو ساكن لا يتغير وما ذاك الا انه علم ان الدنيا دار ابتلاء لينظر كيف
تعملون ومما يهون هذه الاشياء علم العبد بالاجر وان ذلك مراقالحق
فالجرح اذا ارضاكم الم **فصل** من اراد ان يعلم حقيقة الرضا عن
الله عز وجل في فعاله وان يدري من اين نشا الرضا فليفكر في احوال
الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لما تكاملت معرفته بالخالق سبحانه راى
ان الخالق مالك والمالك التصرف في مملوكه وسره حكيما لا يصنع
شيئا عبثا فسلم فسلم مملوك لحكيم فكانت العجايب تجري عليه
ولا يوجد منه تغير ولا من الطبع تافف ولا يقول بلسان الحال لو كان
كذا بل ثبت الله قدك ثوب الجبل لعواصف الرياح هذا الرجل صلى الله عليه وسلم
بعث الى الخلق وحده والكفر قد ملا الافاق فجعل يفر من مكان الى مكان

واستة في دار الخيزران ولم يضربونه اذا خرج ويرمون عقبيه وشق السلا
على ظهره وهو ساكن ساكت ويخرج كل يوم فيقول من يوبني من نصري
من نصري ثم خرج من مكة فلم يقدر على العود الى جوار كافر ولم يوجد
من الطبع تأفف ولا من الباطن اعتراض اذ لو كان غيره لقال يا رب
انت مالك الخلق قادر على النصر فلم اذل كما قال عمر رضي الله عنه يوم
صلح الحديبية السنا على الحق فلم نعط الدنية في ديننا ولما
قال هذا قال له الرسول صلى الله عليه وسلم اني عبد الله ولن يضيعني فجمعت
الكلمتان الاصلين اللذين ذكرناهما فقوله اني عبد الله اقرار بالملك كانه
قال انا مملوكه يفعل بي ما شاء وقوله ولن يضيعني بيان حكمته وانه
لا يفعل شيئا عبثا ثم يبتلي بالجوع فيشد الحجر على خزائن السموات والارض
ويقل اصحابه ويشج وجهه ويكسر رباعيته ويقتل عمه وهو ساكت ثم
يرزق ابنا ويسلب منه فيتعلل بالحسن والحسين فيخبر بما يجري عليهما
ويسكن بالطبع الى عائشة رضي الله عنها فينغص عيشه بقذفها ويبالغ
في اظهار المعجزات فيقام في وجهه مسيلمة والعنسي وابن صايد ويقيم
ناموس الامانة والصدق فيقال كذاب ساحر ثم يقلقه المرض كما يوعك
رجلان وهو ساكن ساكت فاذا اخبر بحاله فليعلم الصبر ثم يشد عليه
الموت فيسلب روحه الشريفة وهو مضطجع في كساء ملبد والملبد والازار
غليظ وليس عندهم زيت يوقد به المصباح ليلة الموت فليتأسف هذا شيء
ما قدر على الصبر عليه كما ينبغي نبي قبله ولا ابتليت به الملائكة ما صبرت
هذا والله فعل رجل عرف الوجود والموجد فاثبت اغراضه وسكت
اعتراضاته فصار هواه فيما يجري **فصل** سبحان من شغل كل

شخص



شخص بفنٍ لئلا تنام العيون في الدنيا فاما في العلوم فحبب الى هذا القرآن والى
هذا الحديث والى هذا النحو ولولا ذلك لما حفظت العلوم والهم هذا
المتعبش ان يكون حبارا وهذا ان يكون هراسا وهذا ان ينقل الشوك
من الصحراء وهذا ان ينفي البثا ليلتام امر الخلق ولو الهم اكثر الناس ان
يكونوا حبارين شلالبات الخبز وهلك الهراسين جافت الهرابيس
بل يلهم هذا بقدر لينتظم امر الدنيا والاخرة ويندر من الخلق من
يلهمه الكمال وطلب الافضل والجمع بين العلوم والاعمال والمعاملات
القلوب ويتفاوت ارباب هذه الحال فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار
نسأله العفو ان لم يقع الرضى والسلامة ان لم تصح للمعاملة **فصل**
قد تبغت العقوبات وقد يوخرها الحلم والعاقل من اذا عمل
خطيئة بادرها بالتوبة فكم مغرور بامهال المعصاة لم يمهل واسرع
المعاصي عقوبة ما خلا عن اثنة تنسي النهى فتكون تلك الخطيئة كالمعاندة
والمبارزة فان كانت توجب اعتراضا على الخالق ومنازعة له في
عظمة قتلك التي لا تتلافى خصوصا ان وقعت من عارف بالله فانه
يندر اهماله قال عبد الحميد بن عبد العزيز كان عندنا بخراسان رجل
كتب صحفا في ثلاثة ايام فلقيه رجل فقال كم كتبت هذا فقال
واقوما بالسباية والوسطى والابهام وقال في ثلاث وهما سنامان
للثوب فجفت اصابعه الثلاث فلم ينتفع بها فيما بعد وخط
لبعض الفصحاء ان يقدر ان يقول مثل القرآن فصعد الى غرفة فانفرد
فيها وقال لمهلوبي ثلاثا فصعد اليه بعد الثلاث ويده قد
يبست على القلم وهو ميت قال عبد الحميد ورايت رجلا كان يأتي

امرئة حائضا في محاض فلم كثر الامر به تاب فانقطع عنه ويلحق هذا
بعيّر الانسان شخصا بفعل واعظمه ان يعيره بما ليس اليه فيقول يا اعمى
ويا قبيح الخلقة وقد قال ابن سيرين عيرت رجلا بالفقر فحبست على
دين وقد تتاخر العقوبة وتاتي في آخر العمر فيا طول التعنيف مع كبر السن
لذنوب كانت في الشباب فالحذر الحذر من عواقب الخطايا والبدار البدار
الى محوها بالانابة فلها تاثيرات فبحسبه ان اسرعت والا اجتمعت وجاءت

**فصل** اعلم ان الآدمي قد خلق لامر عظيم فهو طالب بمعرفة
خالقه بالدليل ولا يكفيه التقليد وذلك يفتقر الى جمع الهم فاسعد الناس
من له قوت دار بقدر الكفاية لازمن الناس وصداقاتهم وقد قنع به
فانه حينئذ يجتمع همه لمطلوباته من الدين والدنيا والعلم واما اذا لم
يكن له قوت يكفي فالهم الذي يريد لجمعه في تلك الامور يتشتت ويصير
طالبا للتحيل في القوت فيذهب العمر في تحصيل قوت البدن الذي يريد
من بقايته غير بقايته ويفوت المقصود ببقايته وربما احتاج الى الانذال
قال الشاعر حسبي من الدهر ما كفاني يصون عرضي عن الهوان
مخافة ان يقول قوم فضل فلان على فلان
فينبغي للعاقل اذا ارزق قوتا وكان له مواد ان يحفظها ليجتمع همه ولا ينبغي
ان يبدر في ذلك فانه يحتاج فيتشتت همه والنفس اذا احرزت قوتها
اطمانت فان لم يكن له مال اكتسب بقدر كفايته وقلل العلق ليجمع همه
وليقنع بالقليل فانه متى سمت همته الى فضول المال وقع المحذور من
التشتت لان التشتت في الاول العدم وهذا التشتت يكون للحرص على الفضول
فيذهب العمر على البارد ومن ينفق الايام في حفظ ماله مخافة فقر فالذي

معرفة الخالق بالدليل

يعلمه

من الادوار

مهمه الدوام

فعل



فعل الفقر فافهم هذا يا صاحب الهمة في طلب الفضايل فانك سالم تعزل
قوت الصبيان شتتوا عليك وطبعك طفل ففرغ همك من استعباده
واعرف قدر شرف المال الذي اوجب جمع همك وصانه عرضك عن الخلق
واياك ان يحملك الكرم على فرط الاخراج فتصير كالفقير المتعرض لك بالتعرض
لغيرك وفي الحديث ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى عليه اثار
الفقر فعوض به فاعطى شيئا فجاء فقيرا آخر فاثره الاول ببعض ما اعطى
فرماه النبي صلى الله عليه وسلم اليه ونهاه عن مثل ذلك والقناعة بما يكفي
وترك التشوف الى الفضول اصل الاصول ولما آنس الامام احمد ابن حنبل
رحمه الله تعالى نفسه من قبول الهدايا والصلات اجتمع همه وحسن ذكره
ولما اطمعها ابن المديني وغيره سقط ذكرهم ثم فيمن يطمع انما هو سلطان
جاير او مزكٍ مثان او صديق مدل بما يعطي والعز الذي من كالنة والخروج
عن ربقة المنن ولو بسوق التراب **فصل** قد ركز في الطباع حب
التفضل على الجنس فما احد الا وهو يحب ان يكون اعلا درجة من غيره
فاذا وقعت نكبة اوجبت نزوله عن مرتبة سواه فينبغي له ان يتجلد بستر
تلك النكبة ليلا يرى بعين نقص وليتجمل المتعفف حتى لا يرى بعين
الرحمة وليتحامل المريض ليلا يشمت به ذو العافية وقد قال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه حين قدموا مكة وقد لحقهم الحمى فخاف ان تشمت بهم الاعداء
حين ضعفهم عن السعي فقال رحم الله من اظهر من نفسه الجلد فرملوا
والرمل شدة السعي وزال ذلك السبب وبقي الحكم ليتذكر السبب فيفهم معناه
واستاذنوا على معاوية وهو في الموت فقال لاهله اجلسوني فقعد متمكنا
يظهر العافية فلما خرج العواد انشد

يتجلد

وتجلدي للشامتين ارهم ... اني لريب الدهر لا اتضعضع
وإذا المنية انشبت اظفارها ... الفيت كل تميمة لا تنفع

ويقال لصاحبه لحسين بهذا البيت

ويمازال العقلا يظهرون التجلد عند المصايب والفقر والبلاء لئلا يحملوا مع النوايب شماتة الاعداء فانها اشد من كل نايبة فكان فقيرهم يظهر الغنا ومريضهم يظهر العافية بل تم نكتة ينبغي التفطن لها ربما اظهر الانسان كثرة المال وسبوغ النعم فاصابه عدوه بالعين ولا يفي ما يبيح به بما يلاقي من انعكاس النعمة والعين لا تصيب الا ممن يستحسن الشيء ولا يكفي الاستحسان في اصابة العين حتى تكون من حاسد ولا يكفي ذلك حتى تكون من شرير الطبع فاذا اجتمعت هذه الصفات خيف من اصابة العين فليكن الانسان مظهر التجمل مقلد ما يامن اصابة العين وليعلم انه في خير وليجتنب الافراط في اظهار النعم فان العين صناك محنوة وقد قال يعقوب لبنيه عليهم السلام لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وانما خاف عليهم العين فليفهم هذا الفصل فانه ينفع من له تدبر

قف على هذه النكتة

فصل تفكرت في بقاء اليهود والنصارى بيننا واخذ الجزية منهم فرايت في ذلك حكما عجيبة منها ما قدمنا ذكره من ان الاسلام كان ضعيفا فيقوى بما يوخذ من جزيتهم ومنها ظهور عزه وذلهم الى غير ذلك مما قيل ووقع لي فيه معنى عجيب وهو ان وجودهم وتعبدهم وحفظهم لشرع نبيهم صلى الله عليه وسلم دليل على انه قد كان انبياء وشرايع وان نبينا صلى الله عليه وسلم ليس ببدع من الرسل فقد اجتمعت الجن وهم على اثبات صانع واقرار برسل فبان انا ما ابتدعنا ما لم يكن وهم يصرون على باطلهم



ويؤدون الجزية فكيف لا نصبر على حق والدولة لنا وفي بقائهم احترام لما كان صحيحا من الدين وليرجع منيب ويستعمل فكر

فصل قد سمعنا بجماعة من الصالحين عاملوا الله عز وجل على طريق السلامة والمحبة واللطف فعاملهم كذلك لانهم لا يحتمل طبعهم غير ذلك ففي الاوايل برخ العابد خرج يستسقي فقال يا هذا الذي لا نعرفه منك اسقنا السلعة فسقوا وفي الصحابة انس ابن النظر يقول والله لا تكسر سن الربيع فجرى الامر كما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره وهولاء قوم غلب عليهم ملاحظة اللطف والرفق فلطف بهم واجراهم على ما اعتقدوا وهنالك اعلام من هولاء يسالون فلا يجابون وهم بالمنع راضون ليس لاحدهم انبساط بل قد قهدهم الخوف ونكس رؤوسهم الحذر ولم يروا السنتهم اهلا للانبساط فغابة امالهم العفو فان انبسط احدهم بسوال فلم ير الاجابة عاد على نفسه بالتوبيخ فيقول مثلك لا يجاب وربما قال لعل المصلحة في منعي وهولاء الرجال حقا والا بله الذي يرى له من الحق ان يجاب فان يجب تدبر في باطنه كانه يطلب اجرة عمله وكانه قد نفع الخالق بعبادته وانما العبد حقا من يرضى ما يفعله الخالق فان سال فاجيب راى ذلك فضلا وان منع راى تصرف مالك في مملوك فلا يحل في قلبه اعتراض بحال

فصل تفكرت في قول شيبان الراعي لسفيان يا سفيان عد منع الله اياك عطاء منه لك فانه لم يمنعك بخلا انما منعك لطفا فراية كلام من قد عرف الحقايق فان الانسان قد يريد المستحسنات الفايقات فلو يقدر عجزه اصلح له لانه لو قدر عليهن تشتت قلبه اما بحفظهن او بالكسب عليهن فان قوي عشقه لهن ضاع عمره وانقلب هم الاخرة الى الاهتمام

من فان لم يردعه ذلك الهلاك العظيم الاكبر وان طلبن نفقة لم يطقها كان
سبب ذهاب مروته وهلاك عرضه وان اردن الوطئ وهو عاجز فربما
اهلكهن او فجرن وان مات معشوق هلك هو اسفا فالذي يطلب الفائق
يطلب سكينا لنحره وما يعلم وكذلك انفاد قدر القوت فانه نعمة وفي
الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
ومتى كثر تشتت الهم فالعاقل من علم ان الرب لم يخلق التنعيم فقنع
بدفع الوقت في كل حال **فصل** كنت اسمع علي ابن الحسين الواعظ
يقول على المنبر والله لقد بكيت الباحة من يدي نفسي فبقيت انا اتفكر
واقول اي شيء قد فعلت يد نفسي هذا حتى يبكي هذا الرجل منه له
الجواري التركيات وقد بلغني انه تزوج في السر بجارية من النساء ولا يطعم الا
الغاية من الدجاج والحلود وله الدخل الكثير والمال الوافر والجاه العريض
والافضال على الناس وقد حصل طرفا من العلم واستعبد كثيرا من العلماء
بمعروفه وراحته دائما فما الذي يبكيه فتفكرت مليا فعلمت ان النفس
لا تقنع على حد بل ترمي من اللذات ما لا منتهى له وكلما حصل لها غرض برد
عندها وطلبت سواه فيفني العمر ويضعف البدن ويقع النقص ويرق
الجاه ولا يحصل المراد وليس في الدنيا بله ممن يطلب النهاية في لذات
الدنيا وليس في الدنيا على الحقيقة لذة انما هي راحة من مؤلم فالسعيد
من اذا حصلت له امرأة او جارية تمال اليها ومالت اليه وعلم سترها
ودينها ان يعقد الخنصر على صحبتها واكثر اسباب دوام محبتها ان
لا يطلق بصره فمتى اطلق بصره او طمح نفسه في غيرها فان الطمع في الجديد
ينغص الخلق وينقص ملك المخالط ويستر عيوب الخارج فتميل النفس

الى المشاهد

الى المشاهد الغريب وتتكدر العيش مع الحاضر القريب ثم تصير الثانية كالاولى
وتطلب النفس ثالثة وليس لهذا اكثر بل الغض عن الشهوات وياس النفس
عن طلب المستحسنات يطيب العيش مع المعاشر ومن لم يقبل هذا النصح
تعثر في طريق الهوى وربما سعى لنفسه في الهلاك العاجل وفي العار
الحاضر فان كثيرا من المستحسنات لسن بصينات فلا يفي التمتع بهن
بالعار الحاصل ومنهن المبذرات في المال ومنهن المبغضة للزوج وهو
يحبها كعابد صنم وابله البله الشيخ الذي يطلب صبية ولعمري ان
كمال المتعة انما يكون بالصبي وقبيح بمن عبر الستين ان يتعرض بكثرة
النساء فان الفقر يعجز صاحبة دين قبل ذلك فليرع لها معاشرتها
وليتم نقصه عندها تارة بالانفاق وتارة بحسن الخلق وليزد في
تعريفها لحوال الصالحات والزاهدات وليكثر من ذكر القيمة وذم الدنيا
وليعرض بذكر محبة العرب فانهم كانوا يعشقون ولا يرون وطي المعشوق
كما قال قايلهم ان نكح الحب فسد فان وطي فليصر عن الاثم لتحفظا
لقوته وقضاء لحقها والمسكين من دخل في امر لم يتلمح عواقبه قبل
الدخول وراى حية الفخ فبادر طالبا لها فاسيا تعرقل الجناح
والدرج ومجموع ما قد بسطته حفظ البصر عن الاطلاق وياس النفس
عن التحصيل قنوعا بالحاصل خصوصا من قد علمت سنه وعلم ان الصبية
عدوله ومتمنية هلاكه وهو يريها لغيره **فصل** اعجب
الاشياء اغترار الانسان بالسلامة وقابله الاصلاح فيما بعد وليس
لهذا الامل منتهى ولا للاغترار وكلما اصبح وامسى معافى زاد الاغترار
وطال الامل واي موعظة ابلغ من ان ترى ديار الاقران واحوال الاخوان

موعظة

وقبوح المحبوبين فتعلم انك بعد ايام شلهم ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير
بك هذا والله شان الحمقى وحوشي من له عقل ان يسلك هذا المسلك بل
والله ان العاقل ليبادر السلامة قبل حرج فيد خر من زمنها للزمن ويتزود
عند القدرة على الزاد لوقت العسرة خصوصا لمن قد علم ان مراتب الاخرة
انما تعلو بمقدار علو العمل لها وان التدارك بعد الفوت لا يمكن وقد ان
العاصي عفي عنه اينال مراتب العمال ومن اجال على خاطره ذكر الجنة التي
لا موت فيها ولا مرض ولا نوم ولا غم بل لذاتها متصلة من غير انقطاع و
زيادتها على قدر سعادة زيادة الجد ها هنا نسال الله توفيقا بلهم الرشاد
ويمنع الفساد انه قريب مجيب **فصل** تفكرت في نفسي فرايتني
مفلسا من كل شيء ان اعتمدت على الزوجة لم تكن مما اريد ان حسنت
صورتها لم تكمل اخلاقها وان تمت اخلاقها كانت مريبة لغرضها الى
ولعلها تنتظر رحيلي وان اعتمدت على الولد فكذلك والخادم والمريد لي
كذلك فان لم يكن لها مني فائدة لم يريدني ولها صديق فليس واحد
في الله كعنقا مغرب ومعارف يعتقدون اهل الخير ويعتقدون فيهم
فقد عدموا وبقيت وحدي وعدت الى نفسي وهي لا تصفو لي ايضا ولا تقيم
على حال سليمة فلم يبق لي الا الخالق سبحانه فرايت اني اعتمدت على انعامه
فما آمن قطع ذلك بالبلاء وان رجوت عفوه فما آمن عقوبته فوا اسفا
لا طمانينة ولا قرار واقلقني من قلقني واحزني من حزني بالله ما العيش الا
في الجنة حيث يقع اليقين بالرضى والمعاشرة لمن لا يخون ولا يودي
فاما الدنيا فما هي دار ذاك **فصل** ينبغي لمن صحب سلطانا
او محتشما ان يكون ظاهره معه وباطنه سواه فانه قد يدس اليه من يختبره





فربما افتضح في الابتلاء وقد كان جماعة من الملوك يقصدون تقريب
المنادم ويجعلون له حجرة في دورهم فاذا اراد ان يختصوه اختبروه باطنا
وذاك لا يدري فيظهر منه ما لا يصلح فيطرد ولقد امتحن ابرويز رجلا
من خاصته فدس اليه جارية معها الطاف وامرها ان لا تقعد عنده
فحملتها ثم انفذها مرة اخرى وامرها ان تقعد بعد التسليم هنيهة ففعلت
فلاحظها الرجل ثم بعثها ثالثة وامرها ان تطيل القعود عنده وتحدثه
فاطالت الحديث معه فما بدا لها شيء من الميل اليها فقالت لخاف
ان يطلع علينا وعلى ولكن دعني ادبر في هذا فذهبت فاخبرت الملك
بذلك فوجه غيرها من خواص جواريه بمثل ذلك فلما جاءته قال
ما فعلت فلانة قالت مريضة فاريد لونه ثم فعلت الجارية الثانية مثل
ما فعلت الاولى فقالت له ان الملك يمضي الى بستانه فيقيم هناك فان
اراد ان يمضي معه فاظهر انك عليل فانه يترك بيي الانصراف
الى دور نسائك او المقام هاهنا فاختر المقام هاهنا واخبره انك لا تقدر
على الحركة فان اجابك الى ذلك جيت اليك كل ليلة ما دام الملك غائبا
فسكن الى قولها ثم مضت فاخبرت الملك بذلك فلما كان بعد ثلاث
استدعاه الملك فقال اني مريض فعاد الرسول فاخبره فتبسم وقال
هذا اول الشر فوجه اليه محفة تحمل فيها اليه فلما ضربه ابرويز قال
والمحفة الثالثة فراى العصابة على راسه قال والعصابة الشر الثالث
فقال له الملك ايما احب اليك الانصراف الى نسائك ليمرضك او
المقام هاهنا الى وقت رجوعي قال المقام هاهنا ارفق لي لقلة الحركة
فتبسم وقال حركتك هاهنا ان تركت اكثر من حركتك الى منزلك ثم امر له

بعض الزناة التي يوسم بها من زنى وامر ان يكتب ساكان محرقا حرقا فيقرا على
الناس وينفى الى اقصى المملكة قلت وقد كان جماعة من الامراء ينكرون
ويسالون العوام عن سبب تهم فيتكلم العامي بما لا يصلح فيضطرونه عليه وربما
يشوا د سيلسا ورب كلمات قالها سترسل فبلغها فضولي وقد بلغنا
ان رجلا كلم امراة فاجابته واستدعته الى دارها فلما دخلها اقامت من
قتله وليحذر من كل امر يحتمل وربت كلمة تقلها صديق الى صديق فتحدث
بها من لا يقصد اذى القايل فيبلغ فتاذى وربت مظهر المحبة مبالغ حتى
يتمكن من مراده فالحذر الحذر من الطمانينة الى احد خصوصا من عدو
اذيته او قتلت له قريبا فربما اظهر الجميل شبكة لاصطيادك كحديث الربا

**فصل** رايت النفس بعد علو السن يقوى املها ويزداد حرصها
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشيب فيه خصلتان
الحرص وطول الامل وجدت اكثر اسباب ذلك فراغ اليد من الدنيا وكثرة
العائلة وقوة الحاجة فيحتاج الانسان الى التعرض بما يشين العرض
ليحصل الغرض فقلت الهي بعد رؤية جبال عرفة اصل بعد مشارفة الحرم
تلحذني اعراب البادية واسفا يطلع فجر النحر وما وصلت الى عرفات
وياضياع سفر العمر وما حصل المقصود قد كنت ارحوك لنيل المنى
واليوم لا اطلب الا الرضى ثم قلت يا نفس ما لك ملجا الا اللجا واستغاثة
الغريق فان رحمت والا فكم من حسرة تحت التراب **فصل** شكى
الي بعض الاشياخ فقال قد علت سني وضعفت قوتي ونفسي
تطلب مني شراء الجواري الصغار وعلوم انهن يردن النكاح وليس في
وما تقنع مني النفس برؤية البيت اذ قد كبرت فقلت له عندي جوابان

احدهما



احدهما الجواب العامي وهو ان اقول ينبغي ان تشتغل بذكر الموت وما قد
توجهت اليه وتحذر من اشتراء جارية لا تقدر على ايفاء حقها فانها
تبغضك فان اجهدت نفسك استعجلت التلف وان استبقيت قوتك
وغضبت مني على انها لا تريد شيخا كبيرا كان وقد انشدنا علي ابن عبد الله
قال انشدنا ابو محمد التميمي

افق يا فؤادي من غرامك واسمع ... مقالة محزون عليك شفيق
علقت فتاة قلبها متعلق ... بغيرك فاستوثقت غير وثيق
فاصبحت موثوقا وراحت طليقة ... فكم بين موثوق وبين طليق

فاعلم انها تعد عليك الايام وتطلب منك فضل المال لتستعد لغيرك
وربما قصدت حتفك فاحذر والسلامة في الترك والاقناع بما
يدفع الزمان والجواب الثاني فاني اقول لا يخلو ان تكون
قادرا على الوطي في وقت او لا تكون فان كنت لا تقدر فالاولى مصابرة
الترك للكل وان كان يمكن فالحازم ان يداري المراة بالنفقة وطيب الخلق
فانه يخاطر وان كنت تقدر في اوقات على ذلك ورايت من نفسك
توقانا شديدا فعليك بالمراهقات فانهن ملاعين النكاح وملطفين
الوطي واغرهن بالانفاق وحسن الخلق مع الاحتياط عليهن والمنع
من مخالطة النسوة واذا اتفق وطي فاصبر عن الانزال ربما انقضى المراة
حاجتها واعمد وعظها وتذكرها بالاخرة واذكر لها حكايات
العشاق من غير نكاح وقبح صورة الفعل والفت قلبها الى ذكر
الصالحين ولا تخل نفسك من الطيب والتزين والكياسة والمداراة
والانفاق الواسع فهذا يحرك النافة للسير مع خطر السلامة

فصل البلية التي دخل الناس من عمل على الحال الحاضرة ولم يتصور تغيرها ولا وقوع ما يجوز وقوعه مثاله ان يغتر بدولة فيعمل بمقتضى ملكه واذا تغيرت هلك وربما عادى خلقا اغتر بامنهم متسلط او انه صاحب سلطان فاذا تغيرت حاله اكل كفيه ندما عند فوات التدارك وكذلك من نال مالا يبذره سكونا الى وجود المال وينسى حاله عند العدم وكذلك من تناول الشهوات ويكثر من المآكل والمشارب والنكاح ثقة بعافيته وينسى ما يعقب ذلك من الامراض والآفات ومن اطرف الاحوال ان يحب جارية فيتخذها ويهب لها او امرأة فيسكن اليها ويهب لها فتتمكن ولا تمضي الايام حتى يسلوها او يطلب غيرها ولا يجد طريقا للخلاص فان تخلص منها اخذت ما غنمت منه فلقي من الغيظ اضعاف ما يلتذ به فلا ينبغي ان يوثق بامرأة ولا بمحبة الانسان امرأة فانه قد يحب امرأة ويظن انه لا يسلوها ابدا فيتيسر سبل اليها والتسلي بحيث وربما احب غيرها فينسى الاولى فيصعب عليه الخلاص من الاولى فالعاقل لا يدخل في شيء حتى يهيئ للخروج منه فان الاشياء لا تثبت والمحبة لا تدوم والمتغيرون بكل حال وكذلك يعطي ماله ولده ثم يبقى كلا عليه فيتمنى الولد هلاكه وربما عذبه في النفقة وكذلك قد يثق بالصديق فيثبت اسراره اليه فربما اظهر ذلك فكان منها ما يوجب هلاكه وكذلك يغتر الانسان بالسلامة وينسى طروق الموت فيأتيه فجأة فيبهته وقد فات الاستدراك ولم يبق الا الندم فالعاقل من كانت عينه مراقبة للعواقب محترزة مما يجوز وقوعه عاملة على الاحتياط في كل حال حافظة للمال والسر غير واثقة بزوجة ولا ولد ولا صديق متابعة للرحيل منهيئة

فوايد

للنقلة

للنقلة هذه صفة اهل الحزم فصل من نزهه الله تعالى العلم والنظر في سير السلف راى ان هذا العالم ظلمة وجمهورهم على غير الجادة والمخالط لهم تضر ولا تنفع فاذا ابتلي بمخالطتهم فليشم ثياب الحذر ولتكن مجالسته اياهم للتذكرة والتاديب فحسب وان وقعت المخالطة للعلماء فاكثرهم على غير الجادة مقصودهم صورة العلم لا العمل به فلا ترى من تذاكره امر الاخرة انما شغلهم الغيبة وقصد الغلبة واجتلاب الدنيا ثم فيهم من يحسد للنظراء ما لا يوصف وان وقعت المخالطة للامراء فذاك تعرض لفساد الدين وان وقعت المخالطة للمتزهدين فاكثرهم على غير الجادة وعلى خلاف العلم قد جعلوا لانفسهم تلبيس ويظهرون التخشع للزهد وكله نفاق وفيهم من يلبس الصوف تحت ثيابه وربما لوح بكمه ليدرى وقد حكي عن طاهر ابن الحسين انه قال لبعض المتزهدين منذ كم قدمت العراق قال لخلتها منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صدام فقال سالتك عن مسالة فاجبت عن اثنتين وقد راحوا انفسهم من اعادة العلم واكثرهم لا يصلي نافلة بل همهم المأكول والمشروب والرقص وقد اتخذوا سفاتج الشريعة فهم يلبسون المرقع لامن فقر وهذا قبيح والكبر حاصل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمالك ابن نضلة وراه اشعث اما لك مال قال بلى من كل المال قد اتاني الله عز وجل قال فان الله عز وجل اذا انعم على عبد نعمة احب ان ترى عليه ومن اخلاقهم تنفير الناس عن العلم وبئر عموق ان لا حاجة الى الوسايط وانما هو قلب ورب آه لو كان الزمان يحتاج كل يوم الى مائة درة لا بل كان يستعمل السيف في حق هؤلاء الخوارج وهم داخل البلد لا قدرة للعلماء عليهم اذ قولهم فيهم لا يقبل

والنصح اليوم مردود فصل من البلية ان تباغض عدوا وحسودا بالمخالطة
وانما ينبغي ان عرفت حاله ان تظهر له ما يوجب السلامة بينكما وان
اعتذر قبلت وان اخذ في الخصومة صفحت واريته ان الامر قريب
ثم تبطن الحذر منه فلا تثق به في حال وتجافاه باطنا مع اظهار المخالطة
في الظاهر فاذا اردت ان تؤذيه فاول ما تؤذيه به اصلاحك نفسك و فوايد
واجتهادك فيما يرفعك ومن اعظم العقوبة العفو عن زلله وان بالغ
في السب فبالغ في الصفح تذب عنك العوام في شتمه ويحمدك العلماء على حلمك
وما تؤذيه به من كلمة الا قلتها له سمعت اضعافها ثم بالخصومة تعلم
تعلم انك عدو فيما تحد الحذر وبسط اللسان دائما وبالصفح يجهل
ما في باطنك فيمكنك حينئذ ان تشفي منه بما يؤذي دينك فيكون هو
الذي اشفى منك وما ظفر قط من ظلم به الا ثم بل الصفح المطلق من غير
اصرار جزاء عقوبة الكرام وهو الصفح الجميل وانما يقع هذا ممن يرى ان
تسليطه عليه اما عقوبة لذنب او لرفع درجة والا ابتلاء فهو لا يرى الخصوم منقسمين
وانما يرى القدر فصل نظرت الى الناس فرايتهم منقسمين بين
عالم وجاهل فاما الجهال فانقسموا فمنهم سلطان قد رتب في الجهل
ولبس الحرير وشرب الخمور وظلم الناس ولم يعمل على مثل حاله فهؤلاء
بمعزل عن الخير بالجملة ومنهم تجار همهم الاكتساب وجمع الاموال
واكثرهم لا يؤدي الزكوة ولا يتحاشى من الربا فهؤلاء في صور الناس
ومنهم ارباب معاش يطففون ويبخسون ويتعاملون بالربا وهم
في الاسواق طول النهار لا همة لهم الا ما هم فيه فاذا جاء الليل وقعوا نياما
كالسكارى فهمة احدهم ما ياكل ويلتذ به وليس عندهم من الصلوة خبر

فان صلى



فان صلى لم تدر ما قرا وجمع بينها وهؤلاء في عداد البهايم ومن الناس
رذالة في جميع احوالهم فهذا كناس وهذا زبال وهذا نخال وهذا يكنس الحش
فهؤلاء ارذل القوم ومنهم من يطلب اللذات ولا يساعده المعاش فيخرج
الى قطع الطريق وهؤلاء احمق الجماعة اذ لا عيش لهم فان التذ لحظة باكل
او شرب تحركت الريح قصبة هربوا خوفا من السلطان وما اقل ما وهم
ثم القتل والصلب مع اثم الاخرة ومنهم ارباب قرى وقد عمهم الجهل والشر هم
لا يتحاشى من نجاسة فهم في زبرة البقر وحايك النسا ينفسن ايضا
فمنهن المستحسنة التي تبغي ومنهن الحارسة لزوجها في ماله ومنهن
من لا تصلي ولا تعرف شيئا من الدين فهؤلاء حشو النار فاذا سمعن
موعظة فانها مما مر على حجر واذا قرئ عندهن القران فكانهن يسمعن السمر
واما العلماء فالمهتدون منهم ينقسمون الى ذي نية خبيثة يقصد بالعلم
المباهات لا العمل ويميل الى الفسق ظنا ان العلم يدفع عنه فما هو حجة
عليه واما المتوسطون والمشهورون فاكثرهم يغشى السلاطين ويسكت
عن انكار المنكر وقليل من العلماء من تسلم له نيته ويحسن قصده فمن اراد
الله به خيرا رزقه حسن القصد في طلب العلم فهو يحصله لينتفع به وينفع
ولا يبالي بعمل ما يدله عليه العلم فتراه يتجافى ارباب الدنيا ويحذر مخالطة
العوام ويقنع بالقليل ويوثر العزلة فليس مذكرا بالاخرة مثلها فاما الوحدة
فانها سبب رجوع القلب وجمع الهم والنظر في العواقب والتهيئ للرحيل
وتحصيل الزاد فاذا انضمت اليها القناعة جلبت المستحسنة ولا تحسن
اليوم المجالسة الا لكتاب يحدثك من اسرار السلف فاما مجالسة العلماء
اليوم فمخاطرة اذ لا يجتمعون على ذكر الاخرة في الاغلب ومجالسة العوام

فتلف للدين الان يحترز بجالسهم ويمنعهم من القول فيقول هو ويكلفهم السماع
ثم يستوفز للبعد للبعد عنهم ولا يمكن الانقطاع الكلي الا بقطع الطمع ولا
ينقطع الطمع الا بالقناعة باليسير او يتمنى بتجارة او ان يكون له عقار يشغله
فانه متى احتاج تشتت الهم وحتى انقطع العالم عن الخلق وقطع طمعه فيهم
وتوفر على ذكر الاخرة فذاك الذي ينفع ويتنفع والله الموفق **فصل**
من تامل يعين الفكر دوام البقاء في الجنة في صفاء بلا كدر ولذات بلى انقطاع
وبلوغ كل مطلوب للنفس والزيادة مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر من غير زوال ولا يقال الف سنة ولا مائة الف
الف ولو ان الانسان عد الالوف الوف سنين لا نقض عدده وكان له نهاية
وبقاء الاخرة لا نفاد له الا انه لا يحصل ذلك الا بتعديد العمر وما مقدار غاية
مائة سنة منها خمس عشرة سنة صبوة وجهل وثلاثون بعد السبعين
ان حصلت ضعف وعجز والتوسط نصف نوم وبعضه زمان اكل وشرب
وكسب والمتحصل منه للعبادات قليل فله يشتري ذلك الدائم بهذا القليل ان
الاعراض عن الشروع في هذا البيع والشراء لغبن فاحش في العقل وخلل داخل
في الايمان بالوعد فانما يدبر كيف يعقد البيع بالعلم فهو دليل على الطريق
ويعرف ما يصلح لها ويحذر من قطاعها نسال الله عز وجل علما نافعا
ودفعا للعدو مانعا انه قادر **فصل** من اراد اصطفاء محبوب
فالمحبوب نوعان امرأة يقصد منها حسن الصورة وصديق يقصد منه
حسن المعنى فاما امرأة فتامل خلالها الباطنة مديدة
قبل ان يتعلق القلب بها تعلقا محكما فان رايتها كما تحب فواصل
ذلك كله الدين كما قال عليك بذات الدين فحل اليها واستولدها وكن

في سبيل



في سبيلك معتدل الميل فان من الغلط ان تظهر لمحبوبك المحبة
فانه تشتط عليك وتلقى منه الاذى من التجني والهجران والادلال وطلب
الانفاق الكثير وان كانت تسمحك لان هذا مما يجتلب به حب الادلال المقهور
ثم نكتة عجيبة وهو ربما انك علمت بمقتضى الحال الحاضرة وهي
تحكم بكمال الحب ثم ذلك لا يثبت فتبقى مقهورا ويصعب عليك الخلاص
وربما تمكنت بمعرفة سرك او باخذ كثير من مالك ومن احسن ما بلغني
في هذا ان جارية لبعض الخلفاء كانت تحبه حبا شديدا ولا تظهر له ذلك
فسئلت عن هذا فقالت لو اظهرت ما عندي فجفاني هلكت قال الشاعر

لا تظهرن مودة لحبيب ... فترى بعينك منه كل عجيب
اظهرت يوما للحبيب محبتي ... فاخذت من هجرانه بنصيب

وكذلك ينبغي ان تكتم بعض حبك الولد لا فربما بسط عليك ويضيع مالك
ويبالغ في الادلال ويمتنع عن التعلم والتاديب وكذلك اذا اعطيت
صديقا وخبرته فلا تخبره بكل ما عندك بل تعاهده بالاحسان مما
تعاهد الشجرة فانها اذا كانت جيدة الاصل حسنت ثمرتها بالتعاهد
ثم كن منه على حذر فقد تتغير الاحوال واذا ابغضت شخصا فلا تظهرن
له ذلك فيبالغ في حربك والاحتيال عليك بل ينبغي ان تظهر له الجميل
وتبره ما استطعت فان لم تطق فهجر جميل لا بين فيما يؤدي ومتى
سمعت عنه كلمة قبيحة فاجعل جوابها كلمة جميلة فهي اقوى في كف
لسانه فالحزم كتمان الحب والبغض **فصل** يتضمن وصية
الشباب ينبغي للصبي اذا بلغ ان يحذر كثرة الجماع ليبقى جوهره فيفيده
ذلك في الكبر لانه من الجائز كبره والاستعداد للجائز حزم وكيف للغالب

فكما ينبغي ان يستعد للشتاء قبل هجومه ومني النفوس الحاصل وقت القدرة نادى
بالفقر اليه وقت الفاقة ويعلم ذو النهى والفهم ان المتعة انما تكون بالقرب
من الحبيب والقرب يحصل بالتقبيل والضم وذلك يقوي المحبة والمحبة
يلذ وجودها والوطي ينغص المحبة ويعدم تلك اللذة وقد كان العرب
تعهر يعشقون ولا يرون وطي المعشوق قال ولله
ان وطي الحب فسد فاما الالتذاذ بنفس الوطي فشان البهايم ولقد
تاملت المراد من الوطي فوجدت فيه معنى عجيبا يخفى على كثير من الناس
وهو ان الناس النفس اذا عشقت شخصا احبت القرب منه فهي تؤثر
الضم والمعانقة لانها غاية في القرب ثم تريد قربا يزيد على هذا فيقبل
الخد ثم تطلب القرب من الروح فيقبل الفم لانه منفذ الى الروح ثم يطلب
الزيادة فيمص لسان المحبوب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوشح
عائشة رضي الله عنها ويقبلها ويمص لسانها فاذا طلبت النفس
زيادة القرب الى النفس استعملت الوطي فهذا سره المعنوي ويحصل منه
الالتذاذ الحسي **فصل** اعلم ان الناس جهلا منهوم باللذات واللذات
على ضربين مباحة ومحظورة فالمباحة لا يكاد يحصل منها شيء الا بضياع
ما هو مهتم من الدين فاذا حصلت منها جرعة قارنها قنطار من الهم ثم لا تكاد
تصفو في نفسها بل يكدرها الوف فاذا صور عدد منها الالوف صار التصوير
مانعا للهوى محرما للنفس فاذا اتت البقية من الاسى على الدوام
ما الا تحويه صفة فهي تغر الغمر وتهدم العمر وتديم الاسى ومع هذا
فالمنهوم كل ما عدم لذة طلب اختها وقد عرف خيانة الاولى وجنايتها
وهذا مرض العقل وداء الطبع فلا يزال صاحب هذه الحالة الى ان يختطف

نسخه انقضت

بالموت



من ثواب لعبه

بالموت فيبقى ملقى على بساط ندم لا يستدرك فالعجب ممن همته
هكذا مع قصر الاجل العمر غير لا يهتم بكرة التي لذاتها سليمة من شائبة منزهة
عن معايب دائمة لا الى امد باقية ببقاء الابد وانما يحصل تقريب هذه
بابعاد تلك وعمران هذه بتخريب تلك فواعجبا لعاقل خصيف حسن
التدبير فاته النظر في هذه الاحوال وغفل عن تمييز مابين هاذين الامرين
وان كانت اللذة معصية انضم الى ما ذكرناه عار الدنيا والفضيحة بين الخلق
وعقوبة الحدود وعذاب الاخرة وغضب الحق سبحانه بالله ان المباحات
تشغل عن تحصيل الفضايل فدع ذلك لبيان العزم فكيف بالمحرمات التي
هي مجابة الرذايل نسال عز وجل بلطفه تحركنا الى منافعنا وتزجنا عن
خوادعنا انه قريب مجيب **فصل** اعلم ان الطريق الموصلة الى
الحق سبحانه ليست مما تقطع بالاقدام وانما يقطع بالقلوب والشهوات
العاجلة قطاع الطريق والسبيل كالليل المدلهم غير ان عين الموفق
بصر فوس لانه يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والصدق في الطلب
ابن الحوذها يدل على الجادة وانما يتعثر من لم يخلص وانما يمتنع الاخلاص
ممن لا يراد فلا حول ولا قوة الا بالله **فصل** عجبت ممن يتجب
بصورته ويختال في مشيته وينسى مبدأه انما اوله لقمة
ضمت اليها جرعة ماء فان غيبت قل كسرة خبز معها تمرات وقطعة
من لحم وعلقة من لبن وجرعة من ماء ونحو ذلك طحنته الكبد فلذت
منه قطرات مني فاستقرت في الاشيين فحركتها الشهوة فبقيت
في بطن الام مدة حتى تكاملت صورتها فخرجت طفلا تتقلب
في خرق البول وامتاخره فانه يلقى في التراب فياكله الدود ويصير فتاتا

تسفيه السوافي وكم يخرج تراب بدنه من مكان الى مكان آخر ويقلب في احوال
الى ان يعود فيجمع هذا خبر البدن انما الروح عليها العمل فان تجوهرت بالادب
وتقوت بالعلم وعرفت الصانع وقامت بحقه فمايضرها نقض المركب
وان هي بقيت على صفتها من الجهالة شابهت الطين بل صارت الى
اخس حالا منه **فصل** هيهات ان يجتمع الهم مع التلبس
بامور الدنيا خصوصا الشاب الفقير الذي قد لاق الفقر فانه اذا تزوج
وليس له شيء من الدنيا اهتم بالكسب او بالطلب من الناس فتشتت
همه وجاءه الاولاد فزاد الامر عليه ولا يزال يرخص لنفسه فيما يحصل
الى ان يتلبس بالحرام ومايذكر فهمته ما يأكل وما يأكل اهله وما يرجع
به الزوجة من النفقة والكسوة وليس له وجه ذلك فاي قلب
يحضر له واي هم يجتمع هيهات والله لا يجتمع الهم والعين تنظر الى
الناس والسمع يسمع حديثهم واللسان يخاطبهم والقلب مع
متنوع في تحصيل مالا بد منه فان قال قائل فكيف اصنع قلت
ان وجدت ما يكفيك من الدنيا او معيشة تكفيك فاقنع بها وانفرد
في خلوة عن الخلق مهما قدرت وان تزوجت فبفقيرة تقنع باليسير
وتصبر انت على صبرها وفقرها ولا تترك نفسك تطمح الى من
تحتاج الى فضل نفقة فان رزقت امرأة صالحة جمعت همك وان
لم تقدر فمعالجة الصبر اصلح لك من المخاطرة واياك والمستحسنات
فان صاحبهن اذا سلم كعابد صنم فاذا حصل بيدك شيء فانفق
بعضه فيحفظ الباقي لتحفظ شتات قلبك واحذر كل الحذر هذا
الزمان واهله فما بقي مواس ولا موثر ولا من يهتم لمستخلة ولا من



لو سئل اعطى الامان يعطي نزرا تتضجر ومنة يستعبد بها المعطى
بقية العمر ويستثقله كلما رآه ويستدعي خدمته له والتردد اليه
وانما كان في الزمان مثل ابي عمرو ابن نجيد سمع ابا عثمان المغربي
يقول يوما على المنبر على الف دينار وقد ضاق صدري فمضى
ابو عمرو اليه في الليل بالف دينار وقال اقض دينك فلما عاد وصعد
المنبر قال شكر الله لابي عمرو فانه راح قلبي وقضى ديني فقام
ابو عمرو فقال ايها الشيخ ذلك المال كان لوالدتي وقد شق عليها
ما فعلت فان رأيت ان تتقدم برده فافعل فلما كان في الليل عاد
اليه وقال لما اشتهر بيني بين الناس وانا شاهد فعلت ذلك لاجل
الخلق فخذه ولا تذكرني
ما تقول عجبت في الجواب شخوصهم فالتشرمسك والعظام رميم
فاجتهد في جمع الهم بالبعد عن الخلق ليخلو القلب بالتفكر في المآب
ويتلألأ بعين البصيرة يتم الرحيل **فصل** العجب ممن يقول
اخرج الى المقابر فاعتبر باهل البلاء ولو فطن علم انه مقيد بغنيه
الاعتبار بما فيها عن غيرها خصوصا من قد وعلى لي السن فان
شهوته ضعفت وقوته قلت والحواس كلت والنشاط فتر و
الشعر ابيض فليعتبر بما فقد وقد اغنى بما عنده عن التطلع الى
غيره **فصل** متى تكامل العقل فقدت لذة الدنيا
فتضاءل لكم الجسم وقوى السقم واشتد الحزن لان العقل كلما تألم
العواقب اعرض عن الدنيا والتفت الى ما تألم ولا لذة بشيء
عنده من العاجل وانما يلتذ اهل الغفلة عن الآخرة ولا غفلة

لكمال العقل ولهذا لا يقدر على مخالطة الخلق لانهم كما نهم من غير جنسه
كما قال الشاعر ما في الديار لخوف جد نظاره حديث نجد ولا صب بجاريه

فصل للنفس ذخاير في البدن منها الدم والمني واشباهه
يتقوى بها فاذا فقدت الذخاير ولم يبق منها شيء ذهبت ومن
ذخايرها التقوي بالمال والجاه وما يوجب الفرح فاذا فقدت
ذلك وكانت عزيزة ذات انفة خرجت وقد يهجم عليها الخوف
ولا تجد ذخيرة من الرجا تقاومه فتذهب ويغلب عليها الفرح
فلا تجد من الحزن ما يقاومه فتذهب فاجتهد في حفظ ذخايرها
وخصوصا الشيخ فانه ينبغي له ان لا يفرط باخراج الدم ولا يرى اخراج
المني وان وجد شبقا الا ان يكون الشبق زائدا فيخرج لا
الموذي في كل حين وعلامة ان يكون موذيا وجود الراحة عند خروجه
ثم ان وجد ضعفا فقد آذى خروجه ولحفظ ذوا الانفة حشمته
بان لا يقف في موقف يعاب به فانه يتمتع بذخيرة العز والانفة ويضاد
النفس وجود ضد ذلك وكذلك ينبغي ان يستعد لآخر عمره
المال لا خوفا ان يحتاج فيذل او يسعى وقد كلت الآلة ولان
يخلف لعدوه اولى من ان يحتاج الى صديقه ولا يلتفت الى من
يذم المال فانهم الحمقى الجهال الذين اكلوا على خوان الراحة فاستطابوا
الكسل والدعة ولم يانفوا من تناول الصدقة ولا من التعرض
للسؤال وقد كان كل من معاش وجميع الصحابة وخلفوا اموالا
كثيرة فافهم هذا الاصل ولا تلتفت الى كلام الجهال فصل
كثيرا ما اعيد هذا المعنى الذي انا ذاكره في هذا الكتاب بعبارات

ينبغي



ينبغي للمرء ان يتشاغل بمعاش ويرفق في نفقته فانه قد كان
للعلماء شيء من بيت المال ورفق من الاخوان ومعونة من العوام فما
تقطع الكل وبقي المتشاغل بالعلم او بالتعبد مسكينا خصوصا ذو
العائلة فهاذا ترى ما تفعل هذا الزمان القبيح فما بقي من يوثق اليه بمعونة
ولا استقراض منه فيحتاج الانسان ان يدخل في مداخل لا تليق به وان
يتعرض بما لا يصلح فينبغي تقليل العائلة وتقويت القوت وترفع
الخلق وان امكن معاش فهو اولى من التشاغل بالتعبد والتعلم لفضول
العلم والاضاع الدين في مداخل لا تصلح او التعرض لبذل ذلك فصل
ينبغي للعاقل ان يحترز غاية ما يمكنه فاذا جرى القدر مع احترازه لم يلم
والاحتراز من كل شيء يمكن وقوعه واخذ العدة لذلك وهذا يكون
في كل حال قد قص جمل ظفره فخاف عليه فجبت يده فمات ومن
شيخنا احمد الحربي وهو راكب بمكان ضيق فنظا طاعلى السرج فانغرز
نصل السرج فانغرز فؤاده فمرض فمات وكان يحيى ابن زائدة شيخنا
يحضر مجلسي فنظر اليه ثقل الاذن فاستدعى طرقيا فنقض اذنه فجرى
شيء من نخمة فمات وانظر الى احتراز رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
مر على حايط مائل فاسرع وينبغي ان يحترز بالكسب في زمن شبابه
ادخارا لزمن شيبه ولا ينبغي ان يثق بمعامل الا بوثيقة ويبادر بالوصية
مخافة ان يطرقه الموت ويحترز عن صديقه فضلا عن عدو ولا يثق
بمودة من قد اكاه مرة ما هو فان الحقد في القلوب لا يزول وليحترز
من زوجته فربما اطلعها على سره ثم طلقها فتاذى بما تفعل به وقد
كان ابن افلح الشاعر كاتب دبيس في زمن المسترشد فعلم بذلك
بقرابة واتفق ان صرف بقرابة فنم عليه ونقضت داره فهذه المذكورات

امثلة تدل على سالم يذكر واهم الكل ان يحترز باخذ العدة وتحقيق النوبة
قبل ان يهجم ما لا يؤمن هجومه ويحذر من نص الكسل فانه يحتاج الى
محتال على سرقة الزمان **فصل** تاملت خصومات العلوم
الملوك وحرص التجار ونفاق المتزهدين فوجدت جمهور ذلك على
لذات الحس واذا تفكر العاقل في ذلك ان امر الحسيات قريب يندفع
باقل شيء وان الغاية لا يمكن نيلها وان بالغ عاد بالاذى على نفسه
اضعاف ما نالهم من اللذة فمن ياكل كثيرا ويناكح كثيرا فالسعيد من
يحفظ دينه ويحذ من ذلك بمقدار الحاجة فالمشروب ان كان حراما
فعقابه اضعاف لذته وان كان مباحا فالشره فيه يوذي البدن واما
المنكوح فمداواة المحسن توذي فوق كل اذى ومقاساة المستفهم
اشد الاذى فعليك بالمتوسط وتفكر في احوال السلاطين كيف قتلوا
طلبا وكم اركبوا حراما وما نالوا الا يسيرا من لذات الحس مع
فانقشع غيم العمر على حسرات على ترك الفضايل وحصول العذاب فليس
في الدنيا اطيب عيشا من منفرد عن العالم بالعلم فهو انيسه وجليسه
قد قنع بما يسلم به دينه من المباحات الحاصلة لا عن تكلف ولا
تضييع دين والمرتدي بالقنوع عن الذل للدنيا واهلها والتحفي بالقناعة
بالميسر اذا لم يقدر على الكثير فوجدة يسلم دينه ودنياه واشتغاله
بالعلم يدله على الفضايل ويفرجه في البساتين فهو يسلم من الشدايد
والسلطان والعوام بالعزلة ولكن لا يصلح هذا الا للعالم فانه اذا اعتزل
الجاهل فاته العلم فتخبط **فصل** ما اعتمد احد امرا اذا هم بشيء
مثل التثبت فانه متى عمل بواقعة من غير تامل للعواقب كان الغالب
عليه الندم ولهذا امر بالمشاورة لان الانسان قد يرى ما ليس براي





والتثبت من جنس المشاورة لان الانسان بالتثبت يفتكر فيعرض على
نفسه بالتفكر الاحوال فكانه شاور وقد قيل خير الراي خير من فطير واحد
الناس تفريطا من عمل بادرة واقعة من غير تثبت ولا استشارة خصوصا
فيما يوجبه الغضب فانه يجلب الهلاك والندم العظيم وكم ممن
غضب فقتل وضرب ثم لما سكن غضبه بقي طول دهره في الحزن والبكا
والندم والغالب في القاتل انه يقتل فتفوت الدنيا والاخرة وكذلك من
عرضت له شهوة واستعجل لذتها ونسي عاقبتها فكم من ندم يتجرعه في
بقية عمره وعتاب يستقبله بعد موته وعقاب لا يوم قوعه كل ذلك
للحظة كانت كبرق فالله الله التثبت التثبت في كل الامور والنظر
في عواقبها خصوصا الغضب المثير للخصومة وتعجيل الطلاق **فصل**
بلغني عن بعض الكرماء ان رجلا سأله فقال انا الذي احسنت اليه
يوم كذا وكذا فقال مرحبا من يتوسل الينا بنا ثم قضى حاجته
فلمحت من ذلك اشارة لطيفة فجئت بها فقلت انا الذي
هديته من زمن الطفولية وحفظته من الضلال وعصمته عن كثير من
الذنوب والهمته طلب العلم الذي هو اشرف اوضاع الصغر ولا يجب
والده ورزقه فهما لتلقفه وتصنيفه وهيات له اسباب جمعه
وثبت بوزقه من غير تعب منه ولا ذل الخلق بالسؤال وحميت عنه
الاعداء فلم يقصده جبار فسلم وجعت له مالم تجمع لاكثر الخلق من فنون
العلوم التي لا تكاد تجتمع في شخص واضفت اليها تعلق القلب بمعرفتك
ومحبتك وحسن العبارة ولطفها في الدلالة عليك ووضعت له
في القلوب القبول حتى ان الخلق يقبلون عليه ويقبلون ما يقوله ولا يشكون

فيه ويشتاقون الى كلامه ولا يدركهم الملل منه وصنه بالعزلة عن مخالطة
من لا يصلح وانسه في خلوته بالعلم تارة وبمناجاتك اخرى وان وهبت
اعدلم اقدر على احصاء عشير العشير وان تعد وانعمة الله لا تحصوها فيلحسنا
لي قبل ان اطلب لا تخيب املي فيك وانا اطلب فبانعامك المتقدم اتوسل
اليك **فصل** سبحان من جعل الخلق بين طرفي نقيض والمتوسط
منهم بندر فمنهم من يغضب فيقتل ويضرب ومنهم من هو ابله بقوة الحلم لا يوثر
عنده السب ومنهم شرة يتناول كلما يشتهي ومنهم متزهد يتخفف فيمنع
النفس حقها وكذلك سائر الاشياء للمحمود منها التوسط فالمنفق كلما
يجد يبذر والبخيل يجمع المال ويمنع نفسه حظها ومعلوم ان المال لا يراد
لنفسه بل للمصالح فاذا بذر الانسان فيه احتاج الى بذل وجهه ودينه ومنه
البخيل عليه وهذا لا يصلح ومن الناس من يبخل ثم يتفاوتون في البخل حتى ينتهي
بالبخيل الامر الى عشق عين المال فربما مات احدهم هزلا ولا ينفقه فيلخذه
الغير ويندم الخلق ولقد بلغني في هذا ما ليس فوقه مزيد ذكره لتعتبر به حدثني
شيخنا ابو الفضل ابن ناصر عن شيخه عبد المحسن الصوري قال كان بصور
تاجر في غرفة له ياخذ كل ليلة من البقال رغيفين وجوزة فيدخل الى
غرفته وقت المغرب فيضرم النار في الجوزة فتضيء بمقدار ما ينزع ثوبه
وفي رمضان احراق القشر قد اشتوت فيمسح بها الرغيفين ويلكلهما فبقي على
هذا مدة ثم مات فلخذه ملك صور كلا ثين الفا وليت انا رجلا من
كبار العلماء قد مرض فاستلقى عند بعض اصدقائه ليس له من يخدمه ولا
يمرضه وهو مضرور فلما مات وجد بين كتبه خمس مائة دينار وحدثني
ابو الحسن الرازي قال مرض رجل عندنا بعث الي فحضرت فقال قد حتم

القاضي



القاضي على مالي قلت ان شئت قمت وفتحت الختم واعطيتك الثلث تفرقه وتعمل
به ما تشاء فقال لا والله ما اريد ان افرقه بل اريد مالي يكون عندي فقلت
ما يعطونك بلى انا لعندك الثلث فقال لا اريد فمات واخذ ماله قال وجاء
رجل فحدثني بعجيبة قال مرضت عمتي فقلت اريد ان تشتري لي حبيصا فما
شاءت لها وكانت ملقاة في صفة وانا في صفة اخرى فجاءني ولدي الصغير
فقال يا سيدي انها قبلع الذهب فقمت فاذا بها تحل الدينار في شيء
من الحبيص فتبلعه فامسك يدها وحبرتها عن هذا فقالت انا الخاف ان
تتزوج على بنتي فقلت ما افعل فقالت احلفي فحلفت فاعطتني باقي الذهب
ثم ماتت ودفنتها فلما كان بعد شهرات لبعض الطفل فحملناه اليها وقلت
ولحدت بعض خرقة حمام وقلت للحفار اجمع لي عظام تلك العجوز فجمعها في
الخرقة فجئت بها الى البيت وتركتها في الجانة وصببت عليها الماء وحركتها
فاخرجت ثمانين دينارا ونحوها كانت قد بلعتها وعلى لي صديق لنا
ان رجلا مات ودفن في الدار ثم نبش بعد مدة ليخرج فوجدوا تحت راسه
لبنة مقيرة فسئل اهله عنها فقالوا ما في غير هو قد رهنه اللبنة واوصى ان تترك
تحت راسه في قبره وقال ان اللبن يبلى بسرعة وهذه الموضع القار لا تبلى فا
خذوها فوجدوها مدورة فكسروها فوجدوا فيها تسع مائة دينار
فتولاها اصحاب التركات وبلغني ان رجلا كان يكنس المسجد ويجمع
ترابها ثم طرحه لبنا فقيل له هذا لاي شيء فقال هذا تراب مبارك واريد
ان يجعلوه على لحدي فلما مات جعل على لحده ففضل منه لبنات فرموها
في البيت فجاء المطر فتفسخت اللبنات فاذا فيها دنانير ولقد مات
بعض اصدقائنا وكنت اعلم له مالا كثيرا وطال مرضه فما اطلع اهله

على شيء ولا اكاد اشك انه من شحه وحرصه على الحيوة ورجائه ان يبقى لم
يعلمهم بمدفونه خوفا ان يوخذ فيحيى هو وقد اخذ المال وما يكون بعد هذا
الخبر شيء وحدثني بعض اصحابنا عن حالة شاهدها في هذا الفن قال كان
فلان له ولدان ذكران وبنت وله الف دينار مدفونة فمرض مرضا شديدا
فاحتوشه اهله فقال لاحد ابنيه لا تبرح من عندي فلما خلا قال له ان اخاك
مشغول باللعب بالطيور وان اختك لها زوج تركي ومتى وصل من مالي
اليهما شيء انفقوه في اللعب وانت على سيرتي وخلاقي ولي في الموضع الفلاني
الف دينار فاذا انا مت فخذها وحدك فاشتد بالرجل المرض فمضى الولد
فاخذ المال فعوفي الاب فجعل يسال الولدان يرد المال اليه فلا يفعل فمرض
الولد واشفى فجعل الاب يتضرع اليه ويقول ويحك خصصتك بالمال
ويحك لا تفعل فما زال به حتى اخبره بمكانه فاخذه ثم عوفي الولد ومضت
مدة مرض الاب فاجتهد الولدان يخبره بمكان المال وبالغ فلم يخبره ومات
وضاع المال فسبحان من اعدم هؤلاء المال العقول انهم الا كما لا نعام بل
هم اضل سبيلا **فصل** كان لنا اصدقاء واخوان اعتدهم فرايت
منهم من الجفا وترك شروط الصداقة والاخوة عجايب فاخذت اعتبهم
انتبهت لنفسي فقلت وما ينفع العتاب فانهم ان صلحوا فللعتاب
لا للصفا فقطعت بمقاطعتهم ثم تفكرت فرايت الناس بين معارف
واصدقاء في الظاهر واخوة مباطنين فقلت لا تصلح مقاطعتهم انما
ينبغي ان تنقلهم الى ديوان الصداقة الظاهرة فان لم يصلحوا لها نقلتهم
الى جملة المعارف وعاملتهم معاملة المعارف ومن الغلط ان تعاتبهم
فقد قال يحيى ابن معاذ بئس الاخ اخ تحتاج ان تقول له اذكرني في دعائك

وجمهور

وجمهور الناس اليوم معارف ويندر فيهم صديق في الظاهر فاما الاخوة
والمصافاة فذاك شيء نسخ فلا يطمع فيه وصار الانسان يعقوله
اخوه من النسب ولا ولده ولا زوجته فدع الطمع في الصفا وحد عن الكل
جانبا وعاملهم معاملة الغرباء وايالك ان تنخدع بمن اظهر لك الود فانه
مع الزمان يبين لك الحال فيما اظهره وربما اظهر ذلك لسبب ينال منك
وقد قال الفضيل ابن عياض اذا اردت ان تصادق صديقا فاغضبه
فان رايته كما ينبغي فصادقه وهذا اليوم مخاطرة لانك اذا اغضبت
احدا صار عدوا في الحال والسبب في نسخ حكم الصفا ان السلف كان
همتهم الاخرة وحدها فصفت نياتهم في الاخوة والمخالطة فكانت
دينا لا دنيا والان فقد استولى حب الدنيا على القلوب فان رايتم
مسلما في باب الدين فاخبروا بقلة **فصل** رايت المعافى لا يعرف
قدر العافية الا في المرض ولا يعرف شكر الاطلاق الا في الحبس وتاملت
على الآدمي حالة عجيبة وهي ان يكون معه امراة لا باس بها الا ان قلبه
لا يتعلق بحبها تعلقا يلتذ به ولذلك سببان احدهما ان تكون غير
غاية في الحسن والثاني ان كل مملوك مملول والنفس تطلب ما لا تقدر
عليه فتراه يضج ويشتهي شيئا يحبه وامراة يعشقها ولا يدري انه
انما يطلب قيدا وشقا يمنع القلب من التصرف فيما من الاخرة او في
علم او عمل ويخبط في تصرف الدنيا فيبقى ذلك العاشق اسير
الحي المعشوف هم كلم معه فالعجب المطلق يوثر القيد والمستريح
يوثر التعب فان كانت المراة تحتاج الى ان تحفظ فالويل له لا قرار له
ولا سكون وان كانت من المتبرجات اللاتي لا يوثق فساد هن

فذلك هلاكه بمرة فلا هو انام يلتذ بنومه ولا ان خرج من الدار يامن محنة
وان كانت تريد نفقة واسعة وليس له فكم يدخل منحل سؤلا لاجلها وان
كانت توفر الجمع وقد علمت سنة فذلك الهلاك العظيم وان كانت تحفظ
ما ابقت من اسباب تلفه بقية فيكون هذا ساعيا في تلف نفسه كما قيل

نحب المقدود ونهوى النهود ونعلم انا نحب المنونا

وهذا على الحقيقة كعابد صنم فليتق الله من عنده امراة لا باس بها وليعرض
عن حديث النفس ومناها فانه منتهى ولو حصل له غرضه كما يريد وقع
الملل وطلب ثالثة ثم يقع الملل ويطلب رابعة وما لهذا اخر انما
يفسده بالعاجل تعلق قلبه وآسر لبه فبقي كالمبهوت فكره كله في
تحصيل ما يريد محبوبه فان جرت فرقة او افرة فتلك الحسرات الدائمة
ان بقي او التلوع عجلا وابن المستحسن المصون الدين القنوع الحب لمن
يحبه هذا اقل من الكبريت الاحمر فلينظر في تحصيل ما يجمع عظم الهم ولا
يلتفت الى سواد الهوى وغاية المنى وقد سلم **فصل** اذا تم علم
الانسان لم ير لنفسه عملا وانما يرى انعام الموفق لذلك العمل والذي يمنع
العاقل ان يرى لنفسه عملا اوجب به الشيء منها انه وفق لذلك
العمل وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ومنها انه اذا قيس بالنعم
لم يبق بمعشار عشرها ومنها انه اذا لوحظت عظمة المخدوم استقر كل
عمل وتعبد هذا افاسلم من شائبة وخلص من غفلة فاما والغفلة
تحيط به فينبغي ان يغلب الحذر من رده ويخاف العتاب على التقصير
فيه فيشتغل عن النظر اليه ويتامل على الفطنا احوالهم في ذلك فللملائكة
الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون قالوا ما عبدناك حق عبادتك

والخليل



والخليل عليه السلام يقول والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وما ادل
بصبره على النار وتسليمه الولد للذبح الى الذبح ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما منكم من ينجيه عمله قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني منه برحمة
وابو بكر رضي الله عنه يقول لو ان لي طلاع الارض وهل انا ومالي الا لك يا
رسول الله وعمر رضي الله عنه يقول لو ان لي طلاع الارض لافتديت به من هول
ما امامي قبل اعلم مالخبر وابن مسعود رضي الله عنه يقول ليتني اذا مت لا ابعث
وعائشة رضي الله عنها تقول ليتني كنت نسيا منسيا وهذا شان
جميع العقلاء وقد ورد عن قوم من صلحاء بني اسرائيل ما يدل على قلة
الافهام لما شرحته لانهم نظروا الى اعمالهم فادلوا بها فمنه حديث العابد
الذي تعبد خمس مائة سنة في جزيرة ويخرج له كل ليلة رمانة وسال الله
تعالى ان يميته في سجوده فاذا حشر قيل له ادخل الجنة برحمتي قال بل
بعملي فيوزن جميع عمله بنعمة واحدة فلا يفي فيقول يا رب برحمتك
وكذلك اهل الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة فان احدهم توسل
بعمل كان ينبغي ان يستحيي من ذكره وهو انه عزم على الزنا ثم خاف
العقوبة فتركه فليت شعري بماذا يدل من خاف ان يعاقب على شيء
فتركه لخوف العقوبة انما لو كان مبلغا فتركه كان فيه ما فيه ولو فهم
لشغله جمل الهمة عن الادلال كما قال يوسف عليه السلام وما ابرئ
نفسي والاخرتك صبيانه يتضاغون الى الفجر يسقي ابويه اللبن وفي
ضمن هذا البر اذى للاطفال ولكن الفهم غريب وكانهم لما احسنوا قال
لسان الحال اعطوهم ما طلبوا فانهم يطلبون اجرة ما عملوا ولولا غرة
الفهم ما تكبر متكبر على جنسه ولكان كل عامل خائفا محتقر العمله

طلاع الشيء
كملتاب ملوه
قاموس

حذرًا من التقصير في شكر ما انعم عليه وفهم هذا المشروح يعكس راس الكبر
ويوجب مساكنة الذل فتامله فانه اصل عظيم **فصل** ينبغي
للعاقل ان يكون على خوف من ذنوبه وان تاب منها وبكى عليها واني
رايت اكثر الناس قد سكنوا الى قبول التوبة وكانهم قد قطعوا على ذلك
وهذا امر غايب ثم لو غفرت بقي الخجل من فعلها ويويد هذا الخوف
بعد التوبة انه في الصحاح ان الناس ياتون آدم عليه السلام فيقولون
اشفع لنا فيقول ذنبي والى نوح عليه السلام فيقول ذنبي والى ابراهيم عليه
السلام والى موسى والى عيسى صلوات الله عليهم وسلامه فهؤلاء اذا اعتبرت
ذنوبهم لم يكن اكثرها ذنوبًا حقيقة ثم ان كانت فقد تابوا منها واعتذروا
فهم بعد على خوف منها ثم ان الخجل بعد قبول التوبة لا ينفع وما احسن
ما قال الفضيل واسوء تامنك وان عفوت فاف والله لختار الذنوب
وموثر لذة لحظة تبقى حسرة لا تزول عن قلب المؤمن وان غفرله فالحذر
الحذر من كل ما يوجب خجلًا وهذا امر قل ان ينظر فيه تايب وزاهد لانه
يرى ان العفو قد عم الذنب بالتوبة الصادقة وما ذكرته يوجب دوام
الحزن والخجل **فصل** من العجب سلامة دين ذي العيال اذا ضاق
به الكسب فما مثله الا كمثل الماء اذا ضرب في وجهه سكر فانه يعمل باطنًا
ويبالغ حتى يفتح فتحة فكذلك صاحب العيال اذا ضاق به الامر لا يزال
يحتال فاذا لم يقدر على الحلال ترخص في تناول الشبهات فان ضعف
دينه مد يده الى الحرام فالمؤمن الموفق اذا علم ضعفه عن الكسب اجتهد
في التعفف عن النكاح وتقليل النفقة اذا حصل الاولاد والقناعة باليسير
فاما من ليس له كسب كالعلماء والمتزهدين فسلامتهم ظريفة اذ قد

انقطعت



انقطعت موادّ السلاطين ومراعات العوام فاذا كثرت عيالهم لم يؤمن
عليهم شر مما يجري على الجهال ممن قدر منهم على كسب بالنسخ وغيره
فليجتهد فيه مع تقليل النفقة والقناعة باليسير فانه من تخلص منهم
اليوم كان الحرام لانه ياخذ من الظلمة خصوصًا ان اختبخة التنمس
والتزهد ومن كان له منهم مال فليجتهد في تنميته وحفظه فما بقي
من يوثر ولا من يقرض وقد صار الجهور بل الكل كانهم يعبدون
المال فمن حفظه حفظ دينه ولا يلتفت الى قول الجهلة الذين يامرون
باخراج المال مما هذا وقته واعلم انه اذا لم يجتمع الهم لم يحصل العلم ولا العمل
ولا التشاغل بالفكر في عظمة الله تعالى وقد كان هم القدماء يجتمع باطيبه
جمهورها انه كان لهم من بيت المال نصيب في كل عام وكان يصلهم
بفضل عنهم وفيهم من كان له مال يتجر به كسعيد بن المسيب وسفيان
وابن المبارك وكان همه مجتمعًا فقال سفيان في الدينار لولاك
لتمندلوا بي وفقدت بضاعة لابن المبارك فبكى وقال هو قوام ديني
وكان جماعة يسكنون الى عطاء الاخوان الذين لا يموتون وكان ابن المبارك
يبعث الى الفضيل وغيره وكان الليث ابن سعد ينفق الاكابر فبعث
الى مالك الف دينار والى ابن الهيعة الف دينار واعطى منصور ابن عمار
الف دينار وجاورته بثلاث مائة دينار وما زال الزمان على هذا الى
ان آل الامر على امحاق ذلك فقلت عطايا السلاطين وقل من يوثر
من الاخوان الا انه كان في ذلك القليل ما يدفع الزمان فاما زماننا
هذا فقد انقبضت الايدي كلها حتى قل من يخرج الزكوة الواجبة
فكيف يجتمع هم من يريد من العلماء والزهاد ان يعمل همه ليلًا ونهارا

في وجوه الكسب وليس من شانه ولا يهتدي له فقد رايت الامر ادعى الى
التعرض بالسلاطين والترخص في اخذ ما لا يصلح ولخرج المتزهدين الى
التصنع للتحصيل الدنيا فالله الله يا من يريد حفظ دينه قد كررت
عليك الوصية فعليك جهدك وحقق العلائق بهما امكنك واحفظ
بدرهم يكون معك فانه دينك واقلهم ما قد شرحته فان ضجرت النفس
لمرادها فقل لها ان كان عندك ايمان فاصبري وان ادركك التحصيل
لما يغني بيدك الدين فما نفعك تفكري في العلماء الذين جمعوا من غير
وجهه وفي المتمسحين المتنسكين ذهب دينهم وزالت دنياهم و
تفكري في العلماء الصادقين الصابرين كاحمد وبشر اذ فعت الايام
وبقي لهم حسن الذكر وفي الجملة من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب والايام تندفع وعاقبة الصبر الجميل جميلة

**فصل** ما رات عيني مصيبة نزلت بالخلق اعظم من سبهم
للزمان وعيبهم الدهر وقد كان هذا في الجاهلية ونهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر ومعناه انتم
تسبون من فرق شملكم وامات اهاليكم وتنسبونه الى الدهر والدهر انما
هو الفاعل لذلك فتعجبت كيف اعلم اهل الاسقام بهذه الحال وهم على
ما كان اهل الجاهلية عليه ما يتغيرون حتى ربما اجتمع الفطناء
الادباء الظراف على ذمهم فلم يكن لهم شغل الا ذم الدهر وقد بملجعلوا
الله الدنيا ويقولون فعلت وصنعت حتى رايت لابي القاسم الحريري يقول

• ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى • عن الرشد في الغاية ومقاصده •
• تعاميت حتى قيل اني اخو عمى • ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده •







وقد رايت خلقا يعتقدون انهم فقهاء وفهماء ولا يتحاشون من هذا
وهؤلاء انما اراد وا بالدهر مرور الزمان فذاك لا اختيار له ولا مراد ولا يعرف
رشدا من ضلال ولا ينبغي ان يلام فانه زمان مدبر لا مدبر ينصرف
فيه ولا يتصرف وما يظن بعاقل الى انه يشير الى الذم المذموم المعرض عن الرشد
التي الحكم هو الزمان فلم يبق الان القوم خرجوا عن ربقة الاسلام ونسبوا
هذه القبايح الى الصانع فاعتقدوا فيه قصور الحكمة وفعل ما لا يصلح كما
اعتقده ابليس في تفضيل ادم وهؤلاء لا ينفعهم مع هذا اعتقاد اسلام ولا
فعل صلوة بل هم شر من الكفار لا اصلح لهم شانا ولا هداهم الى رشاد **فصل**
قد كررت هذا المعنى في هذا الكتاب وهو الامر بحفظ السر والحذر من الانبساط
فما لا يصلح بين يدي الناس قربت منبسط بين يدي من يظنه صديقا بقول
في صديق او في سلطان انه لا يتهم في ذلك فيكون سبب هلاك ذلك فانا
اوصي السليم الصدر الذي يظن في الناس الخير ان يحترز من الناس وان لا يقول
في الخلق كلمة لا تصلح للخلق ولا يغتر بمن يظهر الصداقة او التدين فقد عم
الخبث **فصل** تاملت على اكثر الخلق عبادتهم فاذا هي عادات
فاما ارباب اليقظة فعبادتهم عبادة حقيقة فان العاقل يقول سبحان الله
عادة والمتيقظ لا يزال فكره في عجايب المخلوقات او في عظمة الخالق
فيحركه الفكر في ذلك فيقول سبحان الله ولو ان انسانا تفكر في ريشة فنظر
في تصفيق جهاتها وحفظه بالاعشية لئلا ينتصك واقامة الماء على
عظم البعوضة وجعل الغشاء عليه يحفظه وتصوير الفرخ في باطن البيضة
والادمي في بطن الام الى غير ذلك من المخلوقات لانبعثه هذا الفكر الى
تعظيم الخالق فقال سبحان الله فكان هذا التسبيح ثمرة الفكر فهذا التسبيح

المتيقظين وبانوار افكارهم تجول فتقع عباداتهم بالتسبيحات محققة وكذلك
يتفكرون في قبايح ذنوب تقدمت فيوجب ذلك الفكر حسا للباطن وقلقا
للقلب وندم النفس فيثمر ذلك ان يقول قائلهم استغفر الله فهذا هو التسبيح
والاستغفار واما الغافلون فيقولون ذلك عادة وشتان ما بين
الفريقين **فصل** الحق لا يشتبه بالباطل انما يموه الباطل عند من
لا يفهم وهذا في حق من يدعي النبوات وفي حق من يدعي الكرامات اما
النبوات فانه قد ادعاها خلق كثير فظهرت حقايقهم فبانت
فضايحهم وقد جاءت القرامطة بحيل عجيبة وقد ذكرت جمهور
هؤلاء وحيلهم في كتابي التاريخ المسمى بالمنتظم وما فيهم من يتم له امر الا
ويفتضح ودليل صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم اجلاء من الشمس فانه ظهر
فقهر الخلق لعداوته فوعد بالملك فملك واخبر بما سيكون فكان وصين
من مرض النبوة عن الشره وخساسة الهمة والكذب والكبر وايد بالعفة
والامانة والنزاهة والشهامة وظهرت معجزاته للبعيد والقريب وانزل عليه الكتاب
العزيز الذي حارت فيه عقول الفصحاء ولم يقدروا على الاتيان باية تشبهه
فضلا عن سورة وقد قال قائلهم افتح ثم احرق ان لا يعارض فيه فكان كما
قال وذلك قوله فاتوا بسورة ثم قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا وكذلك
قوله فتمنوا الموت ولن يتمنوه فما تمناه احد الا قال قائل قد تمنيته فبطلت
دعواه وكان يقول ليلة غرة بدر هذا مصرع فلان هاهنا فلا يتعدى
وقد قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده
فما ملك بعدهما من كبير قدر ولا من استتب له حال ومن اعظم
دليل صدقه انه لم يرد الدنيا فكان بيت جائعا ويوثر اذا وجد ويلبس

الصوف



الصوف ويقوم الليل وانما تطلب النفايس لاجتلاب الشهوات فلما لم
يردها دل على انه يدل على الآخرة التي هي حق ثم لم يزل دينه يعلو حتى عم الدنيا
وان كان الكفر في زوايا الارض الا انه مخذول وصار في تابعيه من امته و
الفقهاء الذين لو سمع كلامهم الانبياء القدماء تحيروا في حسن استخراجهم والرهبان
الذين لو رآهم الرصبان تحيروا في صدق زهدهم والقضاء الذين لا نظير لهم
في القدماء اوليس قوم موسى يعبدون بقرة ويتوقفون في ذبح بقرة ويعبرون
البحر ثم يقولون اجعل لنا الها وقوم عيسى يدخرون من المايدة وقد
نهوا والمعتدون في السبت يعصون الله لاجل الحيتان والحمد لله
سليمة من هذه الاشياء وانما في بعضها ميل الى الشهوات المنهي عنها
وذلك في الفروع لا في الاصول فاذا ذكروا بكوا وندموا على تفريطهم فنحمد الله على
هذا الدين وعلى اننا من امة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان جماعة
من المتصنعين بالزهد مالوا الى طلب الدنيا والرياسة فاستغواهم الهوى
فخرقوا باظهار ما يشبه الكرامات كالحلاج وابن الشباش وغيرهما ممن
ذكرت حال تلبيسه في كتابي تلبيس ابليس وانما فعلوا ذلك لاجتلاب
اغراضهم ولم يزل الله ينشيء في هذا الدين من الفقهاء الخبراء من يظهر ما
ستره المبطلون ومن علماء الحديث من يهتك ما اخفاه الواضعون
حفظا لهذا الدين ودفعا للشبهات عنه فلا يزال الفقيه والحديث يظهران
عوار كل ملبس بوضع حديث او باظهار دعوى مزهد تزهد وتنميس
فلا يوثر ما ادعياه الا عند جاهل بعيد عن العلم والعمل يحق الحق ويبطل الباطل
ولو كره الكافرون **فصل** وعجبا من موجود لا يفهم معنى الوجود فان
فهم لم يعمل بمقتضى فهمه يعلم ان العمر قصير وهو يضيعه باللعب والبطالة والحديث

الفارغ وطلب اللذات وانما ايام عمل لا زمان فراغ فتكلف بذل المال
بمخالفة الطبع من الشرع فيخل به الى ان تضايق الخناق فيقول حينئذ فرقوا عني
بعد موتي وافعلوا كذا فان يقع هذا لو فعل وبعيد ان يفعل وانما يراد بانفاقه
في صحتك مخالفة الطبع في تكلف شاق الاخراج في زمن السلامة فافرق بين
الحالتين ان كان ذلك فهم فالسعيد من انتبه لنفسه وعمل بمقتضى عقله و
لتغنم زمانها بتة الزمن وانتهب عمرا يا قرب انقطاعه ويحك ما تصنع
بادخار مال لا يؤثر حسنة في صحيفة ولا مكرمة في تاريخ اما سمعت بانفاق
ابي بكر وبخل ثعلبة اما رايت تاثير مدح حاتم وبخل الجاحب ويحك
لو ابتلاك في مالك فقل استغثت او في بدنك ليلة بمرض شكوت
فانت تستوفي مطلوباتك منه ولا تستوفي حقه عليك ويل للمطففين
والله ان وجودك ايها العبد دليل وجوده وان نعمه عليك دليل جوده
فكما قدمك على سائر الحيوانات فقدمه في قلبك على كل المطلوبات واجتنبه
من جهلك واقرب من اعرض عنه واذل من اعز بعده واحسره من اشتغل بغير
خدمته **فصل** كلما نظرت في تواصل النعم علي تحيرت في شكرها
واعلم ان الشكر من النعم فكيف شكر لكني معترف بالتقصير راجو ان يكون
اعترافي قائما ببعض الحقوق وعندي خلة ارجو بها كل خير وهو ان
من يصوم او يصلي يرى انه تعبد ويخدم كانه يقضي حق المخدوم وانا
ارى اني اذا صليت ركعتين فانما قمت اكدي فانا لنفسي اعمل لا للمخدوم
غني عن طاعتي وكان بعض المشايخ يقول جاء في الحديث الدعاء عبادة
وانا اقول العبادة دعاء فالعجب ممن يقوم للخدمة يسأل حظ نفسه
كيف يرى انه قد فعل شيئا انما انت في حاجتك ومنة من التفضي

لاقاوسها



لاقاوسها خدمتي فانا افول كما قال الاول
يا منتهى الامال انت كفلتني وحفظتني وعدا الزمان علي كي يجتاحني
فنشتني وافقادني متخشعا لمدارك نصرتني وكسوتني ثوب
الغنا وعن المطالب صنتني فاذا سكت بدأتني واذا سألت اجبتني
فاذا حلوك شكرتك مرة زدتني فقدحتني وبهرتني او ان لجد
بالمال فالاموال انت افدتني **فصل** قد جاء في الاثر اللهم ارنا
الاشياء كما هي وهذا كلام حسن غاية واكثر الناس ما يرون الاشياء
بعينها فانهم يرون الفاني كانه باق ولا يكادون يتخايلون زوال
ما هم فيه ولو علموا ذلك الان عين الحس مشغولة بالنظر الى الحاضر الاتي
زوال اللذة وبقاء اثمها ولو راى اللص قطع يده هان عليه السرقة
عنده فمن جمع الاموال ولم ينفقها فما راها بعينها اذ هي آلة التحصيل
الاغراض لا تراد لذاتها ومن راى المعصية بعين الشهوة فما راها اذ فيها
من العيوب ما يثبت ثم ثمرتها عقوبة آجلة وفضيحة عاجلة عاجلة
وانظر الى اكبر شهوات الحس وهي الوطي فان الماء لا يحصل الا بعد مطعم
ومشرب ومن تفكر في المطعم نظر الى حرث الارض وانها تفتقر الى بقر
الحراثة عليها الحراث وهو حديد ومعه خشب وتعلق بحبال ثم
تفكر في عمل الحبال نظر في زرع القنب وتسريحه وفتله والحديد وحمله
وجلبه وضربه والخشب ونباته ونجارته ودوران الدولاب وعمله
ثم استحصاد الزرع وحصده وتذريته وطحنه وعجنه وخبزه ومن
عمل التنور وجلب الشوك ومن هذا الجنس اذا نظر فيه كثر جدا حتى قالوا
لا تتناول لقمة الا وقد عمل فيها ثلاث مائة نفس او نحوهم فاذا اكلت

تلك اللقمة فلتتفكر في خلق الانسان الاسنان تقطعها والاضراس
تطحنها وعذوبة ماء الفم يخلطها واللسان يقلبها وفضلات الفم بعد
منها شيء وينزل شيء حتى يصل البلع ثم يتناولها المعدة فيوصلها
الى الكبد فتقوم طابخة لها فاذا صارت دما نفذت رسوبها الى
الطحال وما تنتها الى المثانة واستخلصت من لخلص الدم واصفاه
الكبد والدماغ والقلب واخذت اجود ذلك فجدرته الى الانثيين
عند خلق آدمي فاذا تحركت نيران الشهوة تورمت تلك النطفة
وقد حكم الشرع بطهارتها وحكم لها بطهارة الرحم والمحل الذي
يباشره الذكر فيخلق منها الآدمي الموحد فلجاء هذا الشخص
الا باغلا الغلا وبعد عجايب اشرنا اليها لانا عددناها اعني
فهم هذا يحس منه ان يبدد تلك النطفة في حرام وان يطا في محل
نجس متضمخ فلم يتعلق بالزنا من محن لا يفي معشار عشرها
بلذة لحظة منها صك العرض بين الناس وكشف العورات المحرمة
وخيانة الاخ المسلم في زوجته ان كانت مزوجة وفضيحة
المزني بها وهي كاخت او بنت فان علقت منه ولها زوج
لحقته بذلك الزوج وكان هذا الزاني سببا في ميراث من
لا يستحق ثم يتسلسل ذلك من ولد الى ولد ولما سخط الحق
سبحانه فمعلوم فقد قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
ومقتا وساء سبيلا وقال صلى الله عليه وسلم ما من ذنب بعد
الشرك اعظم عند الله من نطفة وضعها في رحم لا تحل له ومن له
فهم فهو يعلم ان المراد من المنطقة ايجاد الموحدين ولولا تركيب



الشهوة لم يقع الوطي لانه التقاء عضوين غير مستحسنين ولا صورتها
حسنة ولا ريحهما طيبة وانما الشهوة تغطي عين الناظر ليحصل
الولد اصلا وانما هي عارض من طلب الشهوة ونسي خيانة بالزنا
فما ادراك الاشياء على ما هي وقس على هذا المطعم والمشرب وجمع المال
وغير ذلك **فصل** ان قائل اي قائلة في خلق ما يوذي
فالجواب انه قد ثبت حكمة الخالق فاذا خفيت وجب التسليم ثم
ان المستحسنات في الجملة انموذج ما اعد من الثواب والموذيات انموذج ما
اعد من العقاب وما خلق شيء بضر الا وفيه منفعة قيل لبعض الاطبا
ان فلانا يقول انا كالعقرب اضر ولا انفع فقال ما اقل علمه انها لتنفع اذا
شق بطنها ثم شدت على موضع اللسعة وقد تجعل في جوف فخار مشدود
الراس مطبق الجوانب ثم يوضع الفخار في تنور فاذا صارت رمادا سقي
من ذلك الرماد مقدار نصود انق واكثر به الحصاة يفتها من غير ان
يضر بشيء من سائر الاعضاء وقد تلسع العقرب ما بر حمى عتيقة فتزول
ولسعت رجلا مفلوجا فزال عنه الفالج وقد تلقى في الدهن حتى يجتذب
قواها فيزيل ذلك الدهن الاورام الغليظة ومثل هذا كثير على الجاهل
عدو ما جهله واكثر الخلق رد الجاهل على العالم **فصل** كلما اوغلت
الفهوم في معرفة الخالق وشاهدت عظمته ولطفه ورفقه تاهت في محبته
فهبت عن حد النبوت وقد كان من خلق من الناس غلبت عليهم محبته
فلم يقدروا على مخالطة الخلق ومنهم من لم يقدر على السكوت عن الذكر وفيهم
من لم ينم الا غلبة وفيهم من هام في البراري وفيهم من احترق في بدنه
فيا حسن سكرهم ما الذ سكرة وما عيش قلقهم ما احسن وجده كان اتى

٨٢

هذه المنافع في العقرب

ابو عبيدة الخواص قد غلبه الوجد فكان يمشي في الاسواق ويقول واشوقاه
الى من يراني ولا اراه وكان فتح ابن شخرف يقول قد طال شوقي اليك فعجل
قدومي عليك وكان قيس ابن الربيع كانه مخمور من غير شراب وكان ابن
عقيل يقول ان التبذل فيه سجاحة لحسن من التجمل في غيره هل رايت قط
عراة احسن من المحرمين هل رايت للمتزينين برياش الدنيا كاثواب الصالحين
هل رايت خمارا احسن من نعاس المتهجدين هل رايت سكرا احسن من
صعق الواجدين الواجدين هل شاهدت ماء صافيا اصفى من دموع المتاسفين
هل رايت رؤسا سائلة كرؤس المنكسرين هل لصق بالارض احسن من جباه
المصلين هل حرك نسيم الاسحار اوراق الاشجار فبلغ مبلغ تحريكه اذيال
المتهجدين هل ارتفعت اكف وانبسطت ايد فضاهت اكف الراغبين
هل حرك القلوب صوت ترجيع لحن اوزمزمة وتر كما حرك حنين المشتاقين
وانما يحصل التبذل في تحصيل او في الاغراض فلذلك حسن التبذل
في خدمة المنعم فصل من اعظم الضرر الداخل على الانسان كثرة النساء
فانه اولا يتشتت همه في محبتهن ومداراتهن وغيرتهن والانفاق عليهن
ولا يامن احداهن ان تكرهه وتويد غيره فلا تخلص الا بقتله ولو سلم من
جميع ذلك لم يسلم في الكسب لهن فان سلم لم ينج من السامة لهن او
لبعضهن ويطلب ما لا يقدر عليه من غيرهن حتى انه لو قدر على نساء
بغداد كلهن فقدمت امراة مستترة من غير البلد ظن انه يجد عندها
ما ليس عندهن ولعمري ان في الجدة لذة ولكن رب مستور اذا انكشف
افتضح واذا سلم من كل اذى يتعلق بهن انهك بدنه في الجماع فيكون طلبه
للالتذاذ مانعا من دوام الالتذاذ ورب لقمة منعت لقمات ورب لذة كانت

انظر كلام ابن عقيل





سببا في انقطاع لذات والعاقل من يقتصر على الواجبة اذا وافقت غرضه
ولا بد ان يكون فيها شيء لا يوافق انما العمل على الغالب فتوهب الجملة
الرديئة للجيدة وينبغي ان يكون النظر الى الحسن باب الدين قبل النظر الى الحسن فانه
اذا قل الدين لم يتنزع ذو مروءة تلك المراة وما يهلك الشيخ جماعا سريعا
الجماع فلا يغتر بما يرى من انبساط الآلة وحصول الشهوة وذلك مستخرج
من قوة ما لا يعود مثله فلا ينبغي ان يغتر بحركة وشهوة ولا يقرب من
النساء ان كان له راي في البقاء فصل ينبغي الاحتراز من كل ما يجوز ان
يكون ولا ينبغي ان يقال الغالب السلامة وقد رايت من نزل مع الخيل في سفينة
فاضطربت فغرق من في السفينة وان كان الغالب السلامة وكذا ينبغي
ان يقدر الانسان في نفقته وان كان له الدنيا مقبلة لجواز ان تنقطع
تلك الاسباب وحاجة النفس لا بد من قضايها فاقتدها وقت السعة
لمجاء وقت الضيق ولم يامن ان يدخل في مداخل سوء فلن يتعرض بالطلب
من الناس وكذلك ينبغي للعاقل ان يعد للمرض والقوي ان يتهيأ للهرم
وفي الجملة فالنظر في العواقب وفيما يجوز ان يقع شان العقلاء فاما
النظر في الحالة الراهنة فحسب فحالة الجهلة الحمقى مثل ان يرى نفسه
معافى وينسى المرض وغنيا وينسى الفقر ويرى لذة عاجلة وينسى
ما يجني عواقبها وليس للعقل شغل الا النظر في العواقب وهو يشير بالصواب
ان من يقبل فصل العجب لموت شهوات الدنيا الا يتدبر امرها
بالعقل قبل ان يصير الى معقولات الشرع ان اعظم لذات الحس الوطي والمراة
المستحسنة انما يكون حالها من وقت بلوغها الى الثلاثين فاذا
بلغتها اثر فيها وربما ابيضت شعرات من مراسها فينفر الانسان منها

وقد يقع الملل قبل ذلك وطول الصحبة يكشف العيوب وما عيبت نساء
الدنيا بابلغ من قوله تعالى ولهم فيها ازواج مطهرة فلو تفكر الانسان في جسد
مملوء بالنجاسة ما طاب له ضوء غير ان الشهوة تغطي عين الفكر والعاقل من
حفظ دينه ومروته بترك الحرام وحفظ قوته في الحلال فانفقها في طلب
الفضائل من علم وعمل ولم يسع في افناء عمره وتشتيت قلبه في شيء لا تحسن عاقبته
عليه ما في هو لاء لكم من محنتي عوض ان مت شوقا ولا فيها لها ثمن
وعموم من رايناه من الكبار غلبت عليهم شهوة الوطي فهدمت اعمارهم
وحلوا سريعا وقد راينا من العقلاء من زجر نفسه عن هذه الحزوم ولم
يستعملها الا وقت الحاجة فبقي لهم سواد شعورهم وقوتهم حتى تمتعوا
بها في الجموة وحصلوا المناقب وعرفت منهم النفوس قوة العزيمة فلم
تطالبهم بما يوذي فصل قد اشكل على بعض الناس رؤية النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله من رآني في المنام فقد رآني فقال ظاهر الحديث انه يراه
حقيقة وفي الناس من يراه شيخا وشابا ومريضا ومعافى فا
لجواب انه من ظن ان جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم المودع في المدينة
خرج من القبر وحضر في المكان الذي رآه فيه فهذا جهل لا اجهل يشبهه
فقد يراه في وقت واحد الف شخص في الف مكان على صور مختلفة فكيف
يتصور هذا في شخص واحد وانما يرى مثاله لا شخصه فيبقى من رآني
فقد رآني فمعناه قد راى مثالي الذي يعرفه الصواب وتحصل به الفائدة
المطلوبة فان قيل فما تقولون في رؤية الحق سبحانه فنقول يرى
مثال لا مثل والمثال لا يقتضي المساواة والمشابهة كما قال
تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فضرب مثلا للقرآن

قف على هذا الاشكال وجوابه

وانتفاع



وانتفاع الخلق به ويوضح هذا انه ما يرى من راى الحق سبحانه وتعالى على
هيئة مخصوصة والحق سبحانه منزه قد توحد فوضح ما قلناه فصل
ما رايت اظرف من لعب الدنيا بالعقول وقد سمعنا وراينا جماعة من
الفطنا الكاملي العقل لعبت بهم الدنيا حتى صاروا كالمجانين فولوا الولايات
فخرجوا الى القتل والضرب والحبس والشتم وذهاب الدين والظلم كله لاجل دنيا
تذهب سريعا وفي مدة اقامتها هي معجونة بالنغص فيا ايها المرزوق
المرزوق عقلا لا تبخسه حظه ولا تطفي نوره واسمع ما اشير به ولا
تلتفت الى بكاء طفل الطبع لفوات غرضه فانك ان رحمت بكاءه لم تقدر على
فطامه ولم يمكنك تاديبه فيبلغ جاهلا فقيرا شعر

لا تسه عن ادب الصغير ولو شكى الم التعب
ودع الكبير لشانه كبر الكبير عن الادب

واعلم ان زمان الابتلاء ضيق قراه الصبر وكن مقدرا للنفقة غير مبذر فان
الحلال لا يحتمل السرف ومتى سرفت احتجت الى التعرض بالخلق والتناول
من الاكدار وان ضاق بك امر فاصبر فان ضعف الصبر فسل فانح
الابواب فهو الكريم وعنده مفاتح الغيب واياك ان تبذل دينك بالتصنع
للخلق او بتقرب الى الامراء او تستعطي اموالهم واذكر طريق السلف والحالة
العالية في هذا اقبال القلب على الله عز وجل والتوكل عليه والنظر اليه والتفات
القلب عن الخلق فان احتجت فسل وان ضعفت فارغب اليه ومتى
سكنت الاسباب انقطعت منه ومتى استقام باطنك استقامت لك
الامور فصل رايت نفسي تاثر بخلطاء تسميهم اصفاء
فجنت التجارب عنهم فاذا اكثرهم حساد على النعم واعداء لا يسترون مزية

ولا يعرفون الجليس حقا ولا يواسون من مالهم صديقا فاملت الامر فاذا الخلق
سجانه يغار على قلب المؤمن ان يجعل له غيا يانس به فهو يكده عليه
الدنيا واهلها ليكون الانس به فينبغي ان تعد الخلق كلهم معارف ليس فيهم
صديق بل تحسبهم اعداء ولا تظهر سرك لمخلوق منهم ولا تعتد من يصل
اليك ولدا ولا اخا ولا صديقا بل عاملهم بالظاهر ولا تخالطهم الا حاجة
الضرورة بالتوقي لحظة ثم اقطعهم واقبل على شانك متوكلا على خالقك فانه
لا يجلب الخير سواه ولا يصرف السوء الا اياه فليكن جليسك وانيسك
وموضع توكلك وشكواك فان ضعف صبرك فاستغث به وان قل
يقينك فسله القوة واياك ان تميل الى غيره فانه غيور وان تشكو من
اقداره فربما لم يحتمل فصل ينبغي للفقيه ان يطالع من كل فن
طرفا من تاريخ وحديث ولغة وغير ذلك فان الفقيه يحتاج الى جميع
العلوم فليأخذ من كل شيء منها مهما ولقد رايت بعض الفقهاء يقول
اجتمع الشبلي وشريك القاضي فاستحييت لم كيف لا يدري بعد ما
بينهما وقال آخر في مناظرة كانت الزوجية بين فاطمة وعلي رضي الله
عنهما غير منقطعة الحكم فلهذا غسلها فقلت له ويحك فقد تزوج امامة
بنت زينب وهي بنت اختها فانقطع ورايت في كتاب احياء علوم الدين
للغزالي من هذا ما يدهش من التخليط في الاحاديث والتواريخ فجمعت من اغاليطه
في كتاب وقد ذكرت في كتاب له سماه المستظهري وعرضه على المستظهر بالله
ان سليمان ابن عبد الملك بعث الى ابي حازم فقال له ابعث لي من فطورك
فبعث اليه بخالة مقلوة فافطر عليها ثم جامع زوجته فجاءت بعبد العزيز
ثم ولد له عمر وهذا تخليط قبيح فانه جعل عمر ابن عبد العزيز ابن سليمان ابن

سماه اعلام الاحياء باغلاط الاحياء

رحم الله ابا الفرج فان اكثر العوام ممن يطالع بالتواريخ يعلم ما يكون سليمان من عمر فضلا عن رجل يلقب بحجة الاسلام ولو حمل هذا الكلام وجد له محملا

وقد طبع هذا الكتاب فاشتهرت هذه الغلطة وانتشرت فحلت محل لا عيب فيه

بحاشية سراج الملوك

عبد الملك فجعل سليمان جده وانما هو ابن عمه وقد ذكر ابو المعالي الجويني
في اول كتاب الشامل في الاصول قال قد ذكرت طائفة من الثقات
المعتنين بالبحث عن البواطن ان الحلاج والجنابي القرمطي وابن المقنع
تواصوا على قلب الدول وافساد المملكة واستعطاف القلوب وارتاد
كل منهم قطرا فقطن الجنابي في الاحساء وتوغل ابن المقنع في اطراف بلاد
الترك وقطن الحلاج بغداد فحكم عليه صاحباه بالهلكة والقصور عن بلوغ
الامنية لبعد اهل بغداد عن الانخداع وتوفر فطنهم وصدق فراستهم
قلت ولو ان هذا الجهل او من حكى عنه عرف التواريخ لعلم ان الحلاج لم
يدرك ابن المقنع فان ابن المقنع امر بقتله المنصور فقتل في سنة اربع
واربعين ومائة وابو سعيد الجنابي القرمطي ظهر في سنة ست وثمانين
ومائتين والحلاج قتل سنة تسع وثلاث مائة فزمان القرمطي والحلاج
متقارب فاما ابن المقنع فكلا فصل كانت هم القدماء من العلماء
علة تدل عليها تصانيفهم التي هي زبدة اعمارهم الان اكثر تصانيفهم دثرت
لان هم العلماء ضعفت فصاروا يطلبون المختصرات ولا ينشطون
للمطولات ثم اقتصروا على ما يروسوق به من بعضها فدثرت الكتب ولم
تكتنح فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب التي قد تخلفت
من المصنفات فليكثر من المطالعة فانه يرى من علوم القوم وعلو هممهم
ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمته للجد وما يخلو كتاب من فايدة ولعوذ
بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم لا نرى فيهم ذا همة عالية يقتدي بها
المبتدي ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد فالله الله عليكم بمطالعة
سير السلف ومطالعة تصانيفهم واخبارهم فالاستكثار من مطالعة

لا يخلو كتاب من فايدة

كتبهم رؤية لهم كما قال

فاتني ان اري الديار بطرفي ٭ فلعلي اري الديار بسمعي ٭

ولي اخبر عن حالي ما اشبع من مطالعة الكتب واذا رايت كتابا لم اره فكاني وقعت على كنز ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة في المدرسة النظامية فاذا هو يحتوي على ستة الاف مجلد وفي ثبت كتب ابي حنيفة وكتب الحميدي وكتب شيخنا عبد الوهاب ابن ناصر وكتب ابي محمد ابن الخشاب وكانت احالا وغير ذلك من كل كتاب اقدر عليه ولو قلت اني طالعت عشرين الف مجلد كان اكثر وانا بعد في الطلب فاستفدت بالنظر فيها ملاحظة سير القوم وقدرهم وحفظهم وعبادتهم وغرايب علومهم لا يعرفها من لم يطالع فصرت اسري استري ما الناس فيه واحتقرهم ٭ الطلاب وللمجد

**فصل** لا ينبغي للعاقل ان يظهر سره حتى يعلم انه اذا ظهر لا يتاذى بظهوره ومعلوم ان السبب في بث السر طلب الاستراحة ببثه وذاك الم قريب فليصبر عليه فرب مظهر سره لزوجته فاذا طلقت بثته وهلك او صديقه فيظهره عليه حسدا له اذا كان مماثلا وان كان عاميا فالعامي احمق ومرت سر اظهر فكان سبب الهلاك

**فصل** ما يتناهى في طلب العلم الا عاشق والعاشق ينبغي ان يصبر على الهجران ومن ضرورة المشتغل به البعد عن الكسب وقد فقد التفقد لهم من الاهل ومن الاخوان فلازمهم الفقر ضرورة والفضايل تنادي هنالك ابتلي المرء على قدر الوازع الاشديد فكلما خافت من ابتلي قالت ٭ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭ ٭

٭ لا تحسب المجد تمرا انت آكله ٭ لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا ٭



ولما اثر احمد ابن حنبل رضي الله عنه طلب العلم وكان فقيرا بقي اربعين سنة يشتغل به ولا يتزوج فينبغي للفقير ان يصابر فقره كما فعل احمد ومن يطيق ما طاف فقد رد من المال خمسين الفا وكان ياكل الخامخ ويتادم بالملح ويداوم عليه فاسلخ له الذكر الجميل جزافا ولا تزودت الاقدام الى قبره الا لمعنى عجيب فيالله ثناء ملاء الافاق وجمالا زين الوجود وغرا نسخ كل ذل هذا في العاجل وثواب الآجل لا يوصف وتلمح قبور اكثر العلماء لا تعرف ولا تزار بخصوصا وقد اولعوا وشاطوا السلاطين فذهبت بركة العلم ومحي الجاه وورد واعند الموت حياض الندم فاصبر الصبر ايها الطالب للفضايل وقد قال الشافعي رضي الله عنه

يا نفس صبرا على الآصبر ايام ٭ كان مدتها اضغاث احلام

يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة ٭ وخلي عنها فان العيش قدام

ثم ايها العالم الفقير ايسرك ملك سلطان من السلاطين وان ما تعلمه من العلم لا تعلمه كلا ما اظن بالمتيقظ ان يوثر هذا ثم انت اذا وقع لك خاطر مستحسن او معنى عجيب تجد لذة لا يجدها ملتذ بالملذات الحسية فقد حرم من ذوق الشهوات ما قد ذوقت وقد شاركتهم في قوم العيش ولم يبق الا الفضول التي اذا ٭ لم تكدنضر ثم هم

على الخاطرة في باب الآخرة غالبا وانت على السلامة في الاغلب فتلمح بالتي عواقب الاحوال وقمع الكسل المثبط عن الفضايل فان كثيرا من العلماء الذين ماتوا مفرطين ينقلبون في حسرات واسف راى رجل شيخنا ابن الزاغوني في المنام فقال له الشيخ اكثر ما عندكم الغفلة واكثر ما عندنا الندامة فانهض وفقك الله قبل الحبس وانهض بعزيمة عازم

اذاهم القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في امره غير نفسه ولم يرض الاقايم السيف صاحبا

وارفض في هذه الغرة الدنيا وارباحها فبارك الله لاهل الدنيا في دنياهم فنحن الاغنياء وهم الفقراء كما قال ابراهيم بن ادهم لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف لسلمه لا يكاد يأكل لقمة الا حراما او شبهة وهو ان لم يؤثر ذلك فوكيله يفعله ولا يبالي هو بقلة دين وكيله وان عمر وادار اسخر والا فعله وان جعلها الا فمن وجوه لا تصلح ثم كل منهم يخاف ان يقتل او يعزل او يستم فعيشهم نغص ونحن ناكل ما ظاهر الشرع يشهد له بالاباحة ولا نخاف من عدو ولا ولد يتمنا قبل الغزل والغزل في الدنيا لنا لا لهم واقبال الخلق علينا وتقبيل ايدينا وتعظيمنا عندهم كثير وفي الاخرة بيننا وبينهم تفاوت ان شاء الله فان القت ارباب الدنيا اعناقهم يعلمون قدر ما اتينا وان انقبضت ايديهم عن اعطائنا فلذة العفاف الطيب ومرارة المنن لا تفي بالملحوظ وانما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وانها ايام قلايل والعجب لمن شرفت نفسه حتى طلبت العلم اذ لا يطلبه الا نفس شريفة كيف يذل لبذل منزلة الا بالدنايا ولا فوز الا بالمكنة ولقد انشدني ابو يعلى العلوي

رب قوم في خلايقهم عرد قد حسرنا عنهم غير رد
ستر المال القبيح لهم ستر ان زال ماستر

ايقظنا الله من رقدة الغافلين ورزقنا فكر المتيقظين ووفقنا للعمل بمقتضى العلم والعقل انه قريب مجيب

**فصل** لا ينبغي للانسان ان يحمل على بدنه ما لا يطيق فان البدن كالراحلة ان لم يرفق بها لم تصل

بالراكب



بالراكب فتري في المتايبين من يترصد وقد ربط جسده على الترف فيعرض عما الف فيتجدد له الامراض فتقطعه عن كثير من العبادات وقد قيل عودوا كل بدن ما اعتاد وقد قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رطب فقال الحمد لله عافية لا تدليس بارض قومي وفي حديث الهجرة ان ابا بكر رضي الله عنه طلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الظل وفرش له فروة وصب على القدح الذي فيه اللبن ماء حتى برد وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم فقال ان كان عندكم ماء بات في شن والا كرعنا وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الدجاج وفي الصحيح انه كان يحب الحلوى والعسل وكان اذا لم يقدر اكل ملحضا ولعمري ان في العرب واهل السواد من لا يوثر عنده التخشن في المطعم والملبس وذاك اذا جرى بعد بوسه على عادته لم يستضر فاما من قد الف اللطف فانه اذا غير حاله تغير بدنه وقلت عباداته وقد كان الحسن يديم اكل الخبز ويقول لا يغبني مالك ولا يحمله صحناة فرقد وكان ابن سيرين لا يخلو منزله من حلوى وكان سفيان الثوري يسافر في سفرة الحمل المشوي والفالوذج وكانت وقالت رابعة ساري لبدن يراد به العمل لله اذا اكل الفالوذج عيبا من الف الترف فينبغي ان يلاطف بنفسه اذا امكنه وقد عرفت هذا من نفسي فاني ربيت في ترف فلما ابتدأت في التقلل وهجر المشتهى اثمر لي مرضا قطعني عن كثير من التعبد حتى اني قرأت في ايام كل يوم خمسة اجزاء من القرآن فتناولت يوما ما لا يصلح فلم اقدر في ذلك اليوم على قراءتها فقلت ان لقمة توشر قراءة خمسة اجزاء بحمل حرف عشر حسنات ان تناولها طاعة عظمة وان مطعما يوذي البدن فيفوته فعل خير ينبغي ان يهجر وقد اري رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اصحابه حضر عنده وقد تغير من التقشف فقال له

من امرك بهذا فالعاقل يعطي بدنه من الغذاء ما يوافقه كما يعطي الغازي شعير
الدابة ولا تظن اني آمرك باكل الشهوات ولا بالاكثار من الملذوذ انما آمرك بتناول
ما يحفظ النفس وانهى عما يؤذي البدن فاما التوسع في المطاعم فانه سبب
النوم والشبع يعمي القلب ويرهل البدن ويضعفه فافهم ما اشرت اليه فالطريق
هي الوسطى **فصل** الآدمي موضوع على بطون وبابات تشتت الهم فالعين
تطلب المنظور واللسان يطلب الكلام والبطن يطلب المأكول والفرج يطلب
المنكوح والطبع يحب جمع المال وقد امرنا بجمع الهم لذكر الآخرة والهوى
يشتته فكيف اذا اجتمعت الحاجات لانه مطلوب قوت البدن وقوت
العيال وهو ليكد الى دكانه ويفكر في التحصيل ويستعمل آلة الفهم في
نيل ما لابد منه فاي هم يجتمع خصوصا ان اخذه الشره في سورة فيمضي
العمر فينهض من الدكان الى القبر وكيف يحصل العلم او العمل او مخلص
القصد او طلب الفضايل فان كان متزهدا بغير عائلة فقد كان
السبتي يعمل يوم السبت فيكتفي به طول الاسبوع وان كان له مال
باضع به من يكفيه بدينه وثقته ان يهتم هو وان كان له عائلة جمع همه
في نية الكسب عليهم فيكون متعبدا او ان يكون قنية مال كعقار تلطف
في نفقته ليكفيه دخله ويقلل الهم على مقدار ما يمكنه من حذف العلايق
جهده ليجمع الهم في ذكر الآخرة فان لم يفعل اخذ على غفلة وكم وندم
في حفرته واقبح الاحوال حال عالم ففيه كلما جمع همه لذكر الآخرة شتته
طلب القوت للعائلة وربما احتاج الى التعرض بالظلمة واخذ الشبهات
وبذل الوجه فيلزم هذا التقدير في النفقة واذا حصل له شيء من وجه
وترفه ولا ينبغي ان يحمله قصر الامل على اخراج ما في يده فقد قال صلى الله

عليه وسلم



عليه وسلم لان تترك ورثتك اغنياء خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس
واذل من كل ذي الضرع للبخلاء والامراء فليدبر امره ويقلل العلايق
ويحفظ جاهه فالايام قلايل وقد بعث الى احمد بن حنبل رضي الله
عنه مال فسأله ابنه قبوله فقال يا صالح صبرني ثم قال استخير الله
فاصبح فقال يا بني قد عزم لي ان لا اقبله هذا وكان العطاء هنيا وجاءته
من وجوه فانكس الامر اليوم **فصل** العزلة عن الخلق سبب طيب
العيش ولا بد من مخالطة بمقدار فدار الخلق واستحله فربما كادك
فاهلكك واحسن الي من اساء اليك واستعن على امورك بالكتمان
وليكن الناس عندك معارف فاما اصدقاء فلا لان اعز الاشياء
وجود صديق لان الصديق ينبغي ان يكون في مرتبة مماثل فان
صادفت عاميا لم تنتفع به لسوء اخلاقه وقلة عقله وادبه وان
صادفت مماثلا او مقاربا حسدك واذا كان لك بقظة تلمحت
من افعاله واقواله ما يدل على حسدك ولتعرفهم في لحن القول
واذا اردت تاكيد ذلك فضع عليه من يضعك عنده فلا بد ان
يخرج اليه مما في قلبه فان اردت العيش فابعد عن الحسود لانه عدو
نعمتك فان اضطررت الى مخالطته فلا تفش اليه سرك ولا تشاوره
ولا يغرنك تملقه لك ولا يظهره لك من الدين والتعبد فان الحسد
يغلب الدين وقد عرفت ان قابيل اخرجه الحسد الى القتل وان
اخوة يوسف باعوه بثمن بخس وكان ابو عامر الراهب من المتعبدين
العقلاء وعبد الله ابن ابي من الرؤساء اخرجهما حسد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى النفاق وترك الصواب ولا ينبغي ان تطلب لحاسدك

عقوبة اكثر مما هو فيه فانه في امر عظيم متصل لا يرضيه الا زوال نعمتك
وكلما امتدت امتد عذابه فلا عيش له وما طاب عيش اهل الجنة الا حين
نزع الحسد والغل من صدورهم ولولا انه نزع تحاسدوا وتباغضوا
عيشهم **فصل** من سارع العقل وخالف طريق الهوى
ونظر الى العواقب امكنه ان يمتنع من الدنيا اضعاف ما تمتع من
استعجل الشهوات فاما المستعجل فيفوت نفسه حظ الدنيا والذكر
الجميل ويكون ذلك سببا لفوات مراده من اللذات وبيان هذا
من وجهين احدهما انه من مال الى شهوة النكاح واكثر منها قل
التذاذه وفتيت حرارته وكان ذلك سببا في عدم مطلوبه منها
ومن استعمل ذلك بمقدار ما يجيزه من العقل ويحتمله كان التذاذه
اكثر لبعد ما بين الجماعين وامكنه التردد لبقاء الحرارة وكذلك من
غش في معاملته اوخان فانه لا يعامل فيفوته ربح المعاملة الدائمة
لخيانة مرة ولو عرف بالثقة دامت معاملت الناس له فزاد ربحه
والثاني انه من اتقى الله وتشاغل بالعلم او بتحقيق الزهد وفتح له
من المباحات ما يلتذ به كثيرا ومن تقاعد به الكسل عن العلم او
الهوى عن تحقيق الزهد لم يحصل له الا اليسير من مراده قال الله عز وجل
وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا **فصل**
نظرت في حكمة المطعم والمشرب والملبس والمناكح فرايت ان الآدمي
لما خلق من اصول تتحلل وهي الماء والتراب والنار والهوى وبقاؤه
انما يكون بالحرارة والرطوبة والحرارة تحلل الرطوبة دائما فلم يكن له بد
من شيء يخلف ما بطل ولما كان اللحم لا ينوب عنه الا اللحم اباح ذبح





الحيوان ليتقوى به من هو اشرف منه ولما كان بدنه يحتاج الى كسوة وله
قدرة تميز وقدرة يصنع بها ما يقيه الاذى من القطن والصوف لم
يجعل على جلده ما يقيه خلقة بخلاف الحيوان البهيم فانه لما لم يكن
له قدرة على ما يغطي جلده عوضه بالريش والشعر والوبر ولما لم يكن
بد من فناء الآدمي والحيوان هيج شهوة الجماع لتخلف النسل
فمقتضى العقل الذي حرك على طلب هذه المصالح ان يكون التناول للمطعم
والمشرب بمقدار الحاجة والمصلحة ليقع الالتذاذ بالعافية ومن البلية طلب
الالتذاذ بالمطعم وان كان غير صالح او تكثر به والشره في تناوله وكذلك
الكسوة والنكاح ومن الحزم جمع المال وادخاره لعارض حاجة ومن
التغفيل انفاق الحاصل فربما عرضت حاجة فلم يقدر عليها فاما
استخدامها في البدن او في العرض بطلبها من الابذال ومن اقبح الامور
الانهماك في النكاح طلبا لصورة اللذة ناسيا ما يجني ذلك
من انحلال القوة ويزيد في الحرام بالعقوبة فمن مال الى تدبير العقل سلم في دنياه
وآخرته ومن اصر اعرض عن مشاورته او عن القبول منه تعجل عطبه
فليفهم مقصود الموضوعات وحكمها والمراد منها فمن لم يفهم ولم يعمل
بمقتضى ما فهم كان كاجهل العوام وان كان عالما **فصل**
في مخالطة الامراء العجب من لم سكنه من عقل او عنده قليل من دين
كيف يؤثر مخالطتهم فان المخالطة لهم او العمل معهم يكون صاحبه خائفا
من عزل او قتل او سم ولا يمكنه ان يعمل الا بمقتضى اوامرهم فان امروا
بما لا يجوز لم يقدر ان يراجع فقد باع دينه قطعا ودنياه تمنعه
بالخوف ولم يبق بيده الا عاجل التعظيم وان يقال بين يديه بسم الله

وان ينفذ امره وذلك بعيد السلامة في باب الدين وما يلتذ به من في الدنيا
ممزوج بخوف العزل والقتل **فصل** من الغلط العظيم ان يتكلم
في حق معزول بما لا يصلح فانه لا يؤمن ان يلي فينتقم وفي الجملة لا ينبغي ان
يظهر العداوة لاحد اصلا فقد يرتفع المحتقر وقد يتمكن من لا يتعمد
بل ينبغي ان يكتم ما في النفوس على الاعداء فان امكن الانتقام منهم كان
العفو انتقاما لانه يذلهم وينبغي ان يحسن الى كل احد خصوصا من يجوز
ان يكون له ولاية وان يخدم المعزول فربما نفع في ولايته وقد رويانا ان
رجلا استاذن على قاضي القضاة ابن ابي داود وقال قولوا له ابو جعفر
بالباب فلما سمع هش لذلك وقال ائذنوا له فدخل فقام وتلقاه واكرمه
واعطاه خمسة الاف وودعه فقيل له رجل من العوام فعلت به هذا قال
اني كنت فقيرا وكان هذا صديقا لي فجئته يوما فقلت له انا جايع فقال
اجلس وخرج فجاء بشواء وحلوى وخبز فقال كل فقلت كل معي
قال لا قلت والله لا آكل حتى تاكل فاكل فجعل الدم يجري من فيه فقلت
ما هذا فقال مرض فقلت والله لا بد ان تخبرني فقال انك لما
جيئتني لم اكن املك شيئا وكانت اسناني مضببة بشريط من ذهب
فنزعته واشتريت به فهل اكافي مثل هذا وعلى عكس هذه الاشياء
كان ابن الزيات وزير الواثق وكان يضع من المتوكل فلما ولي عذبه
بانواع العذاب وكذلك ابن الجراري كان لا يوقر المسترشد قبل الولاية
فجرت عليه الآفات هذا ولي فالعاقل من تامل العواقب وراعاها
وصور كل ما يجوز ان يقع فعمل عقتضى الحزم وابلغ من هذا تصوير
ورود الموت عاجلا لانه يجوز ان ياتي بغتة من غير مرض فالحازم من

بيان لما

استعد له



استعد له وعمل عمل من لا يدري اذا جاءه وحذر من الذنوب فانها كعدو
مرصد بالجزاء وادخر لنفسه صالح الاعمال فانها كصديق صدوق ينفع
وقت الشدة وابلغ من كل شيء ان يعلم المؤمن انه كلما زاد عمله في الفضايل
علت مرتبته في الجنة وان نقص نقصت فهو وان دخل الجنة ما يحب
في نقص بالاضافة الى كمال غيره غير انه قد رضي به ولا يشعر بذلك
فرحم الله من تلمح العواقب وعمل عقتضى التلمح والله تعالى الموفق
**فصل** لما جمعت كتابي المسمى بالمنتظم في تاريخ الملوك والامم
اطلعت على سير الخلق من الملوك والوزراء والعلماء والادباء والفقهاء
والمحدثين والزهاد وغيرهم فرايت الدنيا قد تلاعبت بالاكثرين تلاعبا
اذهب اديانهم حتى كانوا كانهم لا يومنون بالعقاب فمن الامراء من يقتل
ويصادر ويقطع ويحبس بغير حق ثم يخرط في سلك المعاصي كان الامر اليه
وقد جاءه الامن من العقاب فربما تخيل ان حفظي للرعايا يرد عني وليس
انه قد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم وقد انخرط جملة ممن ينتسم بالعلم في سلك المعاصي لتحصيل اغراضهم
العاجلة فما نفعهم العلم وهذا لان الدنيا فخ والناس كعصافير والعصفور
يريد الحبة وينسى الفخ فقد نسي اكثر الخلق مآلهم مبلغا الى عاجل لذاتهم
واقبلوا بسائر هوى الهوى ولا يلتفتون الى مشاورة العقل فلقد باعوا بلذة
يسيرة مخسرا كثيرا واستبدلوا بشهوات مردية عذابا عظيما فاذا نزل بساحتهم
الموت قال ليتني لم اكن ليتني كنت ترابا فيقال له الآن فواسفا لغايت لا يمكن
استدراكه ولم تهن لا يصلح فكاكه فتامل في الامر عمر ابن الخطاب وابن عبد
العزيز رضي الله عنهما وفي العلماء احمد ابن حنبل رحمة الله عليه وفي الزهاد

اويسا القرني لقد عظم الجد حقه وفهموا مقصود الوجود وما هلك الا هالك الكون
الا لقلة الصبر عن المشتهى **فصل** اعلم ان الجزاء بالمرصاد ان كانت
حسنة فحسنة وان كانت سيئة ومن الاعتبار ان يظن المذنب انه اذا لم يعاقب
انه قد سومح وربما جاءت العقوبة بعد مدة نظر بعض العباد الى
شخص مستحسن فقال له شيخه ما هذا النظر تجد غبه في القرآن بعد
اربعين سنة وقال لقد عجبت شخصا قد ذهب بعض اسنانه
فاشتريت اسناني ونظرت الى امرأة لا تحل فنظر الله الى زوجتي من لا يريد
وكان بعض العاقين قد ضرب اباه وسحبه الى مكان فقال له الاب حسبك
الى ها هنا سحبت ابي وقال ابن سيرين عيرت رجلا بالافلاس فافلست
ومثل هذا كثير ومن عجيب ما سمعت قرأ على الوزير ابن حصيرة الملقب بالنظام
ان المقتفي غضب عليه واراد ان يوخذ منه عشرة الاف دينار فقال ما يوخذ مني
عشرة ولا خمسة ولا اربعة قالوا فان الملك قال اني ظلمت رجلا فالزمته ثلاثة الاف
فما يوخذ مني اكثر منها فلما ادى ثلاثة الاف دينار وقع الخليفة باطلاقه وسامحه
في الباقي وانا اقول عن نفسي ما نزلت بي آفة او غم او ضيق صدر الا بزلل اعرفه
يمكنني ان اقول هذا بالشيء القليل وربما تاولت فيه بعد فارى العقوبة
فينبغي للانسان ان يرتقب جزاء الذنوب فقل ان يسلم منه وليجتهد في
التوبة فقد روي في الحديث ما من شيء اسرع لحاقا بشيء من حسنة حديثة
لذنب قديم ومع التوبة يكون خائفا من المؤاخذة متوقعا لها **فصل**
تفكرت يوما في نفسي تفكر محقق فحاسبتها قبل ان تحاسب ووزنتها
قبل ان توزن فرايت اللطف اللطيف الرباني قد ربى فبدا الطفولة والى
الى الآن ارى لطفا بلطف وستر على قبيح وعفو عما يجب عقوبة



وما ارى لذلك شكرا الا باللسان ولقد تفكرت في خطر ما لو عوقبت ببعضها
هلكت سريعا ولو كنت في بعضها للناس لاستحييت ولا بعثت فحمد
يعتقد محقق عن سماع هذا لها من كبائر الذنوب حتى لا يظن في ما يظن
في الفساق بل هي ذنوب قبيحة في حق مثلي وقعت بتاويلات فاسدة
فصرت اذا دعوت اقول اللهم بحلمك عني وسترك علي فاغفر لي ثم
طالبت نفسي بالشكر على ذلك فما وجدته كما ينبغي ثم انا اتقاضى
القدر مرادي ولا اتقاضى نفسي تصبر على مكروه ولا تشكر على نعمة
فاخذت انوح على تقصيري في شكر النعم وكوني اتلذذ بايراد العلم من غير
تحقيق عمل به وقد كنت ارجو مقامات الكبار فذهب العمر وما حصل
المقصود فوجدت ابا الوفا ابن عقيل قد ناح نحو مما نحت فاعجبني
نياحته فكتبتها هاهنا قال لنفسه يا رعنا تقوم بالالفاظ ليقال
مناظر وثمرة هذا مناظرة كما يقال للصارع الغاية صرعت
وانفسها عند العقلاء وهي ايام العمر حتى شاع لك بين من يموت خلد
اسم مناظر وينسى الذكر والمذكور اذا درست القلوب هذان تاخر الامر الى
موتك بل ربما نشاء شاب افوه منك بين يديه فهو الى وصار
الاسم له والعقل عند الله تشاغلوا بما انا فيه وانشرهم وهو العمل
بالعلم والنظر الخالص لنفوسهم فلنفسي وقد سطرت بما بين
جلدات في فنون العلوم وما علق بها فضيلة ان نوظرت نوظرت
شيخ وان نوصحت تعرفت وان لاحت الدنيا طارت اليها طيران
الرخم وسقوط الغراب على الجيف فليتها اخذت اخذ المضطر من الميتة
توثر في الخالطة عيوبا تبلى ولا تحتشم نظر الحق اليها وان انكر لها غرض

تضجرت وان امتدت بالنعم اشتغلت عن المنعم افي والله تنفسي مني اليوم
على وجه الارض وغدا تحتها والله ان تتن جسدي بعد ثلاث تحت التراب
من تتن خلايقي وانابيب الاصحاب والله اني قد اهرب من حلم
هذا الكريم عني كيف ستدفني طوعا انهتك وبجحتي وانا اتبدد وغدا
يقال مات الحبر العالم الصالح ولعمر فوي حق معرفتي بنفسي ما دفنوني
والله لانادين على نفسي نداء المتكشفين معايب الاعداء ولانوحن
نوح الثاكلين على الاعداء الا مابح لي ينوح على هذه المعايب المكنونة
والخلال المغطاة التي قد سترها من خبرها وغطاها من عليها والله
ما جبلت نفسي خلة استحسن ان اقول متوسلا بها اللهم اغفر لي كذا
بكذا والله ما التفت قط الا وجدت منه سبحانه برا يكفيني ولوقاية
تحميني مع تسلط الاعداء ولا عرضت حاجة فمددت يدي الا وجدته
قضاها هذا فعله معي وهو ربي غني عني وهذا فعلي وانا عبد فقير
اليه ولا عذر لي فاقول ما دريت او سهوت والله لقد خلقني خلقا
صحيحا سليما ونور قلبي بالفطنة حتى ان المعيبات المكتومات
تتكشف لفهمي فواحسرتا على عمر انقضى فيما لا يطابق الرضى
ولحرمتي لمقامات الرجال الفطنا يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله
وشماتة العدو بي واخيبة من احسن الظن بي اذا شهدت الجوارح علي
واخذلاني عند اقامة الحجة علي سخر والله مني الشيطان وانا الفطن
اللهم توبة خالصة من هذه الاقذار ونهضة صادقة لتصفية
ما بقي من الاكدار فقد جئتك بعد الحمين وانا من خلق المتاع وابا
العلم الان باخذ بيدي الى معدن الكرم وليس لي وسيلة الا تلاسف

والندم

والندم فوالله ما عصيتك جاهلا بمقدار نعمك ولا ناسيا لما اسلفت
من كرمك فاغفر لي ساكن فعلي **فصل** يتضمن نصيحة العلماء
والزهاد يا قوم قد علمتم ان الاعمال بالنيات وقد فهمتم قوله تعالى
الا لله الدين الخالص وقد سمعتم عن السلف انهم كانوا لا يطلبون ولا
يحبون يقولون حتى تتقدم النية وتصح ايذهب زمانكم بافقهكم
في الجدل والصياح وترتفع اصواتكم عند اجتماع العوام فتقصدون
المغالبة او ما سمعتم من طلب العلم ليباهي به العلماء او ليماري به
السفهاء او ليصرف وجوه الناس اليه لم يرح رايحة الجنة ثم يقدم
احدكم على الفتوى وليس من اهلها وقد كان السلف يتدافعونها
ويا معاشر المتزهدين انه يعلم السر وما يخفى انظهرون الفقر في لباسكم
وانتم تستوفون شهوات النفوس وتظهرون التخاشع والبكاء
في الجلوات تدرون الخلوات كان ابن سيرين يضحك ويقهقه فاذا
خلى بكى اكثر الليل وقال سفيان لصاحبه ما اوحك نصلي والناس يرونا
افدي خطباء فلانة ما عرفن بها • مضغ الكلام ولا صبح الحواجب
آه للمرء من يوم وحصل ما في الصدور وهي النيات فاقبلوا من
سكركم وتوبوا من زلكم واستقيموا على العبادة ان تقول نفس يا حسرتي
على ما فرطت في جنب الله **فصل** رايت جمهور الناس
حايدين عن الجادة جايرين على ما الفوا من العادة وقد تخلص منهم
فريقان علماء وعباد فتاملت جمهور العلماء فرايتهم في تخليط
منهم من يقتصر على علم معاملات الدنيا ويعرض عن معاملات
الاخرة اما لجهله بها او لثقل امرها عليه فهو يجري على ما لا يثقل

علم مما يوجب العلم ويتبع في الباقي العادات وربما تخايل انه
يسامح في الخطا لكونه عالما وقد نسي ان العلم حجة عليه ومنهم من
هو واقف مع صورة العلم غافل عن المقصود بالعلم ومنهم من يخالط
السلطان فيتاذى لمخالطة بما يرى من الذنوب والظلم ولا يمكنه الانكار
وربما مدح ويتاذى السلطان فيقول لولا اني على الصواب ما جالست هذا
ويتاذى العوام فيقولون لولا ان امر السلطان قريب ما خالط هذا
العالم ورايت الاشراف يثقون بشفاعة آبائهم ويظنون ان اليهود
من بني اسرائيل واما الفريق الثاني وهم العباد فرايت اكثرهم
في تخليط اما الصحيح القصد منهم فعلى غير الجادة في اكثر عملهم فالحق لا ينبغي
ان يحابى فانجدة ورايت ولله اني اراك اكثر الناس قد حادوا عن الشريعة
وصار كلام المتزهدين كانه شريعة لهم فمنهم من يقول منذ خمس سنة
اشتهي الشوا صفالي درهم ويقول آخر اشتهي ان اعمل جزرة في دبس
ما صح لي انهم اراد واحبة منذ خرجت من المعدن ما دخلت في شبهة
هذا شيء ما نظر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه رضي الله عنهم
وان كان الورع حسنا ولكن لا على حمل المشاق الشديدة وما كانت
سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه على ما المتزهدون عليه اليوم
فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ويمزح ويختار المستحسنات
وسابق عائشة رضي الله عنها وكان ياكل اللحم ويحب الحلوى ويستعذب له
الماء وعلى هذا كان طريقة اصحابه فاظهر المتزهدون طرائق كانها ابتدات شريعة
وكلها على غير الجادة ويحتجون بقول المحاسبي والمكي ولا يحتج احدهم
باصحاب ولا تابعي ولا بامام من ائمة الاسلام فان راوا عالما قد لبس





ثوبا جميلا او تزوج مستحسنة او افطر بالنهار او ضحك عابوه فينبغي
ان يعلم ان اكثر من صح قصده على غير الجادة لقلة علمهم حتى ان بعضهم
يقول منذ ثمانين سنة ما اضطجعت ويقول آخر حلفت لا اشرب الماء
سنة وهؤلاء على غير الصواب فان للنفس حقا واما من سلك قصده من
ذلك مرايا الاجتلاب الدنيا وتقبيل الايدي فلا كلام معه وهم جمهور المتصوفة
فانهم رفعوا الثياب الملونة ليراهم الناس بعين الترك للزينة وملئهم احسن
من السقلاطوني وما رفع القدماء للفقر فهم في اللذات وجمع المال واتخذ
الشبهات واستعمال الراحة واللعب ومخالطة السلاطين وهؤلاء قد كشفوا
القناع وباينوا رهطا وايلهم بلى العجب منهم من يتفق عليهم

## فصل

ان الله عز وجل جعل احوال الآدمي امثلة ليعتبر بها فمن امثلة احواله العلم
الذي يبتدئ صغيرا ثم يتكامل يدرا ثم يتناقص بالمحاق وقد نظر اعليه
ما يفسده كالكسوف فكذلك الآدمي اوله نطفة ثم يترقى من الفساد الى
الصلاح فاذا تم كان بمنزلة البدر الكامل ثم يتناقص لسوء حاله بالضعف
وربما يجيء الموت قبل ذلك بجموم الكسوف على القمر قال الشاعر

والمرء مثل هلال عند طلعته ... يبدو ضئيلا لطيفا ثم يتسق
يزداد حتى اذا ما تم اعقبه ... كر الجديدين نقصا ثم يمحق

ومن امثلة حاله دود القز فانه لا يكون حيوانا الى ان يبتدئ بقوته وهو
ورق الفرصاد فاذا الخضر الورق دبت الروح فيه ثم يتنقل من حال الى
حال كانتقال الطفل ثم بر قد كغفلة الآدمي عن النظر في العواقب ثم يبتنه
فيحرص على الاكل كحرص الشره على تحصيل الدنيا ثم يستدير على نفسه كما
يحطب الآدمي الاوزار على دينه فيرتهن في ذلك الحبس كما يرتهن الميت

في قبره ثم يقرض فيخرج خلقا آخر كما تنشر الموتى عزلا بهما وقد دلّ على
البعث تكوّن النطفة كالميت ثم تصير آدميا والقاء الحب تحت الارض
فيفسد ثم يهتز خضرا • اذا المرء كانت له فكرة • ففي كل شيء له عبرة •

**فصل** ليس في الدنيا عيش الا لعالم او زاهد بلى قد يقع في صفاء
حالهما كدر وهوان العالم يشتغل بالعلم او بالانقطاع عن الكسب وقد
يكون له عائلة فربما تعرض بالسلطان ففسد حاله وكذلك الزاهد فينبغي
للعالم والعابد ان يحكما في معاش كنسج باجرة او عمل الخوص او ان فتح
له شيء وانفتح باليسير ولا يستعبده احد كما كان احمد ابن حنبل له اجرة تعلها
لا تبلغ دينارا يقوت بها ومتى لم يقنع افسدت مخالطة السلاطين والعوام
والعوام دينه وفي الناس من يريد التوسع في المطاعم ومنهم من لا يوافقه خشن
العيش وههات ان يصح الدين مع تحصيل اللذات واذا قنع العالم والزاهد
بما يكفي لم يبتذل للسلطان ولم يستخدم بالتردد الى بابه ولم يحتج الزاهد الى
تصنع والعيش اللذيذ المنقطع الذي لا يتمذل به ولا يحمل منه **فصل**
من تأمل الدنيا علم انه ليس فيها لذة اصلا فان وجدت لذة شيبت بالنغص
التي تزيد على اللذة اضعافا من اللذات النساء فربما تشبث المستحسنة
وربما تحب الزوج متى علم ذلك افترق منها وربما خانت وذلك الهلاك
فان تمت المرادات فذكر الفراق مزيد في الالم على الالتذاذ ومن اللذات الولد ومقاساة
البنت الى ان تتزوج وما تلقى من زوجها وخوف عارها من قبيحة والابن
ان مرض ذاب الفؤاد وان خرج عن حد الصلاح زاد الاسف وان كان عدوا فمراده
هلاك الاب ثم ان تم المراد فذكر فراقه يذيب القلوب ولو ان فاسقا لحبت
بعض المرادات تهدد عرضه في الدنيا وذهب دينه ثم لا يلبث ان تتغير حليته فيصير



مبغوضا مع ما يشق من الهتك والاثم وكم قد غلبت شهوة رجل فوطئ الجواري
السود فجاء الولد اسود فبقي عارا عليه ومن هذا الجنس الالتذاذ بالمال وفي
تحصيله آثام ومرافقه حسرة وذهاب العمر فيه غبينة وهذا نموذج لمالم
يذكر فينبغي لمن وفقه الله سبحانه ان يأخذ الضروري الذي يميل الى سلامة
الدين والبدن والعافية ويهجر الهوى الذي بعضه يتضاعف على لذته ومصير
على ما يكره قصد النفع في العاقبة التذاضعافا كطالب العلم فانه يتعب يسيرا
وينال خير الدارين مع سلامة العاقبة ولذة البطالة تعقب عدم العلم والعمل
فيزيد الاسى على اللذة اضعافا فاسأل الله ان يغلبك هوان العاجل ومنهم
الهوى بالتوئب فامنعه وزن عاجله بآجله وما يتذكر الا اولوا الالباب

**فصل** رأيت العادات قد غلبت على الناس في تضييع
الزمان وكان القدماء يحذرون من ذلك قال الفضيل رحمه الله تعالى
اعرف من يعد كلامه من الجمعة الى الجمعة ودخلوا على رجل من السلف فقالوا
لعلنا شغلناك فقال اصدقكم كنت اقرأ فتركت القرآن لاجلكم وجاء
رجل من المتعبدين الى سري السقطي فرأى عنده جماعة فقال اصرت
مناخ البطالين ثم مضى ولم يجلس ومتى لان المزور طمع في الزائر فاطال
الجلوس فلم يسلم من اذى وقد كان جماعة قعودا عند معروف
فاطالوا فقال ان ملك الشمس لا يفتر في سوقها فما تريدون القيام
ومن كان يحفظ الفظات عامر ابن عبد قيس قال له رجل قف لي كلمة
قال قاسك الشمس وقيل لكرز ابن وبرة لو خرجت الى الصحراء فقال
ابطل النجار وكان داود الطائي يسف الفتيت ويقول بين سف
الفتيت واكل الخبز قراءة خمسين آية وكان عثمان الباقلاوي دائم الذكر

لله تعالى فقال اني وقت الافطار لحس بروحي كانها تخرج لاجل اشتغالي
بالاكل عن الذكر واوصى بعض السلف اصحابه فقال اذا خرجتم من عندي تحدثوا
فتفرقوا لعل احدكم يقرأ القرآن في طريقه وسمي اجتمعتم تحدثتم واعلم ان
الزمان اشرف من ان يضيع منه لحظة فان في الصحيح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له بها نخلة
في الجنة فلم يضيع الآدمي من ساعات يقوته فيها الثواب الجزيل وهذه
الايام مثل المزرعة فكما قيل للانسان كلما بذرت حبة اخرجنا لك
الف كر فهل يجوز للعاقل ان يتوقف في البذر او يتوانى والذي بغير على
اغتنام الزمان الانفراد والعزلة بهما امكن والاختصار على السلام وحاجته
مهمة لمن يلقى وقلة الاكل فان كثرته سبب النوم الطويل وضياع الليل
ومن نظر في سير السلف وآمن بالجزاء بان له ما ذكرته **فصل** في
معاشرة النساء ينبغي للعاقل ان يتخير امرأة صالحة من بيت صالح يغلب
عليه الفقر لترى ما يأتيها به كثيرا وليتزوج من بقارة في السن فاما الشيخ
فانه اذا تزوج صبية آذاها وربما فجرت او قتلته او طلبت الطلاق
وهو يحبها فيتأذى وليتم نقصه بحسن الاخلاق وكثرة النفقة
ولا ينبغي للمرأة ان تقرب من زوجها كثيرا فتمل ولا تبعد عنه فينساها
ولتكن وقت قربها اليه كاملة النظافة مستحسنة ولتحذر ان يرى فرجها
او جسمها كله فان جسم الانسان ليس بمستحسن وكذلك ينبغي له ان
لا يريها جسمه وانما الجماع في الفراش وراى كسرى يوما كيف يسلخ
الحيوان ويطبخ فتقلبت نفسه وابى اللحم فذكر ذلك لوزيره فقال ايها الملك
الطبيخ على المائدة والمرأة في الفراش ومعناه لا تفتش على ذلك قالت عائشة



رضي الله عنها ما رايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رآه مني وهذا الحزم
ولذلك تعجب الرجل المرأة لا ترى يرعبها وليكن للمرأة فراش وله فراش
فلا يجتمعان الا في حال الكمال ومن الناس من يستهين بهذه الاشياء
فيرى المرأة متبذلة تقول هذا بوابي ولادي ويبتذلها وفي كل واحد
من الآخر ما لا يشتهي فينفر القلب وتبقى المعاشرة بغير المحبة وهذا فصل
ينبغي تأمله والعمل به فانه اصل عظيم **فصل** لا عيش في الدنيا
الا للقنوع باليسير فانه كلما زاد الحرص على فضول العيش زاد الهم وتشتت
القلب واستعبد العبد واما القنوع فلا يحتاج الى مخالطة من فوقه
ولا يبالي بمن هو مثله اذ عنده ما عنده وان اقوى العالم يتضعوا وطلبوا
لديذ العيش فانهم ابدوا بنفوسهم وذلوا لغيرهم وخصوصا ارباب العلم فانهم
ترى احدهم تردد الى الامراء فاستعبدوهم ورأوا المنكر فلم يقدروا على
انكاره وربما مدحوا الظالم اتقاء شره فالذي نالهم من الذل وقلة الدين
اضعاف ما نالوا من الدنيا ومن اقبح الناس حالا من تعرض للقضاء
والشهادة **فصل** وقد كانت مرتبتين حسنتين وكان عبد الحميد
القاضي لابي حازم نبعث الى المعتضد وقال له قد استأجرت وقوفا
فاكتب لها ففعل وقال له المعتضد قد سمحت فلان ولنا عليه مال
فقال انت تذكر لما وليتني قلت لي قد اخرجت هذا الامر من عنقي
ووضعته في عنقك ولا اقبل هذا الا بشاهدين وكذلك كان الشهود
دخل جماعة على بعض الخلفاء فقال الخادم اشهد واعلى معلانا بكذا
فشهد وتقدم الجندي الى الستر فقال يا امير المؤمنين اشهد عليك
بما في هذا الكتاب قال اشهد قال انه لا يكفي في ذلك اشهد حتى تقول

نعم فقال نعم فاما في زماننا فتغيرت تلك القواعد من الكل خصوصا
من تقرب بالمال ليستشهد فتراه يسحب ليشهد على ما لا يريد قال لي
ابو المعالي ابن شافع كنت احمل الى بعض اهل السواد وهو محبوس واشهد
عليه فلعلم انه لولا انه مكره لجاء الي بقدميه وانا استغفر الله من ذلك وليس
للشهود جراية فيجعلون ذلك لاجلها وانما الذي يحصل لهم جر الطيلسان
وطرق الباب وقول المعرف حرس الله نعمتك شهادة ولما قيل لابراهيم
النخعي تكون قاضيا ليس قميصا احمر وجلس في السوق فقالوا هذا
لا يصلح ودخل بعض الكبار على الرشيد وقد احضر ليوليه القضاء
فسلم وقال له كيف انت وكيف الصبيان فقيل هذا مجنون فيا مجنون
هو العقل وما اظن الايمان بالآخرة الا مستقرا في اكثر القلوب فسأل الله
سبحانه سلامة الدين فانه قادر **فصل** من تلمح احوال الدنيا
علم ان مراد الحق سبحانه اجتنابها فمن مال الى سلحها لبلند وجدع
كل فرحة ترحة والى جانب كل راحة تعب وآخر كل لذة نغص يزيد عليها
وما رفع شيء من الدنيا الا ووضع احب الرسل صلى الله عليه وسلم عايشة
رضي الله عنها فجاء حديث الافك وما للذنب فجاء فلما قضي
زيد منها طرا رفجناكها ثم بكفي انه اذا حصل محبوب فعين العقل
ترى فراقه فيتنغص عند وجوده كما قال الشاعر

اتم الحزن عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا

فيعلم العاقل ان مراد الحق بهذا التكدير التنفير عن الدنيا فينبغي لخذ
البلغة ضرورة وترك الشواغل فيجتمع الهم في خدمة الحق ومن عدل
عن ذلك ندم يوم الفوات **فصل** العاقل يدبر بعقله





عيشه في الدنيا فان كان فقيرا اجتهد في كسب وصنعة تكفه عن الذل
وقلل العلايق واستعمل القناعة فعاش سليما من مر الناس عزيزا بينهم
وان كان غنيا فينبغي له ان يدبر في نفقته خوف ان يفتقر فيحتاج الى
الذل للخلق ومن البلية ان يبذر في النفقة او يباهي بها ليكمد الاعداء كانه
يتعرض بذلك ان تكثر اصابته بالعين وينبغي التوسط في الاحوال وكتمان
ما يصلح كتمانه ولقد وجد بعض الغساليين سالكا فاكثر النفقة فعلم به
فاخذ منه المال وعاد الى الفقر وانما التدبير حفظ المال والتوسط في الانفاق
وكتمان ما لا يصلح اظهاره ومن الغلط اطلاع الزوجة على قدر المال فانه
ان كان قليلا هان عندها الزوج وان كان كثيرا طلبت زيادة الكسوة والحلي
قال الله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم وكذلك الولد وكذلك الاسرار
ينبغي ان تحفظ منها ومن الصديق فربما انقلب فقد قال الشاعر

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك الف مرة
فلربما انقلب الصديق ... فكان ادرى بالمضرة

وهذا آخر المنتخب من كتاب صيد الخاطر للامام الحافظ ابي الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزي روح الله روحه ونور ضريحه والحمد لله اولا واخرا وظاهرا
وباطنا وصلى الله على خير خلقه سيدنا ونبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين كتبته فقيرة عفو ربها الخايفة من ذنبها
وحوبها فاطمة بنت محمد الفضيلي وقد وقفته وقفا عاما لا اخص
غفر الله لها ولوالديها ولاخوانها المسلمين ولمن احبها في الله ولها وما
توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب بتاريخ سنة ١٢٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لولي التوفيق والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه السالكين
اقوم طريق وبعد فقد طالعت هذا المنتخب اللطيف فوجدته
قد حوى كل معنى شريف سرحت طرف الطرف في انيق رياضه
وانهلت سوانح الفكر في زلال حياضه فحصل لي بذلك والحمد لله
الانتفاع من الارتياع عن امور تهواها النفوس وتميل اليها الطباع
سبيلها غير مستقيم ومرتعها هشيم وخيم فشكر الله تعالى سعي جامع
اصله وافاض على منتخبه شآبيب فضله وادام النفع بكل من
الكتابين ونشر عرف ذكرهما في الخافقين فعليك ايها الواقف على
هذا المنتخب بتحصيله لتسلك بالنظر فيه طريق الحق وتلتمس
وقاضح سبيله وتهذب نفسك بما فيه من العقايد والفوايد و
الحقايق والدقايق والمواعظ والوصايا وغير ذلك ولتعمل بما تعلم
بصالح نيته لتسلم من قيام الحجة عليك وتنجو من المهالك وهذا
المنتخب جدير بان يسمى بهجة الناظر المنتخب من صيد الخاطر وبالله
تعالى التوفيق وهو الهادي لاقوم طريق وصلى الله وسلم على سيدنا
محمد النبي الخاتم وعلى آله واصحابه ذوي المناقب والمكارم قاله بفمه ورقمه
بقلمه فقير عفو ربه القلق الخايف من حوبه وذنبه ناصر ابن سليمان
ابن سحيم عفى الله تعالى عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين وجعلهم
من الذين يقال لهم يا عباد لا خوف عليكم اليوم امين جرى في يوم السبت
عاشر شهر شعبان سنة الف ومايتين وثمان وعشرين سنة بحرية
على مهاجرها افضل الصلوة واكمل السلام غفر الله لكاتبه ومولفه
لوالديهم ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات
والحمد لله رب العالمين وهو حسبي ونعم الوكيل

٩٧